جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الحِجاج في كتابِ (بهج الصّباغة في شرحِ نهجِ البلاغة)

للعلَّامة التُّستَري

رِسالة قدَّمها الطالب :

يحيى حسن علوان

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء ـ قسم اللغة العربية
وهي مِنْ مُتطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ،وآدابها

بإشراف

الأستاذ المُساعد الدكتور

عبد نور داود عمران

1444هـ 2023م

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰن الرَّحيمِ

﴿ ادعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجٰدِلهُم بِالَّتِي هِيَ أحسَنُ ﴾

صَدَقَ اللهُ العليُّ العظيمُ

النَّحل /125

إقرارُ المُشرف

أشهد أنَ إعداد هذه الرِّسالة الموسومة بـ **(الحِجاج في كتابِ بهج الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة للعلَّامة التُّستَري)**، التي تقدَّمَ بها الطَّالبُ **(يحيى حسن علوان)** قد جرتْ تحت إشرافي في جامعة كربلاء – كلية التربية للعلُوم الإنسانية ، وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع :

الاسم : أ. م . د عبد نُور داود

التاريخ :

بناءً على التَوصيات المُتوافرة أرَشِّحُ هذه الرِّسالة للمُناقشة :

التوقيع :

الاسم : أ. د. ليث قابل عبيد

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : ٢٠٢٤/٤/٢٦

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أنّنا اطّلعنا على رسالة الماجستير الموسومة بـ (الحجاج في كتابِ بهج الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة للعلّامة التُستَري) للطالب (يحيى حسن علوان) وبعد مناقشته في محتوياتها، وفي ما له علاقة بها، وجدنا أنها جديرة بتقدير ( ) لنيل درجة الماجستير / اللغة العربية / الأدب .

التوقيع:
الاسم: أ.د كريمة نوماس محمّد
(رئيساً)
التاريخ: ١٢ / ٩ / ٢٠٢٣ م

التوقيع:
الاسم: أ.د محمّد عبد الرّسول جاسم
(عضواً)
التاريخ: ١٣/ ٩ / ٢٠٢٣م

التوقيع:
الاسم: أ . م . د ميثم قيس مطلك
(عضواً)
التاريخ: ١٣/ ٩ / ٢٠٢٣م

التوقيع:
الاسم: أ. م . د عبد نُور داود عمران
(عضواً ومشرفاً)
التاريخ: ١٢/ ٩ /٢٠٢٣م

صُدِّقت من مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء / على قرار اللجنة.

التوقيع:
الاسم: أ. د حسن حبيب عزر الكريطي
التاريخ: ١٤/ ٩ / ٢٠٢٣م

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

الإهداءُ

إلى مَنْ علَّمني أنَّ الأعمالَ الكبيرةَ لا تتمُّ إلَّا بالصَّبرِ ، والعزمِ ، والإصرارِ ...

والدي العزيز

التي أمدَّتني بِدفءِ عطفِها ، ورَهافةِ حَنانِها ، وبركةِ دُعائِها فَدَفَعَتْنِي لِعَتَباتِ التَّفُوقِ والإبداعِ ...

أمِّي الحَنُون

مَنْ وَقَفَتْ إلى جانِبي في السَّراءِ ، والضَّراءِ ... زَوْجَتِي العزيزة

مَنْ امتلأتْ حَيَاتِي فرحاً ، وسُرُوراً بِهم ... أولادي

علي - زهراء - محمَّد .

يحيى

شُكْرٌ وعِرْفانٌ

الشُكْرُ، والحمدُ ، والثَّناءُ للهِ تباركَ وتعالى بِمَا هو أهلٌ لهُ أوَّلاً .....

أتقدَّمُ بالشُّكرِ الجزيلِ إلى السيّد عميد كلية التّربية للعلُوم الإنسانية الأُستاذ الدّكتُور حسن حبيب الكريطي على عطائهِ الدَّائم ، وإلى مُعاوِنَيْهِ .

ولا أنسى أن أتَقَدَمَ بِشُكْري ، وامتِنَانِي لأساتذتِي في قِسْمِ اللُّغةِ العربيةِ ، الدكتور ليث الوائلي ، والدكتور محمَّد عبد الرَّسُول ، والدكتور علي المصلاوي ، والدكتور علي كريم ، والدكتور علي ذياب ، والدكتور فلاح المُوسوي ، والدكتور مُحسن الزُّبيدي، والدكتور محمَّد حسين ، والدكتورة كريمة المدني ، والدكتورة رفل الطائي ، والدكتورة سُها القُريشي وكُلّ أساتذةِ قِسْمِ اللُّغةِ العربيةِ ، كما أشكُرُ كُلَّ الزُّملاءِ ، والأصدقاءِ الّذين وقفُوا إلى جانِبي في إتمامِ هذهِ الرِّسالةِ ، كما أشكُرُ موظفِي شُعبة الدِراسات العُليا ؛ لِما يبذلُونَهُ مِنْ جَهْدٍ كبيرٍ في مساعدة الطلبةِ ، وأقدِّمُ شُكْرِي إلى المَكْتباتِ التي أغْنَتْنِي بالكثيرِ مِن المصادرِ ، والمراجعِ ، وبِخاصةٍ المكتبة الحيدريَّة (مكتبة العتبة العلويَّة المُقدَّسة) ،ومكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء

المُحتويات

ت	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة	**أ - جـ**
2	التّمهيد : مفهوم الحِجاج ونظرياتِه	**1 - 16**
3	الفصل الأوّل : التقنيَّات الحِجاجية في كتاب بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة	17 - 54
4	توطئة	18 - 19
5	المبحث الأول : الحُجج شِبه المنطقية في كتاب بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة	20 - 32
6	أوّلاً ـ الحُجج شِبه المنطقية التي تعتمد البِنى المنطقية	21 - 27
7	أ ـ التناقض وعدم الاتفاق	21 - 23
8	ب ـ حُجَّة التماثل	23 - 25
9	جـ ـ حُجَّة التبادل	25 - 27

10	ثانياً : الحُجج شِبه المنطقية التي تعتمد البِنى الرِّياضية	28 - 27
11	أ ـ حُجَّة التَّعدية	28 - 27
12	ب ـ حُجَّة تقسيم الكُلِّ إلى أجزائه المُكوِّنة له	30 - 28
13	جـ ـ إدماج الجزء في الكلِّ أو حُجَّة التضمين	32 - 30
14	المبحث الثاني : الحُجج المؤسَّسة على بِنية الواقع	42 - 33
15	أ ـ الحُجَّة النفعيَّة	36 - 34
16	ب ـ حُجَّة التبديد أو حُجَّة التضييع	38 -36
17	جـ ـ حُجَّة الاتّجاه	41 - 38
18	د ـ حُجَّة المُجاوزة	42 - 41
19	المبحث الثالث : الحُجج المؤسِّسة لِبنية الواقع	54 - 43
20	1 ـ حجَّة التّمثيل أو المثل	46 - 44
21	2 ـ حجَّة الشَّاهد	54 - 46

22	أ ـ الشَّاهد القرآني	49 - 47
23	ب ـ الشَّاهد النَّبوي	54 - 49
24	الفصل الثاني : الحِجاج البياني في كتابِ بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة	83 - 55
25	توطئة	58 - 56
26	المبحث الأوَّل : المجاز والحِجاج	64 - 59
27	المبحث الثّاني : التشبيه والحِجاج	69 - 65
28	المبحث الثّالث : الاستعارة والحِجاج	77 - 70
29	المبحث الرّابع : الكناية والحِجاج	83 - 78
30	الفصل الثّالث : السَّلالم والرَّوابط والعوامل الحِجاجية في كتاب بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة	111 - 84
31	المبحث الأوَّل : السَّلالم الحِجاجية	95 - 85

32	مفهوم السَّلالم الحِجاجية	87 - 86
33	القسم الحِجاجي	88 - 87
34	قوانين السُّلَّم الحِجاجي	92 - 88
35	1 ـ قانون النَّفي	89 - 88
36	2 ـ قانون القلب	91 - 89
37	3 ـ قانون الخفض	92 - 91
38	مصاديق السُّلّم الحِجاجي	95 - 92
39	المبحث الثاني : الرَّوابط والعوامل الحِجاجية	111 - 96
40	أوَّلاً : الرَّوابط الحِجاجية	107 - 97
41	1- لكن	100 - 98
42	2- بل	102 - 100

43	3- حتَّى	105 - 102
44	4- الواو	106 - 105
45	5- الفاء	107 - 106
46	ثانياً : العوامل الحِجاجية	111 - 107
47	1- النفي	109 - 108
48	2- القصر	111 - 109
49	خاتمة نتائج البحث	114 - 112
50	المصادر والمراجع	131 - 115

المُقدَّمةُ

بسمِ اللهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين القائمِ بالقِسْطِ ، المالِكِ للقبضِ والبَسْطِ الَّذي لارادَّ لِما يَقْضيه ، ولا دافعَ لِما يَمْضيه ، أحمدُهُ على نِعَمِهِ الَّتي لا يُحصى عدَدُها ، ولا يَنْقَطِعُ مَدَدُها ، وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ خاتم النّبيين ، المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آلهِ الكِرام ، مصابيح الظَّلام ، وقدوة الأنام .

تعدَّدتْ المناهجُ ، والآلياتُ على مرِّ العُصُورِ في معرفةِ مكنُوناتِ الكلامِ ،والوصول إلى المعنى والمدلول ومن هذه الآليات هو الحِجاج البلاغي ، واللُّغوي ، فهو من الركائز الأساسية في إيصالِ الأفكارِ وتحقيقِ المقاصدِ بين (المُتكلِّم) و (المُتلقِّي) ، فتجدهُ يتضمَّنُ وسائلَ الإثارةِ والإقناعِ ، والتَّحاورِ . دِراسةُ الخِطابِ الحِجاجي عَرَفَهُ التاريخُ القديمُ إذ يعودُ إلى الحضارةِ اليُونانية ،إذ كان مُزدهراً جداً ويُوظِّفُ البُرهان ، والدليل بهدفِ الإقناعِ ، والتأثيرِ . لقد انتبهَ العربُ إلى هذا النَّمطِ الخِطابي عن طريقِ مُصنَّفاتِهم ، ودراساتِهم كما يتجلَّى ذلِكَ في كُتبِ العقائدِ ، والأصولِ ،والتفاسيرِ ، وفي الخُطبِ والمُناظراتِ .

إنَّ دِراسةَ الحِجاجِ قديماً سواء عند اليُونان أو العرب القُدماء كان يعتمدُ البُرهان ، والاستدلال (المنطق الأرسطي) ، أمَّا في الدِراسات البلاغية ، واللُّغوية الحديثة ، فقد اعتمدَ آليات ،ومناهج جديدة إذ إنَّ الحِجاجَ في الدِراسات الغربية الحديثة يُعدُّ أهمَ عنصرٍ من العناصرِ التي يعتمدُها المُتكلِّمُ لإقناعِ مُتَلَقِّيهُ ،فكلُّ قولٍ لهُ توجهٌ حِجاجي نحو نتيجةٍ ما .

لِهذهِ الأسباب ، وغيرِها آثَرَتِ الدِّراسةُ الخوضَ في هذا الموضوع ، ومُحاولة الكشف عن خباياه والوقوف على أهمِ سِماتِهِ ،وأنواعهِ بمنظورٍ حداثي ،كما آثَرَ الباحثُ أن يوضحَهُ عن طريقِ مُدوَّنةٍ هي (بهج الصِّباغة في شرحِ نهج البلاغة) للعلَّامة محمَّد تقي التُّستري .

لقد عُنيتْ هذه الرِّسالةُ بِدِراسةِ الحِجاج في كتاب (بهج الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة) إذْ تناولتِ الدِّراسةُ نظريتين غربيتين حديثتين في أسلُوب الحِجاج ،هما نظرية الحِجاج البلاغي (لبيرلمان وتيتكاه) ، ونظرية الحِجاج اللُّغوي (لديكرو وانسكومبر) ، فقد طبقتِ الدِّراسةُ آليات ، وتقنيَّات هاتين النظريتين على المُدوَّنةِ المُشار إليها .

توزعتِ الرِّسالةُ على ثلاثةِ فُصُولٍ سبقتْها مُقدَّمة ، وتمهيد ، وتبعتْها خاتمةٌ بالنتائج ،أمَّا الفصلُ الأوَّلُ ، فعنوانُهُ (التقنيَّات الحِجاجية أو طرائق الحِجاج) قَسَمَهُ الباحثُ إلى ثلاثةِ مباحث : المبحثُ الأوَّلُ (الحُجج شِبه المنطقيَّة في المُدوَّنة) ، وقُسِمَ هذا المبحثُ إلى قسمين : الأوَّل : الحُجج شِبه المنطقيَّة التي تعتمدُ البِنى المنطقيَّة ، والثاني : الحُجج شِبه المنطقيَّة التي تعتمدُ البِنى الرِياضيَّة ،أمَّا المبحثُ الثاني فَدَرَسَ الباحثُ فيهِ (الحُجج المؤسَّسة على بِنية الواقع) ،ومن هذهِ الحُجج ، حُجج الاتصال التتابعي وحُجج الاتصال التواجدي ، أمَّا المبحثُ الثالثُ ،فتناولَ (الحُجج المؤسِّسة لِبنية الواقع) مثل حُجَّة التمثيل وحُجَّة الشاهد .

عَنْونَ الباحثُ الفصلَ الثاني بـ (الحِجاج البياني في كتابِ بهج الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة) حيثُ قَسَمَهُ إلى أربعةِ مباحث : الأوَّل : المجاز والحِجاج ، الثاني : التشبيه والحِجاج ، الثالث : الاستعارة والحِجاج ، الرابع : الكناية والحِجاج .

لابدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ الباحثَ في الفصل الأوَّل ، والثاني دَرَسَ الحِجاجَ من خلالِ تطبيقِ نظريةِ الحِجاج البلاغي (لبيرلمان وتيتكاه) ،امَّا الفصلُ الثالثُ ،فتناولتِ الدِّراسةُ فيهِ نظريةَ الحِجاج اللُّغوي (لِديكرو وانسكومبر) ، وعُنْونَ الفصلُ بـ (السلالم والرَّوابط والعوامل الحِجاجية في كتابِ بهج الصِّباغة في شرحِ نهجِ البلاغة) ، وقُسِمَ على مبحثينِ :الأوَّل : السلالم الحِجاجية ،حيثُ تناولَ الباحثُ فيهِ ،مفهوم السلالِم الحِجاجية ،والقِسم الحِجاجي ،وقوانين السُلَّم الحِجاجي ، ومصاديق السُلَّم الحِجاجي ،والثاني : الرَّوابط والعوامل الحِجاجية ، فَدَرَسَ الباحثُ فيهِ الرّوابط الحِجاجية ، ومنها (لكن ، بل ، حتَّى ، الواو ، الفاء) ، والعوامل الحِجاجية ،ومنها (النفي ، والقَصْر) . أمَّا المنهجُ الَّذي اتَّبعهُ الباحثُ في تحليلِ النِّصُوصِ ، واستنطاقِها ، والوقوفِ على أسلُوبِ الإقناعِ والتأثيرِ فيها ، فهو المنهجُ التكامليُّ الاستقرائيُّ .

اعتمدتِ الرِّسالةُ المصادِرَ ، والمراجعَ القديمةَ ، والحديثةَ مُتَفَاوتة بين كُتُبِ النحوِ ، والبلاغةِ ، والأدبِ والتفسيرِ ، والتاريخِ ، وكُتُبِ التَّراجُمِ ،والرِّجالِ ، فضلاً عن الرسائل ، والأطاريح الجامعيَّة ، والبُحُوث والمقالات العلميَّة ، وقد أفدتُ كثيراً من الكُتُبِ التي تناولتْ موضوع الحِجاج ، أذكُرُ منها : أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، لحمَّادي صمُّود ، وفي نظرية الحِجاج (دراسات وتطبيقات) ، لعبد الله صولة ، والعوامل الحِجاجية ، لعزّ الدِّين النَّاجح ، والحِجاج في البلاغة المُعاصرة ، لمحمَّد سالم محمَّد الأمين الطلبة . والحِجاج في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ، لرائد مجيد علي ، والحِجاج في الشعر العربي (بِنيته وأساليبه) ، لسامية الدريدي ، والحِجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، لحافظ اسماعيلي علوي . كما أفدتُ من الدِّراسات الجامعية التي اتَّخذتْ من الحِجاج ميداناً لعملِها وساحةً لاشتغالِها ، منها : الحِجاج في روايات

أهل البيت (عليهم السلام) في كتاب (أصول الكافي) للكُليني (أطروحة د كتوراة) ، لعبد الله خليل زباري العبادي ، والحِجاج في كلام الإمام الحُسين (عليه السلام) ، (أطروحة د كتوراة) ، لعايد جدُّوع حنُّون .

وأختُمُ ما تقدَّمَ بشُكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وحمدِهِ ، فهو وليُّ نِعمتِي ، ومنهُ توفيقي ونَجاحِي ، كما أتَقَدَمُ بالشُّكرِ الجزيلِ ، والتَّقديرِ الكبيرِ لشيخِي وأستاذي الدّكتور عبد نُور داود الَّذي تشرَّفتُ بقَبُولِهِ الإشرافَ على رِسالتي ، ومُتابعة البحثِ بالقراءةِ الفاحصةِ ، والمُلاحظاتِ السَّديدةِ ، وبُكلِّ جهدٍ وصبرٍ ، فجزاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عنّي خيرَ الجزاءِ .

وأتقدَّمُ بالشُّكرِ الجزيلِ ، والامتنانِ الوافر إلى اللّجنةِ المُوقَّرةِ التي سيكونُ بحثِي بين أيديهم ، وأُقدِّرُ جهدَهُم لِتقويمِ رسالتي ، فجزاهُم اللهُ تبارك وتعالى خيرَ الجزاءِ .

خِتاماً لا يَحقُّ ليَ أن أدَّعيَ الكمالَ ؛ لأنَّ الكمالَ لِلهِ تباركَ وتعالى وحدَهُ ، ولكنَّي بذلتُ قُصارى جهدِي لعلَّي أكونُ قد وِفقتُ في مَسْعايَ ، وإن قصَّرتُ فمن نفسِي ، وما توفيقِي إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ وآخرُ دَعوايَ أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، وصلَّى اللهُ تبارك وتعالى على محمَّدٍ وآلهِ الطّيبين الطّاهرين

التمهيدُ

بهجُ الصّباغةِ في شرحِ نهجِ البلاغةِ :

لقد اشتملَ بهجُ الصّباغَةِ على ستين فصلاً قُسِّمتْ على أربعةَ عَشَرَ جزءً ، ويُعدُّ هذا الكتابُ من الشُّرُوحِ المهمَّةِ لنهج البلاغةِ ، حيثُ اعتمدَ الشارحُ في شرحهِ للنهجِ على الآياتِ القُرآنيةِ ، والرواياتِ الشّريفةِ الواردةِ عن الرسول الأكرم (صلَّى الله عليهِ واله) ،وأهلِ بيتهِ (عليهم السلام) كذلك من أهميِّةِ هذا الشّرحِ أنَّهُ شرحٌ موضوعيٌّ ، يقولُ المُصَنِّفُ: " أحببتُ ترتيبَهُ بالمعنى فجمعتُ ما يكونُ راجعاً إلى التوحيدِ مثلاً في موضعٍ ، وما يكونُ راجعاً إلى النُّبُوَّةِ في موضعٍ وإلى الإمامةِ في موضعٍ ،وهكذا كُلُّ موضوعٍ " [1] امتازَ هذا الشرحُ بكونهِ جامعاً للغةِ ، والأدبِ ، والأحداث التاريخيَّة ،حيثُ " غالباً ما يكونُ الشرحُ لُغَوِيَّاً أوَّلَ الأمرِ ، ثُمَّ ينطلِقُ منهُ إلى وقائعَ تاريخيَّةٍ، وقَصَصٍ أدبيِّةٍ مُعَزَزَةٍ بأنواعِ الشواهدِ شِعراً ونثراً " [2] ، وقد ناقشَ المُصَنِّفُ في شرحهِ بعضَ الشُّرَّاحِ الّذين سبقُوهُ في شرحِ النهجِ ، كابنِ أبي الحديدِ[3] ، وابنِ مِيثم البحراني[4] ، وحبيبِ اللهِ الخُوئي [5] ، وكانت مُناقشةُ الشارحِ مع هؤلاءِ الأعلامِ على المُستوى اللُّغوي ، والأدبي ، والتاريخي ، والعقائدي .

الشيخ محمَّد تقي التُّستري :

هو العلَّامةُ الشيخُ " مُحمَّد تقي بن الشيخ كاظم بن مُحمَّد علي بن الشيخ جعفر التُستري " [6] .

ولِدَ الشيخُ التُستري " في النجفِ الأشرفِ (1320) هجري قمري ، في بيتٍ علميٍّ معروفٍ بالتُقى وعاشَ في تلك المدينةِ المُباركةِ حتَّى السابعةِ مِن عُمرهِ ،ولمَّا أتَمَّ والدُهُ دِراساتِهِ العُليا هُناكَ ،ونَالَ دَرَجَةَ الاجتهادِ عادَ إلى مدينتِهِ (تُستُر) ، ثُمَّ التَحَقَ بِهِ ابنُهُ ـ شيخنا المُتَرجم له ـ مع والِدَتِهِ ، وخالهِ ، فاشتغلَ بتعلُّمِ القراءةِ ، والكتابةِ ، والقُرآن الكريم ، ثُمَّ واصلَ دِراستَهُ بِكُلِّ جِدٍّ ، فأقبلَ على دِراسةِ العُلُومِ الإسلاميِّةِ عند أساتذةِ تلكَ البلدةِ " [7] ، ثُمَّ هاجر سنة (1354) هجري قمري مع عائلتهِ إلى كربلاء

---

1) بهجُ الصّباغةِ في شرحِ نهجِ البلاغةِ : العلَّامة الشيخ محمَّد تقي التُستري ، ، دار أمير كبير للنشر ، طهران ، ط 1/ 1997م ، 1 / 27 .

2) المصدرُ نفسُهُ : 1 / 13 .

3) هو عزُّ الدِّين بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (ت 656) ، من علماءِ مذهبِ الاعتزال ، كان فقيهاً أصولياً ، ينظر : شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر . ط 1 / 1959م ، 1 / 13 .

4) هو كمال الدِّين ميثم بن علي البحراني (ت 679هـ) ، كان فقيهاً وفيلسُوفاً ،وقدوةً للمُتكلمين ، ينظر : أصول البلاغة : ابن ميثم البحراني ، تحقيق : الدكتور عبد القادر حسين ، دار الشروق ، مصر ، (د . ط) ، 6 ـ 8 .

5) هو حبيب الله بن محمَّد بن هاشم (ت 1324هـ) كان فقيهاً أصولياً ، ينظر : منهاج البراعة في شرحِ نهج البلاغة : العلَّامة حبيب الله الخوئي ، ، المكتبة الاسلامية ، طهران ـ ايران ، ط 4 ، 1 / د ، و .

6) طبقات أعلام الشيعة : الشيخ أغا بُزرك الطِّهراني ، دار إحياء التُراث العربي ، بيروت ، ط 1 / 2009م ، 13 / 265، وينظر : الذَّريعة إلى تصانيف الشيعة : الشيخ أغا بُزرك الطِّهراني ، دار الأضواء ، بيروت ، ط 2 / 1403هـ ، 17 / 137 .

7) قامُوسُ الرِّجال : تأليف العلَّامة الشيخ محمَّد تقي التُستري ، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لِجماعة المُدرِّسين ، قُم المُشرَّفة ، ط 4 / 1435هـ ، 1 / 5 .

المُقدّسةِ ؛بسبب مُعارضتهِ للنظام الحاكم ـ في ذلك الوقت ـ الَّذي خالف التعاليم الإسلاميَّة بإصدارهِ رفعَ الحجابِ عن النِّساءِ ، وإشاعةِ السُفُور ، وبقى مُدَّةَ سبع سنوات في كربلاء المُقدَّسةِ ، وخِلال هذهِ المُدَّة ألَّفَ كتاب (قامُوس الرِّجال) ، وهو عبارة عن موسُوعةٍ رِجاليَّةٍ تبحثُ في الرِّواة من حيثُ الوَثاقةِ وعدمِها ، وكذلك التقى في كربلاء بالشيخ أغا بُزرَك الطَّهراني الَّذي حصلَ منهُ على إجازةٍ في نقلِ الحديثِ الشريف [1] وقد وصَفَهُ الدكتورُ الأميني بقولهِ : " عالمٌ مُصَنِّفٌ مُجتهدٌ بارعٌ مؤلِّفٌ مُكْثِرٌ " [2] .

كان العلَّامةُ التُستري مُحبَّاً للعلمِ ، شغُوفاً بهِ ، عاشقاً للمُطالعةِ ،والكتابةِ ، والتأليفِ " وممَّا يدلُّ على ذلِكَ " قولُهُ : عندما تشرَّفتُ للحجِّ لأوَّلِ مرَّةٍ ... أخذتُ مسودَّاتِ كتابِ شرح اللُّمعة ـ قِسم المتاجر مِن القضاءِ ـ وحتَّى أنَّهُ لمَّا كُنتُ في الطائرةِ كُنتُ مُنشغِلاً بالكتابةِ ،وكتبتُ في إحدى الصفحاتِ : (كتبتُ هذهِ الصفحةَ في الطائرةِ مِن جدَّة إلى عبادان 28 ذي الحِجَّة 1378) ، وقال في موضعٍ آخر : " كُنتُ دائماً أنامُ ، واستيقظ مع الكتابِ ،وكُنتُ إذا دخلتُ غُرفةَ المُطالعةِ أغلقتُ البابَ لِكي لا يدخلُ عليَّ داخلٌ ،وأنا أطالِعُ " [3] ، وبعد أن هاجرَ إلى كربلاء ـ وأمضى فيها سبعَ سَنواتٍ ـ عادَ إلى مدينتِهِ (تُستر) ، واشتغلَ بالتدريسِ ، والتأليفِ ، والوعظِ ، والإرشادِ ، وإقامةِ الجماعةِ [4] .

من أساتذتِهِ :

1ـ السيَّد حسين النُوري

2ـ السيَّد محمَّد علي الإمام

3ـ السيَّد علي أصغر الحكيم

4ـ السيَّد محمَّد تقي شيخ الإسلام

5ـ السيَّد مهدي آل طيِّب

6ـ والدُهُ الشيخ كاظم محمَّد علي [5]

---

1) ينظر : تواريخ أعلام الهداية النبي وآلهِ : تأليف الشيخ محمَّد تقي التُستري ، ، تحقيق : الشيخ محمود الشريفي ، والأستاذ علي الشكرجي ، مؤسَّسة التاريخ العربي للطباعة والنشر ، ط 1 / 2004م ، 7 .

2) مُعجم رِجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام : تأليف الدكتور محمَّد هادي الأميني ، مطبعة الآداب ـ النجف ، ط 1 / 1964م ، 91 .

3) تواريخ أعلام الهداية النبي وآله : 7 - 8

4) ينظر : بهج الصِّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 11، وينظر : تواريخ أعلام الهداية : 7

5) ينظر : قامُوسُ الرِّجال : 1 / 5 .

آثارُهُ :

للشيخِ التُّستري مُؤلَّفاتٌ كثيرةٌ ذكرَها ولَدُهُ الشيخُ محمَّد علي ، وهي :

1- الرِّسالةُ المُبصرةُ في أحوالِ أبي بصير : طُبِعتْ في مُلحق الجزء الحادي عشر مِن قامُوس الرِّجال .

2- تحيقُ المسائلِ : وهو شرحٌ على الرَّوضةِ البهيِّةِ للشيخ العاملي الشهيد الثاني

3- شرحُ تنقيحِ المَقَالِ المعروف بـ (قامُوس الرِّجال) : سُمِّي بذلِكَ في بدايةِ الأمرِ ؛لأنَّهُ ناظرٌ إلى كتابِ (تنقيح المَقَالِ) لِلعلَّامةِ المامقاني ،وناقدٌ لهُ

4- قضاءُ أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ (عليه السَّلام) : ذكرَ المُصَنِّفُ فيهِ أنواعَ القضايا التي حكمَ فيها الإمامُ سواء في زمنِ النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ واله) أم بعدهُ ، وفي عصرِ الخُلفاءِ أو في خلافتهِ .

5 - الأربعينيات الثلاث : طُبِعَ بعنوان (الأربعين حديثاً) [1] .

6- جوامعُ أحوالِ الأئمةِ (عليهم السَّلام) : طُبِعَ هذا الكتابُ في مُلحق الجزء الحادي عشر من كتاب (قامُوس الرِّجال) .

7- بهجُ الصّباغةِ في شرحِ نهجِ البلاغةِ : وهو مدارُ البحثِ ،وقد طُبِعَ في أربعةَ عشرَ مُجلَّداً .

8- الأوائل : بحثَ فيهِ عن أوائل الأشياءِ ،وقد طُبِعَ في مُجلَّدٍ واحدٍ .

9- البدائع : وهو يشتملُ على حِكاياتٍ وقصصٍ ،ونُكتٍ ،ولطائفٍ أدبيِّةٍ .

10- الأخبار الدَّخيلة : بحثَ فيهِ المُصَنِّفُ عن الأخبارِ الموضوعةِ ،والمدسوسةِ في بعضِ الكُتبِ الحديثيِّةِ ،وقد حازَ هذا الكتابُ الجائزةَ الأولى في حفلةٍ تكريميِّةٍ أقامتْها وزارةُ الارشاد الإسلاميَّة في سنةِ (1403هـ) [2] .

ارتحلَ الشيخُ التُّستريُّ إلى رحمةِ ربِّهِ في يومِ الجُمُعَةِ التاسع عشر من شهرِ ذي الحِجَّةِ الحرام سنة (1415هـ) ، ودُفِن في بلدتهِ تُستَر في ايران [3] .

---

1) ينظر : قاموس الرِّجال : 1 / 6 - 7

2) ينظر : المصدر نفسه : 1 / 7 .

3) ينظر : موسوعة أحاديث أهل البيت : تأليف الشيخ هادي النجفي ، دار إحياء التُراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2002م ، 12 / 420 .

الحِجاجُ في اللغة :

تحدثَ الفراهيدي عن المصدرِ ، والفعلِ ، والجمعِ لِكلمةِ (الحُجَّة) ، قالَ : " والفعلُ حاجَجْتُهُ ، فَحَجَجْتُهُ واحتَجَجْتُ عليه بِكذا ، وجمعُ الحُجَّةِ : حُجَجٌ ، والحِجاج : المصدر " [1] ، وقالَ الجوهريُّ : " هو رجلٌ مِحجاجٌ ، أي جدلٌ " [2] ، وجاءَ عن أحمد بن فارس في مادة (حجَّ) " يُقالُ : حاجَجْتُ فُلاناً أي غَلَبْتُهُ ، وذلك الظفرُ عند الخُصُومة ... والمصدر : الحِجاج " [3] .

قالَ ابنُ منظور : معنى " الحُجَّة : البُرهان ، وقِيل : الحُجَّة ما دُوفِعَ بهِ الخصم ، وقالَ الأزهريُّ : الحُجَّة الَّذي يكونُ بهِ الظفرُ عند الخُصُومةِ وهو رجُلٌ مُحاجِجٌ ، أي جَدِلٌ ، والتَّحاجُج : التَّخاصُم ، وجمع الحُجَّة : حُجج ، وحِجاج ، وحاجَّهُ مُحاجَّة ، وحِجاجاً : نازعَهُ الحُجَّةَ ، وحجَّ يحُجُّ حجَّاً : غَلَبَهُ على حُجَّتِهِ ، وفي الحديثِ : فَحَجَّ آدمُ موسى ، أي غَلَبَهُ بالحُجَّةِ ، واحتَجَّ بالشيءِ اتَّخَذَهُ حُجَّةً ، قالَ الأزهريُّ : إنَّما سُمِّيَتْ حُجَّةً ؛ لأنَّها تَحُجُّ ، أي تقصِدُ ؛ لأنَّ القصدَ لها ، وإليها ، وفي حديثِ الدَّجَالِ : إن يخرُجَ ، وأنا فيكُم ، فأنا حجيجُهُ ، أي مُحاجُّهُ ، ومُغالِبُهُ بإظهارِ الحُجَّةِ عليهِ ، والحُجَّة الدليلُ ، والبُرهان " [4] ، وفي القاموس المُحيط في مادة " حَجَجَ : الحجُّ : القصدُ ، والكَفُّ ، والقُدُومُ ... والغَلَبَةُ بالحُجَّةِ ... والمِحْجَاجُ : الجَدِلُ ... والتَّحاجُّ : التَّخاصُم " [5] .

---

1) كتاب العين : أبو عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د . مهدي المخزومي ، و د . إبراهيم السامرائي ، دار الحُريَّة للطباعة ، بغداد ، 3 / 10 .

2) الصِحاح تاج اللغة وصِحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري (ت 393هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفُور عطَّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 4 / 1987م ، 1 / 304 .

3) مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (ت 395هـ) ، تحقيق : عبد السَّلام محمَّد هارون ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، 2 / 30 .

4) لسان العرب : أبو الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مُكرِم بن منظور (ت 711هـ) ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1300هـ ، 2 / 228 .

5) مُعجم القاموس المُحيط : مجد الدِّين محمَّد بن يعقُوب الفيروز آبادي (ت 807هـ) ، رتَّبهُ وصحَّحَهُ : إبراهيم شمس الدِّين ، شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2012م ، 287 .

الحِجاجُ في الاصطلاح :

ذُكِرتْ تعاريفٌ ، وحدُودٌ كثيرةٌ لِلحِجاجِ ، تلتقي في بعضِ الجهاتِ ، وتختلفُ في جهاتٍ أخرى سَتذكرُ الدِّراسةُ جُملةٌ من هذهِ التعاريف ،وهي كالآتي :

1- " الحِجاجُ هو توجيهُ خِطابٍ إلى مُتَلَقٍّ ما ؛ لأجلِ تعديلِ رأيهِ ، أو سلُوكِهِ ، أو هُما معاً ، وهو لا يقومُ إلَّا بالكلامِ المُتألِّفِ من مُعجمِ اللغةِ الطبيعيةِ " [1]

2 - " إنَّ الحِجاجَ جنسٌ خاصٌ من الخِطابِ يُبْنَى على قضيَّةٍ ، أو فرضيَّةٍ خِلافيَّةٍ ، يعرضُ فيها المُتكلِّمُ دعواهُ مدعُومةً بالتبريراتِ عَبْرَ سِلْسِلَةٍ من الأقوالِ المُترابطةِ ترابطاً منطقيّاً قاصداً إلى إقناعِ الآخر بِصدقِ دعواهُ ، والتأثيرِ في موقفِهِ ، أو سلُوكِهِ تِجاه تِلكَ القضيَّة " [2]

3- " إنَّ الحِجاجَ هو تقديمُ الحُجَجِ ،والأدلَّةِ المؤديَّةِ إلى نتيجةٍ معيَّنةٍ ،وهو يتمثلُ في إنجازِ تسلسُلاتٍ استنتاجيَّةٍ داخلَ الخِطابِ، وبعبارةٍ أخرى: يتمثلُ الحِجاجُ في إنجازِ مُتَواليات من الأقوالِ ،بعضُها هو بمثابةِ الحُجَجِ اللغويَّةِ ،وبعضُها الآخر، هو بمثابةِ النتائجِ التي تُسْتَنْتجُ منها " [3]

4- " الحِجاجُ نشاطٌ لُغَويٌّ يتوسلُ بِطُرقِ الاستدلالِ غير الصُوريَّةِ ،والغرضُ منهُ إقناعُ المُخاطَبِ لإصابةِ الحقِّ ،أو تحقيقِهِ " [4]

5 - " وحدُّ (الحِجاج) أنَّهُ فعاليَّةٌ تداوليَّةٌ جدليَّةٌ ،فهو تداوليٌّ ؛لأنَّ طابعَهُ الفكري مقاميٌّ واجتماعيٌّ ،إذ يأخُذُ بعينِ الاعتبارِ مُقتَضياتِ الحالِ من معارفَ مُشتَركةٍ ،ومطالبَ إخباريَّة وتوجهاتٍ ظرفيَّةٍ ،ويهدِفُ

---

1) مدخلٌ إلى الحِجاج أفلاطون وآرسطو وشاييم بيرلمان : د . محمَّد الولي ، بحثٌ في مجلَّة عالم الفكر ، المُجلَّد (40) ، العدد (2) ، السنة (2011م) ، دولة الكويت ، 11

2) النَّصُ والخطابُ والاتصالُ : د . محمَّد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ـ مصر ، 147

3) الحِجاج والمعنى الحِجاجي :أبو بكر العزاوي ، (بحثٌ) ضمن كتاب (التَحاجُج طبيعتُهُ ومجالاتُهُ ووظائفُهُ : تنسيق : حَمُو النَّقَّاري) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرِّباط ، ط 1 / 2006م ، 57 .

4) نظريةٌ نسقيَّةٌ في الحِجاجِ المُقاربة الذريعيَّة الجدليَّة : فرانز فان إيمرن ، روب غروتندورست ، ترجمة : عبد المجيد جحفة ، دار الكتاب الجديد المُتجدة ، بنغازي ـ ليبيا ، ط 1 / 2016م ، 11 .

إلى الاشتراكِ جماعيَّاً في إنشاءِ معرفةٍ عمليَّةٍ إنشاءً مُوجَّهاً بقدرِ الحاجةِ ، وهو أيضاً جدليٌّ ؛ لأنَّ هَدَفَهُ إقناعيٌّ قائمٌ بُلُوغَهُ على التزامِ صُورٍ استدلاليَّةٍ أوسع ، وأغنى من البِنياتِ البُرهانيَّةِ الضيِّقةِ " [1] .

6- " يُعرِّفُ بيرلمان ، وصاحبتُهُ تيتكاه الحِجاجَ انطلاقاً من موضوعهِ بِقولِهما : موضوعُ الحِجاجِ هو درسُ تِقَنيَّاتِ الخِطابِ التي من شأنِها أن تؤديَ بالأذهانِ إلى التسليمِ بِما يعرضُ عليها من أطروحاتٍ ،أو تزيدُ في درجةِ ذلك التسليم " [2] .

7- يُعرِّفُ " بيير أوليرون ... الحِجاجَ بأنَّهُ مسعى يُحاولُ بهِ فردٌ - أو جماعةٌ - إقناعَ مُخاطَبٍ بتبني موقفٍ ما ، وذلِكَ بالاستعانةِ بتمثيلاتٍ ،أو دَعاوى - حُجج - تهدِفُ إلى البرهنةِ على صحةِ الموقفِ ، أو شرعيتهِ ويقومُ على عِدَّةِ عناصرَ : الَّذين ينتجونَهُ ،والَّذين يستقبلونَهُ ،وعند الاقتضاءِ جمهورٌ ،أو شُهودٌ ،فهو إذن ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ " [3] .

8 - " إنَّهُ طائفةٌ من تِقنيَّاتِ الخِطابِ التي تقصِدُ إلى استمالةِ المُتَلَقِين إلى القضايا التي تعرضُ عليهم ، أو إلى زيادةِ درجةِ تلك الاستمالةِ ،وعلى هذا الأساسِ من الطبيعي أن يكونَ مَجالُ الحِجاجِ هو المُحتَملُ والمُمكنُ ،والتقريبي ،والخلافي ،والمُتَوقعُ ،وغيرُ المؤكَّدِ " [4] .

يُلاحظُ أنَّ هذهِ التعاريف على المستوى الاصطلاحي لِلحِجاجِ تكادُ تتفقُ على أنَّ الهدفَ من الحِجاجِ هو إقناع ، أو تعديل رأي المُتلقي ، أو سلُوكِهِ اتجاه قضيَّة ما ، وأنَّ هذا الحِجاجَ الاستدلالي غيرُ صُوري ،فهو لا يتبنى القواعد العقليَّة ، والقوانين البُرهانيَّة المُستخدمة في المنطق الأرسطي ، لأنَّ القياسَ المنطقي " ينتمي في الأصلِ إلى مجالِ الاستدلالاتِ الاستنباطيَّة .... بينما ينتمي الحِجاج إلى

---

1) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : د . طه عبد الرَّحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدَّار البيضاء ، ط 2 / 2000م ، 65 .

2) الاستدلال الحِجاجي التداولي وآليات اشتغالهِ : د . رضوان الرقبي ، (بحثٌ) في مجلَّةِ عالم الفكر ، المجلَّد (40) ، العدد (2) ، السنة (2011م) ، 83 .

3) المصدر نفسه : 82

4) مقدمة كتاب الحِجاج مفهومهُ ومجالاتُهُ (دراسات نظريَّة وتطبيقيَّة في البلاغة الجديدة) : إعداد وتقديم : حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، ط 1 / 2010م ، 1 / 4 .

مجال الخِطاب الطبيعي " [1] ، ومن الفروق الأخرى بين القياس المنطقي ، والحِجاج اللغوي، أو البلاغي هو أنَّ القياسَ المنطقي لا ينظرُ إلى الذات الإنسانيَّة ـ في عملية الاستنباط ـ فهو مستقلٌ من هذهِ الناحية ، بينما الحِجاجُ يستدعي طرفين ،أو أطراف ، أي ينظرُ إلى الذات الإنسانية ،فمن عناصر الحِجاج المُخاطِب ،والمُتلقَّي حيثُ " يتميَّزُ البُرهان باستقلالهِ التام عن الذات الإنسانية ، وما يتعلَّقُ بها ،فالأصلُ في البِناءاتِ البُرهانيَّة أنَّها جُملةٌ من العلاقاتِ الموضوعيَّة القائمة بذاتِها ،والمُستندة على قوانين عامَّة تستمدُّ قُوَّتها من ذاتِها ،وتفرضُ سيطرتَها على غيرِها ... بخلافِ ذلك لا يكونُ لِلعلاقةِ الحِجاجيَّة ، أي معنى إذا لم نستحضرْ سِياقَ تداولِها الإنساني الخاص ، فالمُخاطِب بالحِجاجِ يُمثِّلُ رُكناً اساسيَّاً في سيرورةِ الفعل الحِجاجي وبالتالي ، فالحِجاج لامعنى لهُ إلَّا باستحضارِ المُخاطَب بهِ " [2] .

كذلك يتميَّزُ القياسُ المنطقي بأنَّهُ يدورُ في دائرة اليقين ، والقطع بينما يدورُ الحِجاجُ في مَجال المُحتَملِ ، والخلافي ، والمُمْكنِ ، وغير اليقين ، فهو يبتني على الاختلافِ في الآراءِ ، والأفكارِ ممَّا يجعلُ البابَ مفتُوحاً لِلنقاشِ ، والأخذِ ، والرَّدِ [3] .

1) الحِجاج والبرهان : رشيد الراضي ، (بحثٌ) ضمن كتاب (الحِجاج مفهومُهُ ومجالاتُهُ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة : إعداد وتقديم : حافظ اسماعيلي علوي)، عالم الكتب الحديث ، إربد ـ الأردن ، ط 1 / 2010م ، 1 / 185 ، وينظر : الحِجاج والمواطنة : د . توبي لحسن ، دار رؤية ، القاهرة ـ مصر ، ط 1 / 2014م ، 80 .

2) الحِجاج والبُرهان : 1 / 188 - 189

3) ينظر : مقدمة كتاب الحِجاج مفهومه ومجالاته : 1 / 4 .

نظرياتُ الحِجاجِ :

أوَّلاً ـ الحِجاج البلاغي لبيرلمان وتيتكاه :

أطلقَ بيرلمان مصطلح (الخطابة / البلاغة الجديدة) عام (1958م) على دِراسةٍ تستعملُ الحِجاجَ بوصفهِ خطابةً هدفُها استمالةَ ذهنِ المُتلقِّي ،والتأثير في فكرهِ ، وسلُوكهِ ، أي : الإقناع [1] .

اهتَمَّ بيرلمان وزميلتُهُ تيتكاه بالبلاغةِ الجديدةِ حيثُ رَبَطاها بالحِجاجِ ، والإقناعِ ، إذ تأثَّر بيرلمان " بالفيلسوف اليوناني أرسطو ، ومِن ثَمَّ لا يرى بيرلمان أيَّ فرقٍ بين البلاغةِ ، والحِجاجِ مادامَ هَدَفُهُما واحداً هو الإقناعُ والتأثيرُ على حدٍّ سواء ، وأكثر من ذلك ، فالبلاغةُ حِجاجيَّةٌ بامتيازٍ ، ويعني هذا أنَّ الصُّور البلاغية والمُحسناتِ البديعيَّة ذاتُ وظيفةٍ حجاجيَّةٍ " [2] .

الخطابة " البلاغة الجديدة ،هو العنوان الفرعي الَّذي اختارَهُ بيرلمان ،وتيتكاه لكتابِهما (مُصنَّفٌ في الحِجاجِ) ، وهو مؤلَّفٌ اهتَمَ فيه صاحِبَاهُ بتصنيفِ آلياتِ الحِجاجِ باعتبارِها تقنيَّةً خاصةً ،ومُميَّزة لِدراسةِ المنطق التشريعي ، والقضائي على وجه التَحديدِ " [3] ،لقد شيَّد بيرلمان " البلاغةَ المعاصرةَ على أسُسٍ حِجاجيَّةٍ ، ومنطقيَّةٍ ، وفلسفيَّةٍ محضةٍ، متأثراً في ذلك بأرسطو صاحب كتاب (الريطوريقا / البلاغة) يعني هذا أنَّ بيرلمان قد تمثَّل المنهجَ الأرسطي في التعاملِ مع البلاغةِ في ضوءِ رؤيةٍ حِجاجيَّةٍ إقناعيَّةٍ " [4] . إنَّ تصوَّر بيرلمان للخطابةِ (البلاغة الجديدة) لا يُمكنُ إدراكُهُ " إلَّا بربطهِ بسياقِ ظهورهِ فقد ظهرَ الكتابُ في بدايةِ النصف الثاني من القرن العشرين (1958م) ، هذا السياقُ الَّذي عرفَ المجتمعُ الأوربيُّ خلالَهُ تحوَّلاتٍ جذريَّةٍ عميقةٍ شملتْ مجالاتِ السياسةِ ، والاقتصاد ، والايديولوجيا ... وكانَ من نتائجَ هذا التَحوُّل سيادةُ ثقافةٍ ديموقراطية تُكرِّسُ التنوُّعَ ،والاختلافَ ، وتنبذُ العُنفَ ، والقمعَ وتستهجنُهُما فكانت الحاجةُ ماسةً إلى نمطٍ جديدٍ من الخطابةِ (البلاغة) " [5] . إنَّ أهمَ هدفٍ ، وغايةٍ من تأليف بيرلمان ، وتيتكاه لكتابِ (مُصنَّف في الحِجاج) ، هو إخراجُ الحِجاجِ من دائرةِ الخطابةِ والجدلِ ، وجعلَهُ مفهوماً مُستقِلاً لهُ قوانينُهُ ،وآلياتُهُ ،ومنطلقاتُهُ ، هذا من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى تخليصُ الحِجاجِ من سلطةِ وصرامةِ الاستدلالِ المنطقي الَّذي يجعلُ المُخاطَبَ في حالةِ استسلامٍ ، واستلابٍ لِرأيهِ وسلُوكهِ [6] .

---

1) ينظر : البلاغة والاتصال : د . جميل عبد المجيد ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ـ مصر ،(د . ط) ، 105.
2) من الحِجاج إلى البلاغة الجديدة : د . جميل حمداوي ، أفريقيا الششرق ، المغرب ، (د . ط) ، 80 .
3) مقدمة كتاب الحِجاج مفهومه ومجالاتُه : 1 / 5 .
4) من الحجاج إلى البلاغة الجديدة : 81 .
5) مقدمة كتاب الحجاج مفهومه ومجالاتُهُ : 1 / 9 .
6) ينظر : الحِجاج أطره ومنطلقاته وتقنيَّاته من خلال (مصنَّف في الحِجاج / الخطابة الجديدة) لبيرلمان وتيتكاه : عبد الله صولة ، (بحث) ضمن كتاب (أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : إشراف : حمَّادي صمُّود) ، 298 .

إنَّ بيرلمان يُؤثِرُ تقاربَ الحِجاجِ مع الخطابةِ دون الجدلِ لِسببين : هما : **الأول : المقاميَّة :** إنَّ الاستدلالَ في الجدلِ منطقيٌّ محضٌ ،وليس شخصيَّاً ، أي : لا يُنظر في الجدلِ إلى خصوصية المُتلقي ، ولا يُنظر إلى البيئةِ الثقافيةِ ، والاجتماعيةِ التي يعيشُ فيها ، أمَّا الخطابةُ ، فهي مقاميَّةٌ ؛ لأنَّها تنظرُ إلى خصوصية المُتلقي ، وما يتميَّزُ به من جوانب عقليَّةٍ ونفسيَّةٍ ، وما يحيا فيه من بيئةٍ ثقافية ، واجتماعية وهذا ما يُؤكِّدُ عليه بيرلمان كثيراً ، فهو يرى أنَّ الحِجاجَ يتغيَّرُ بحسبِ المُتلقي ، فالمُتلقي هو مركزُ ومحورُ الحِجاجِ [1] . **الثاني :** إنَّ الجدلَ ينطلقُ في الاستدلالِ من مشهوراتٍ مُتَّفقٍ عليها ، وهذا ما يجعلُ المُتلقي مُضطراً ، ومجبُوراً على القبولِ بالنتائجِ ، وهذا فيه نوعٌ من الجبرِ ، والقهرِ ، والقسر الفكري ، أمَّا الخطابةُ ، فحيثُ أنَّها تنطلقُ في الاستدلالِ من مُحتملاتٍ ، فهي تبتعدُ بالمُتلقي عن الخضُوعِ والقسرِ ، والاضطرارِ ، فهو يُسلِّمُ بالنتائجِ بعد مُناقشةِ المُحتملاتِ ، والمُقدماتِ [2] .

تبيَّن عن طريقِ ما تقدَّمَ أنَّ بيرلمان تأثَّرَ في دراستهِ بأرسطو ، فقد " انطلقَ من أفكارِ أرسطو حول البلاغةِ شرحاً ، وتوسيعاً ، ومُناقشةً ... إنَّ بيرلمان يُوجزُ فكرتَهُ حولَ البلاغةِ بأنَّها بمثابةِ برهنةٍ استدلاليةٍ أو فلسفية؛ لِلتمييزِ بين الأفكارِ القيِّمةِ ، وغيرِ القيِّمةِ ،وفرزِ الحُججِ الصائبةِ من الخاطئةِ علاوةً على ذلك ، فإنَّ أهميَّةَ نظريتِهِ الحِجاجيَّةِ تكمُنُ في تبيانِ العلاقةِ الكائنةِ بين البلاغةِ والمُخاطَبِ " [3] ،عن طريقِ ذلك يمكنُ القولُ أنَّ الرأيَ القائلَ بعدم تأثير الخطابةِ ، والبلاغةِ القديمةِ في النظرياتِ الحِجاجيَّةِ الحديثةِ ، رأيٌّ يصعبُ التسليمُ بهِ ، والركونُ إليهِ ،فإنَّ مُصنَّفَ " بيرلمان ، وتيتكاه هو إقرارٌ صريحٌ بأثرِ الخطابةِ القديمةِ في الحِجاجِ الحديثِ ،بل إنَّ المُتصفحَ لهذا العملِ يُدرِكُ بوضوحٍ أنَّه سعيٌّ حثيثٌ لبعثِ الخطابةِ القديمةِ ،لكن من منظورٍ معاصرٍ يُحيي البُرهانَ الأرسطي ،ويبعثُ الرُوحَ أيضاً في العناصرِ الهامَّةِ التي أهمِلتْ في هذا البُرهانِ " [4] . لقد تحدثَ بيرلمان ،وتيتكاه عن غايةِ الحِجاج ،فقالا : " غايةَ كُلِّ حِجاجٍ أن يجعلَ العقولَ تُذعِنُ لِما يُطرَحُ عليها ، أو يزيدُ في درجةِ ذلك الإذعان ،فأنجعُ الحِجاجِ ما وفَّقَ في جعلِ حدَّةِ الإذعان تقوى درجتها لدى السَّامعين بشكلٍ يبعثُهُم على العملِ المطلوبِ (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفَّقَ على الأقلِ في جعلِ السَّامعين مُهيَّئين لذلك العمل في اللحظةِ المناسبةِ " [5] من السِمات التي وسمتِ الخطابةَ (البلاغة الجديدة) لبيرلمان مركزيَّةُ المُتلقي ، وأهميتُهُ ، فقد أصبحَ له دورٌ فاعلٌ في الخطابِ ،فلم يعدْ دورُهُ التلقي فقط ، بل صار يُناقشُ، ويدعمُ هذا الرأي ، ويُفندُ الرأي الآخر : أي صارت العلاقةُ بين المتكلِّم ،والمُخاطَبِ علاقةً عرضيَّة ،بعد أن كانت العلاقةُ بينهما طوليَّةً

1) ينظر : البلاغة والاتصال : 109- 110
2) ينظر : المصدر نفسه : 110
3) من الحِجاج إلى البلاغة الجديدة : 81
4) مناهج الدراسات الأدبيَّة الحديثة من التاريخ إلى الحِجاج : د . حسن مسكين ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ـ لبنان ط 1 / 2010م ، 158 .
5) في نظرية الحِجاج (دراسات وتطبيقات) : عبد الله صولة ، مسكيلياني للنشر ، ط 1 / 2011م ، 12 .

أي تحوَّل المُتلقي من موقع التلقي فقط إلى موقع التلقي ، والإرسال ،فالطرفان (المُتكلِّم والمتلقي) يتبادلان المواقعَ فيما بينهما [1] .

وظائفُ الحِجاج البلاغي وملامحُهُ :

جعلَ بيرلمان للخطاب الحِجاجي وظائفَ معيَّنةً ،هي :

" 1 ـ الإقناعُ الفكري الخالص

2ـ الإعدادُ لِقَبُولِ أطروحةٍ ما

3ـ الدفعُ إلى العملِ " [2]

كذلك صبغَ بيرلمان خطابَهُ الحِجاجي بخمسةِ ملامح رئيسة ، على النحو الآتي :

1ـ أن يتوجَّه الخطاب الحِجاجي إلى مُستمِعٍ .

2ـ أن يُعبَّرَ عن الخطابِ بلغةٍ طبيعيَّة .

3ـ المُسلَّماتُ التي يعتمدُ عليها المُتكلِّمُ في خطابِهِ الحِجاجي لا تعدو أن تكون احتماليَّةً .

4ـ لا يحتاجُ في تقديمهِ إلى ضرُورةٍ منطقيَّةٍ .

5ـ نتائجُ الخِطاب الحِجاجي ليستْ مُلزِمَةً [3] .

---

1) ينظر : مقدمة كتاب الحِجاج مفهومه ومجالاته : 1 / 10 .
2) المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي : محمَّد العمري ، مجلَّة دراسات سيميائية أدبيَّة لسانيَّة ، العدد (5) ، السنة 1999م ، 20 .
3) ينظر : الاستدلال الحِجاجي التداولي وآليات اشتغالهِ : رضوان الرقبي ، (بحثٌ) مجلَّة عالم الفكر ، العدد (2) ، المجلَّد (40) ، السنة (2011م)، 83 ، وينظر : مفهوم الحِجاج عند بيرلمان وتطوَّره في البلاغة المعاصرة : د . محمَّد سالم محمَّد الأمين ، (بحثٌ) مجلَّة عالم الفكر ، العدد (3) ، المجلَّد (28) ، السنة (2000م) ، 61 .

مُنطلقاتُ الحِجاجِ :

إذا أرادَ المُتكلِّمُ إقناعَ المُخاطَبِ بِحجاجِهِ ، فإنَّهُ يستخدمُ مُقدِّماتٍ - في استدلالِهِ على قضيَّةٍ ما - تُشكِّلُ مُنطلقاتٍ تبني خطابَهُ الحِجاجي ، ومن هذهِ المُقدَّماتِ : الوقائع ، والحقائق ، والافتراضات والقِيم والهرميَّات ، والمعاني ، أو المواضع .

1- الوقائع : هي التي تكونُ مُشتركةً بين مجموعةٍ من النّاسِ ،أو بين جميعِ النَّاسِ ،وهذهِ الوقائعُ غيرُ قابلةٍ للتفنيدِ ، أو التشكيكِ ،وتُعدُّ نقطةَ انطلاقٍ مهمةٍ في الحِجاج ، وهي تنقسمُ إلى وقائعَ مُشاهدةٍ ،ووقائعَ مُحتَملةٍ .

2- الحقائق : تُمثِّلُ هذهِ المُقدِّماتُ النظريات الفلسفيَّة ، والدينيَّة التي لا تمتدُّ إليها يدُ التجربةِ .

3- الافتراضات : هذهِ المُقدماتُ يوجدُ عليها موافقةٌ عامةٌ ،لكنَّها ليستْ بمُستوى الوقائعِ والحقائقِ ،إذ تحتاجُ في السياق الحِجاجي إلى عناصرَ أخرى تزيدُ من قُوَّتِها حتى تحظى بالقبولِ ،والتسليمِ ،ومدارُ هذهِ المُقدَّماتِ الاحتمالاتُ ، وهي تتغيَّرُ بتغيَّرِ الحالاتِ .

4- القِيم : تُعدُّ القِيمُ من المُرتكزاتِ الأساسيَّةِ في الخِطاب الحِجاجي ،وبخاصةٍ في الحِجاجِ القانوني والسياسي ، والفلسفي ، ويُعوَّلُ عليها كثيراً في جعل المُتلقي يُذعِنُ لِما يُطرحُ عليهِ من آراءٍ، وأفكارٍ، وهي على قسمين : قِيمٍ مُجرَّدةٍ كالعدلِ، والصدقِ، وقِيم محسوسةٍ كالوطنِ ،والأماكن المُقدَّسةِ [1] .

5- الهرميَّات : يُمكنُ أن نصفَ الهرميَّات بأنّها السُلَّمُ الَّذي تتدرجُ فيهِ القِيمُ ، وتتفاضلُ في ما بينها وهي قسمان : مُجرَّدةٌ ،كقولِنا : العدلُ أفضلُ من الشَّجاعةِ ،ومحسُوسةٌ ،كقولِنا : المؤمنُ الَّذي يتصدَّقُ بمالٍ كثيرٍ أفضلُ من المؤمنِ الَّذي يتصدَّقُ بمالٍ قليلٍ [2] .

---

1) ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة : د. عبد اللطيف عادل ، منشورات الاختلاف - الجزائر ، ط 1 / 2013م ،87 - 88 ، وينظر : الحِجاج أطرُهُ ومنطلقاتُهُ وتقنيَّاتُهُ من خلال (مصنَّف في الحِجاج / الخطابة الجديدة) لبيرلمان ،وتيتكاه ، عبد الله صولة ، (بحثٌ) ضمن كتاب (أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من آرسطو إلى اليوم) إشراف : حمَّادي صمَّود ، 308 ، 310 .

2) ينظر : في نظرية الحِجاج (دراسات وتطبيقات) : عبد الله صولة ، 26 ، 28 ، وينظر : مبادئ في الدرس الحِجاجي : لعلاونة محمَّد الأمين ، دار المجدِّد للنشر والتوزيع ، الجزائر (د . ط) ، 48 .

6- المعاني أو المواضع : يصفُ الباحثُونَ هذهِ المُقدِّمةَ بأنَّها مخازنٌ ،ومستودعاتٌ لِلحُججِ تُحدِّدُ المواضعُ الأنماطَ العلميَّةَ ، أو الأدبيَّةَ ،كما تُحدِّدُ الخصائص التي يمتازُ بها شعبٌ من الشُعُوبِ ،فالمواضعُ من الطرائقِ المُهمَّةِ التي يستخدِمُها المُتكلِّمُ في التصديقِ ، وهي أنواعٍ :

أ ـ مواضعُ الكمِ : تُثبتُ هذهِ المواضعُ أنَّ شيئاً أفضلُ من شيءٍ آخر بسبب الكمِ ، لا بسببِ النَّوعِ ، كقولِنا : المالُ الكثيرُ أفضلُ من المالِ القليلِ .

ب ـ مواضعُ الكيفِ : هي تنظرُ في المُفاضلةِ بين الأشياءِ ، أو الأفعالِ على أساسِ النَّوعِ والمعنى ، فمثلاً : طريقُ الحقِّ هو الطريقُ الصحيحُ ، وإن قلَّ سالِكُوهُ ،وهناك مواضعُ أخرى ، كمواضعِ الترتيبِ ، ومواضعِ الموجودِ ، وغيرِها [1] .

1) ينظر : في نظرية الحِجاج (دراسات وتطبيقات) : 26، 28 ، وينظر : مباديء في الدرس الحِجاجي ، 48 .

ثانيا ـ الحِجاجُ اللُّغوي :

تعدُّ نظريةُ الحِجاجِ في اللغةِ للباحثين (ديكرو، وانسكومبر) الفرنسيين من النظرياتِ اللسانيِّة التي تهتمُ بالوسائلِ اللغوية ، وبإمكاناتِ اللغاتِ الطبيعيَّة ؛ لِتُشكِّلَ تيَّاراً تداوليَّاً تأثَّرَ بنظرية الأفعالِ اللغوية التي وضعها أوستين ، وسورل[1] " ثُمَّ قامَ ديكرو بتطويرِ آرائِهما المُتعلِّقةِ بالأفعالِ اللغوية فأضافَ فعلين هما : 1ـ فعل الحِجاجِ 2 ـ فعل الاقتضاء " [2] كما تأثرتْ هذهِ النظريةُ " بأبحاثِ بنيفست حول التلفُظِ وحوارية باختين " [3] ، ويرى كُلٌّ من ديكرو ، وانسكومبر أنَّ الوظيفةَ الأساسيِّةَ للغةِ هي الحِجاجُ ، أمَّا الإخبارُ ، والإعلامُ ،فهي وظيفةٌ ثانوية ،فالحِجاجُ أولاً وبالذات ، والإخبارُ ثانياً ،وبالعَرَضِ [4] .

تختلفُ نظريةُ الحِجاجِ في اللغةِ لديكرو ، وانسكومبر عن نظرية (البلاغة الجديدة) لبيرلمان وتيتكاه ،حيثُ يرى الأخيران أنَّ الخطابَ الحِجاجي يعتمدُ بشكلٍ أساسٍ على المباحثِ البلاغية والفلسفية والمنطقية ،في حين يعتمدُ كُلٌّ من ديكرو ، وانسكومبر على الأقوالِ اللغوية نفسِها وتسلسُلِها داخل الخطاب [5] ؛ لِتُبيِّنَ هذهِ النظريةُ " أنَّ اللغة تحملُ بصفةٍ ذاتيةٍ ، وجوهريةٍ وظيفةً حِجاجيَّةً ، وبعبارةٍ أخرى هناك مؤشراتٌ لهذهِ الوظيفةِ في بِنية الأقوالِ نفسِها " [6] .

---

1) ينظر : بلاغة الإقناع دراسة نظرية تطبيقية : عبد العالي قادا ، دار كنوز المعرفة ،عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2016م ، 177 .

2) الحِجاج في الدرس اللغوي الغربي : بوزناشة نور الدين ، بحث في مجلّةِ علوم انسانية ، العدد (44) ، السنة (2010م) ، 18 .

3) بلاغة الإقناع دراسة نظرية تطبيقية : 177 .

4) ينظر : نظرية الحِجاج في اللغةِ في الدراسات العربية المعاصرة : عُمر بو قمرة ، بحثٌ في مجلَّة العاصمةِ ، المجلَّد (9) ، السنة (2017م) ، 166 .

5) ينظر : بلاغة الإقناع دراسة نظرية تطبيقية : 177 .

6) اللغة والحِجاج : أبو بكر العزاوي ، العُمدة في الطبع ،الدار البيضاء ـ المغرب ، ط 1 / 2006م ، 14 .

تعتمدُ نظريةُ الحِجاجِ اللُّغوي على ثلاثةِ أسسٍ ، هي :

1- وظيفةُ اللغةِ هي الحِجاج .

2- البُعدُ الحِجاجي في الكلامِ هو الأساس ،والبُعدُ الإعلامي ،والإخباري هو الثانوي .

3- عدمُ الفصلِ بين الدِّلالةِ (وموضوعها ،معنى الجُملة) ، **والتداوليَّة** (وموضوعها ، استعمال الجُملة) [1] ، ولابدَّ من الإشارةِ إلى وظيفةٍ أساسيَّةٍ لِلحجاج اللغوي عند ديكرو ، وانسكومبر ، ألا وهي التوجيه ، أي " أنَّ غايةَ الخِطابِ الحِجاجي تتمثَلُ في أن تفرضَ على المُخاطَبِ نمطاً من النتائجِ " [2] وبعبارةٍ أخرى : أن يقومَ المُتكلِّمُ بتقديمِ قولٍ ،أو مجموعةِ أقوالٍ مُعيَّنةٍ هدفُهُ منها " حملُ المُخاطَبِ على القبولِ بقولٍ آخر " [3] ، أو مجموعةِ أقوالٍ أخرى تكونُ هي النتيجةُ التي يُريدُ المُتكلِّمُ إقناعَ المُخاطَبِ بها وهذا التوجيهُ " تُحدِّدُهُ البِنية اللغوية لِلخطابِ " [4] ،فمثلاً لو ذَكَرَ المُتكلِّمُ مجموعةً من الأقوالِ بصُورةٍ تدريجية تسلسُليَّة ؛لِتُؤدي إلى قولٍ آخر (نتيجة معيَّنة) هي (كفاءة زيد) ،فيقولُ : (أ) زيدٌ حصلَ على البكالوريوس ، (ب) زيدٌ حصلَ على الماجستير (ج) زيدٌ حصلَ على الدكتوراه ، فنرى أنَّ المُتكلِّمَ تسلسلَ في ذِكرِ الأقوالِ ، والحُججِ ، وهدفُهُ من ذلك توجيهُ المُخاطَبِ ، وإقناعُهُ بقبولِ النتيجةِ ، وهي (كفاءة زيد) ، وهذا التوجيه تُوفِّرُهُ " أبنية اللغة للقائلِ حتَّى يُوجِّهَ خطابَهُ وجهةً ما " [5] .

---

1) ينظر : الحِجاج في الإمتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي : حسين بو بلوطة (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2010م ، 26 .

2) الحِجاجُ في رواياتِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) في كتاب (أصول الكافي) للشيخ الكُليني (ت 329هـ) : عبد الله خلبل زباري ، (أطروحة دكتوراه) ،كلية الآداب ،جامعة الكوفة ، قسم اللغة العربية ، 2020م ، 216 .

3) بلاغة الإقناع في المناظرة : 98 .

4) المصدر نفسه : 99

5) الحِجاج في اللغة : شكري مبخوت ، (بحث) ضمن كتاب (أهم نظريات الحِجاج الغربية من آرسطو إلى اليوم) ،إعداد : حمَّادي صمَّود ، 352 .

الحِجاجُ اللغوي عند ديكرو ، وانسكومبر هو عبارةٌ : عن أقوالٍ مُتسلسلةٍ ، ومُتواليةٍ بعضُها بمثابةِ الأقوالِ ، والحُججِ ،وبعضُها بمثابةِ النتيجةِ [1] . وتتسمُ نظريةُ الحِجاجِ في اللغةِ بِعدَّةِ سِماتٍ ،هي :

أ ـ إنَّها سياقيَّةٌ : فالقولُ (الحُجَّة ، ق1) الَّذي يُقدِّمُهُ المُتكلِّمُ ، والَّذي يُؤدي إلى القولِ (الحُجَّة ،ق2) ومن ثَمَّ تأتي النتيجةُ الايجابية أو السَّلبية ، هذا الكلامُ مِن الحُججِ وصولاً إلى النتيجةِ يحملُ طاقةً حِجاجيةً هذه الطاقةُ الحِجاجية منَحها السِّياقُ للكلامِ [2] .

ب ـ إنَّها نسبيَّةٌ : ومعنى ذلك أنَّ الأقوالَ تختلفُ قوَّةً ، وضعفاً من حيثُ الحُجيِّةِ ، فقد يُقدِّمُ المتكلِّمُ حُجَّةً قويَّةً ؛ لِتدعمَ نتيجةً مُعيَّنةً ، وفي المُقابلِ يُقدَّمُ الخصمُ حُجَّةً أقوى ؛ لدعمِ نتيجةٍ مُضادةٍ [3] .

جـ ـ إنَّها قابلةٌ للإبطالِ : لأنّها ليستْ قضايا بُرهانيَّة حتميَّة لا تحتملُ النقيضَ ، بل هي أقوالٌ نسبيَّةٌ ؛ ولذلك تحتملُ النقيضَ ، فيُمكنُ إبطالُها ، ونقضُها [4] .

1) ينظر : بلاغة الإقناع دراسة نظرية تطبيقية : 179 .
2) ينظر : اللغة والحجاج : 19 .
3) ينظر : المصدر نفسه : 19 .
4) ينظر : المصدر نفسه : 20 .

الفصل الأول

التقنيّات الحِجاجية في كتاب

بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة

توطئةٌ :

تُعدُّ التقنيّاتُ الحِجاجيةُ من أهم ركائز الحِجاج في البلاغة الجديدة عند بيرلمان ،وتيتكاه [1] ؛ لِما " تحمله من طاقات تأثير ، وأفعال توجيه " [2] ، بقصد تأثير هذه التقنيّات الموجودة في الخطاب في المُتلقي ، ومن ثّم إذعانه ، وتسليمه بمضمون الخطاب ، أو زيادة ذلك الإذعان ، ويرى بيرلمان أنّ أهمية الحِجاج لا تكمنُ "في اختيار الحُجج فحسب ،وإنّما في طريقة تنظيمها ، فلكي يكونُ الحِجاج فعّالاً وناجحاً لابدّ أن يكون خاضعاً لنظامٍ يضمنُ له نجاعته ؛ لأنّ المُستمع هاهنا يكون واقعاً تحت تأثير الخطاب ، وبانتفاء النظام لا تؤدي الحُججُ وظيفة التأثير في المُتلقي ، وإقناعه " [3] .

قَسَمَ بيرلمان طرائق الحِجاج (التقنيّات الحِجاجية) إلى طرائق الاتصال ، وطرائق الانفصال ، والمراد من طرائق الاتصال " الطرائق التي تُقرّب بين العناصر المُتباينة بدءً ، وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها ؛ لغاية هيكلتها ،أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة ، أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويماً إيجابياً أو سلبياً " [4] ، أمّا طرائق الانفصال، فهي " تسعى إلى الفصل بين عناصر ربطتِ اللغةُ أو إحدى التقاليد المُعترف بها بينها " [5] .

تنقسم التقنيّاتُ الحِجاجيةُ الاتصالية ـ حسب تقسيم بيرلمان ـ " إلى حُججٍ شبه منطقية ، وحُججٍ مؤسَّسة على بنية الواقع ،وحُججٍ مؤسِّسة لبنية الواقع " [6] ،ويبدو أنَّ هذا التقسيمَ للتقنيَّاتِ الحِجاجيَّة ـ الَّذي قامَ بهِ بيرلمان ـ مُقنِعٌ " لأنَّهُ يُبرِزُ الفوارقَ بين الحُججِ ،ويُظهرُ الخلافاتِ بينها كما يُحيطُ بكُلِّ

---

1) ينظر : تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان : شعبان أمقران ، مجلّة التعليمية ، المجلّد (5) ، العدد (15) ، السنة / 2018م ، 244 .

2) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والإستراتيجيات) : د: علي الشّبعان ، تقديم : حمّادي صمّود ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2010م ، 130 .

3) البنية الحجاجية في شعر عزّ الدّين ميهوبي : فوزية زيار ، أطروحة دكتوراة ، جامعة وهران ، كلية الآداب والفنون ، قسم اللغة والأدب العربي ، الجزائر ، 2019م ، 72 .

4) في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ، د : عبد الله صولة ، مسكيلياني للنشر والتوزيع ، تونس ، ط 1 / 2011م ، 41 .

5) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : الحسين بنو هاشم ، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2011م ، 57 .

6) نظرية الحِجاج عند شاييم بيرلمان : 57 .

الحُججِ تقريباً على نحوٍ يعسرُ معهُ العثُورُ على حُجَّةٍ لا يُمكنُ ردُّها إلى أحدِ الأصنافِ المُتعددة " [1] .

سيعملُ الباحثُ في هذا الفصلِ على بيانِ طرائقَ ، وتقنيَّاتِ الحِجاجِ التي وظَّفها العلامةُ التُّستري في شرحهِ لِنهجِ البلاغةِ مُعتمداً تصنيفَ ، وتقسيم بيرلمان ، وسيقعُ الفصلُ على ثلاثةِ مباحثَ :المبحثُ الأوَّلُ : الحُججُ شُبه المنطقيَّةِ ،المبحثُ الثاني : الحُججُ المؤسَّسةُ على بِنية الواقع ،المبحث الثالث : الحُججُ المؤسِّسةُ لِبنية الواقع .

1) الحِجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : د . سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ـ الأردن ، ط 2 / 2011م ، 190 .

المبحث الأول

الحُجج شبه المنطقيّة في كتاب

بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة

الحُججُ شِبهُ المنطقيّةِ :

تُعدّ هذه الحُججُ قريبةً من الاستدلال الصوري المنطقي ، والرياضي [1] ،بحيث تستمدُّ هذه الحُجج طاقتها الحِجاجية " وقوّتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكليّة ،والمنطقيّة ، والرياضية في البرهنة ، ولكن هي شبهها فحسب ،وليست هي إياها " [2] ؛ لأنّ الحُجج شبه المنطقيّة " ليست حتميّة برهانية ،بل هي مُحتملة نسبية ،ففيها ما يُثير الإعراض " [3] ،فالذي يُميّز بين هذه الحُجج ،وبين الحُجج المنطقيّة ،والرياضية هو طبيعتها " الاحتمالية ، والممكنة ... فهي قابلة للردّ ؛ لكونها ليست منطقيّة " [4] . على الرغم من كون هذه الحُجج ليست منطقيّة ،بل هي شبيهة بها ،ولكنّها " تعتمدُ البنى المنطقيّة مثل التناقض ،والتماثل التام أو الجزئي، ومثل التعدية ،كما تعتمدُ الحُجج شبه المنطقيّة العلاقات الرياضية مثل علاقة الجزء بالكُلّ ، وعلاقة الأصغر بالأكبر ، وعلاقة التواتر " [5] .

الحُجج شبه المنطقيّة على نوعين :

1 ـ الحُجج شِبه المنطقية التي تعتمدُ البِنى المنطقية

2 ـ الحُجج شِبه المنطقية التي تعتمدُ البِنى الرياضية

أوَّلاً : الحُججُ شِبه المنطقية التي تعتمدُ البِنى المنطقية :

أ ـ التناقض وعدم الاتفاق :

يُقصدُ بالتناقض ـ كما في تعريف المناطقة ـ اختلاف القضيتين في الصدق، والكذب بحيث إذا صدقتْ إحداهُما بطلتِ الأخرى ، واشترطَ المناطقةُ مجموعةَ شروطٍ أسموها بالوحدات الثمان (وحدة الموضوع ، والمحمول، والزمان، والمكان ، والقوّة والفعل، والكُلّ والجزء ، والشرط، والإضافة) [6] . أمّا

---

1) ينظر : نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 57

2) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : 325

3) الحِجاج في روايات أهل البيت (عليهم السلام) في كتاب (أصول الكافي) للكليني : عبد الله خليل زباري أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، 2020م ، 188 .

4) تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان : 225 .

5) الحجاج اطره ومنطلقاته وتقنياته : 325 .

6) ينظر : المنطق : الشيخ محمَّد رضا المظفر ، دار الغدير ، قم ـ ايران ، ط 2 / 2003م ، 2 / 163 ـ 164 .

عدمُ الاتفاق فيُقصدُ به وجود أطروحتين ، هاتان الأطروحتان إذا وضعتا على محكِّ الواقع والظروف ، أو المقام ، فسنختار إحدى هاتين الأطروحتين ، ونقصي الأخرى ، فهي خاطئة [1] ، فالتعارض ، وعدم الاتفاق يرتبطُ " بالمقام ، وظروفه التي تُرجّح قضيّة على حساب أخرى حيثُ يمكنُ تأويل الألفاظ بطرقٍ مختلفة بينما ارتبط التناقض بقضايا النفي والإثبات ،والحضور والغياب " [2] ، ويرى بعضُ الباحثين أنّ مجال الحِجاج هو التعارض ، وعدم الاتفاق ،وأمّا التناقض فلا مكان له في دائرة الحِجاج ؛ لأنّ التناقضَ يعتمدُ على قواعد منطقيّة صارمة ، ومُلزِمة ،فهو لا يتأثر بالظروف والمقام [3] .

في حين يرى آخرون أنّ التناقض يجري في الحِجاج ؛ لكون " التناقض لا يردُ اعتباطاً في الكلام ، بل هناك قصديّة من ورائه ، فمتى ما أرادَ المُحاججُ أن يبيّن قضيّة ما ، ويدفعها إلى مُحاججه أنشأ مُفارقةً ؛ ليبيّن الحجّة التي يسعى إلى إقناع مُحاججه بها " [4] ، وترى الدكتورة سامية الدّريدي "أنّ التناقض ... نادرٌ جداً في الحِجاج ... ولكنّه يحتفلُ احتفالاً واضحاً بعدم الاتفاق ، إذ يدفعُ الحِجاج أطروحة ما مُبيّناً أنّها لا تتّفق مع الأخرى " [5] ، ومثالُ ذلِك قولُه تعالى ﴿ وَاتلُ عَلَيْهِم نبأ ابني ءآدمَ بالحقِّ إذ قرَّبا قُرباناً فَتُقُبِّلَ من أحدِهما ولم يُتَقَبَّلُ من الآخر قالَ لأقتلنَّكَ قال إنّما يتقبَّلُ اللهُ من المُتَّقينَ ﴾ [6] ، يذكرُ العلّامة التُستري أطروحتين في هذه الآية الكريمة الأطروحة الأولى ، ما ذكرهُ " الطبري [7] عن الحسن البصري [8] ، " قال : كان الرجلان اللّذان في القرآن ،وقال الله تعالى فيهما { واتلُ عليهم نبأ ابني آدم }من بني إسرائيل ، ولم يكونا

---

1) ينظر : في نظرية الحِجاج : عبد الله صولة ، 43 .
2) تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة : ، 225 .
3) ينظر : نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 59 .
4) الحجاج في الشعر الأندلسي في عصري دول الطوائف ودولة المرابطين : فرقان نجم جبّار ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، 2019م ، 48 .
5) الحِجاج في الشعر العربي (بِنيته وأساليبه) : 192 .
6) المائدة / 27
7) أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطّبري ، صاحب التفسير الكبير ، والتاريخ الشهير ، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، ولد سنة (224هـ) بآمل طبرستان ، وتوفي سنة (310هـ) ببغداد ، ينظر : وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان : أبو العباس محمّد بن أبي بكر بن خلّكان (ت 681هـ) ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، التسلسل (570) ، 4 / 191 .
8) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، كان من سادات التابعين وكبرائهم جمع كل فنّ من علم وزهد وورع وعبادة نشأ بوادي القرى في البصرة توفي في سنة (110هـ) ،ينظر : وفيّات الاعيان وأنباء أبناء الزَّمان ، التسلسل (156) ، 2 / 69 .
9) بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة ، 2 / 16 .

ابني آدم لصلْبه وإنّما كان القُربان في بني إسرائيل ... " [1] أمّا الأطروحة الثانية فيتبنّاها المُصنّفُ حيثُ قالَ : " ثُمّ ردّهُ الطّبريُّ بما رُوي عن النبي (صلّى الله عليه وآله) ، قال : ما من نفسٍ تُقتل ظُلماً إلّا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ منها وذلك ؛ لأنّه أول مَن سنّ القتلَ [2] ، قلتُ : وأوضحُ منه في ردّه قولهُ تعالى بعد ما مر﴿ فبعثَ اللهُ غُراباً يبحثُ في الأرضِ ليُريه كيف يُوارِى سَوءَةَ أخيهِ ، قال يٰوَيْلَتَىٰ أعَجَزتُ أن أكونَ مثلَ هٰذا الغُرابِ فأوٰرِى سَوءَةَ أخِى فأصبحَ من النّٰدِمينَ ﴾ [3] ، فلوكان من بني إسرائيل لم يحتجِ القاتلُ إلى أنْ يرى غُراباً ؛ لأنّ الدفنَ في الأرضِ كان أمراً شائعاً ... وأمّا الخبر ، فحيثُ لم يكنْ قطعيَّ السّندِ يُمكنُ للخصمِ ردّه " [4] ، فالعلّامة التُستري اعتمد على حُجّة عدم الاتفاق في ردّ أطروحة الحسن البصري حيثُ جاء بدليلٍ قرآني يُثبتُ أطروحتَه، وينفي أطروحةَ الحسنِ البصري ، ومن ثّم كانت هناك أطروحة واحدة صحيحة ، والأخرى خاطئة

وفي روايةٍ " عن عاصم بن حميد عن أبي عبد اللهِ (عليه السَّلام) قالَ : ذاكرتُ أبا عبداللهِ (عليه السلام) في ما يروون من الرؤية ، فقال : الشّمسُ جزءٌ من سبعين جزءاً من نور الكُرسي ، والكُرسي جزءٌ من سبعين جزءاً من نور العرشِ ، والعرشُ جزءٌ من سبعين جزءاً من نور الحِجاب، والحِجابُ جزءٌ من سبعين جزءاً من نُورِ السِّتر فإن كانوا صادقين ، فليملؤوا أعينَهم من الشّمس ليس دونها سحابٌ " [5]

في هذه الرواية توجد أطروحتان ، الأطروحة الأولى التي ينقلها عاصم بن حميد التي يذكرُ فيها أنّ هناك أشخاصاً يعتقدون برؤية الله سبحانه وتعالى، أمّا الأطروحة الثانية فيتبنّاها الإمامُ (عليه السلام) الذي يرى عدمَ إمكان الرؤية بل يرى الاستحالة ، ويذكرُ على ما ذهب إليه مثالاً حسيّاً ،من أنّ هؤلاء الذين يقولون بإمكان الرؤية لا يستطيعون أن يملؤوا أعينَهم من ضوء الشَّمس ، فكيف يستطيعون أن يروا المولى سبحانه وتعالى بأعينهم التي عجزتْ عن أن تمتلي من ضوء الشيء المادي ، فالإمام (عليه السلام) استندَ إلى حجّةِ عدم الاتفاق ، فأبطلَ أطروحةَ الرؤيةِ، وثبّتَ أطروحةَ عدم الرؤية ، أي أقصى إحدى الأطروحتين ؛ لعدم انسجامها مع المباني العقديّة التي يعتقدُ بها الإمامُ (عليه السلام) .

ب ـ حجّة التّماثل :

تُعدُّ حجّةُ التماثلِ من الحُججِ شبهِ المنطقيّة التي تعتمدُ البنى المنطقيّة لا الرياضية ،ومدار " التّماثل ... على التعريف الذي يكون فيه المُعرَّف ، والمُعرِّف متماثلين لفظاً ، الأمرُ الذي يجعلُنا نعتبرُ اللفظَ الثاني

---

1) ينظر : تاريخ الطّبري (تاريخ الأمم والملوك) : أبو جعفر محمَّد بن جرير الطّبري (ت 310هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، (د . ط) ، 1 / 91 .
2) المائدة / 31 - 32
3) بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة ، 2 / 16 - 17 .
4) الكافي : الشيخ محمَّد بن يعقوب الكليني (ت 329هـ) ، منشورات الفجر ، بيروت ـ لبنان ، ط1 / 2007م ، ، باب في إبطال الرؤية ، ح 7 ، 1 / 57 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 167 - 168 .

محمولاً على المجاز " [1] . فلا تُعدُّ تقنيةُ التّماثلِ تعريفاً حقيقياً يعتمدُ على الحدّ التّام ، أو النّاقص ، والرسم التّام ، أو النّاقص ، و يرى الدكتور عبد الله صولة أنّ تقنيّةَ التّماثلِ " ليستْ إلا طريقةً شكليّةً نتوخّاها في تقويم شيءٍ ما تقويماً إيجابياً ، أو سلبياً بواسطة الحشو ، كقول القائل : حيثُ أرى ما أرى أفكّرُ في ما أفكّرُ ، ففي هذا القول نجدُ اللفظ الثاني دائماً هو الذي يحمل القيمة الدّلالية شأن ما يحدث في ظاهرة التكرار " [2] ، وقد اشتمل كتاب (بهج الصّباغة) على تقنيّة التماثل ، لِما لها من أهميَّة في الحُجيّة والاستدلال .

ففي الخبر " عن ابن أبي يعفور قالَ :سألتُ أبا عبد اللهِ (عليه السّلام) عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظّٰهرُ ﴾ [3] ، أمَّا الأوّلُ فقد عرفناهُ ، وأمَّا الآخر فبيِّن لنا تفسيرَهُ ، فقالَ : إنّه ليس شيءٌ إلا يبيدُ ، ويتغيّرُ أو يدخلُهُ التغيّرُ والزوالُ ، أو ينتقلُ من لونٍ إلى لونٍ ، ومن هيئةٍ إلى هيئةٍ ، ومن صفةٍ إلى صفةٍ ، ومن زيادةٍ إلى نقصانٍ ، ومن نقصانٍ إلى زيادةٍ ،إلا ربَّ العالمين ،فإنّه لم يزلْ ، ولايزالُ بحالةٍ واحدةٍ هو الأول قبل كلّ شيء ، وهو الآخر على مالم يزلْ ، لا تختلفُ عليه الصِّفاتُ ،والأسماءُ ما يختلفُ على غيرِه ، مثل الإنسان الذي يكون تُراباً مرّةً ، ومرّةً لحماً ، ومرّةً دماً ، ومرّةً رُفاتاً ، ورميماً ... " [4] .

استعملَ الإمامُ (عليه السلام) تقنيّةَ التّماثلِ في إقامةِ الحُجّةِ حيثُ قال أنّ معنى الآخر (فإنّه لم يزلْ ولايزالُ واحداً... وهو الاخر على مالم يزلْ) ، فالمعنى واحدٌ في كلٍّ من كلمةِ (الاخر)، وكلمتي (لم يزل ولايزال) كقولنا (أرى ما أرى وأفكَر في ما أفكّر) حيثُ يوجدُ تماثلٌ بين الألفاظِ ، فاللفظُ الثاني هو الذي يحملُ القيمةَ الدِّلاليةَ والطاقةَ الحجاجيةَ ، وفي روايةٍ " عن محمَّد بن زيد ، قالَ : جئتُ إلى الإمامِ الرِّضا (عليه السّلام) أسألُهُ عن التّوحيد ، فأملى عليَّ : الحمدُ لله فاطر الأشياء إنشاءً ، ومبتدعها ابتداعاً بقدرته ،لا من شيءٍ ، فيبطلُ الاختراعَ ، ولا لعلةٍ فلا يصحُ الابتداعَ " [5] ، فالإمام (عليه السلام) استدلّ على قدرة

---

5) الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر) د : محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2008م ، 128 .

1) في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) : 45 .
2) الحديد / 3
3) الكافي : باب معاني الأسماء ومشتقاتها ، ح 5 ، 1 / 67 ، ينظر : بهج الصّباغة : 1/ 155 .
4) الكافي : باب النهي عن الجسم والصورة ، ح 3 ، 1 / 61 ، ينظر : بهج الصّباغة : 1 / 162 .

المولى تبارك وتعالى بأنّه فاطرُ الأشياء ، ومبتدعُها ، وكلمتا (فاطر) و(مبتدع) معناهما واحد وهو الخالقية فالإمامُ استعملَ تقنيّةَ التماثلِ لِما لها من دورٍ في الدِّلالة ، والقوّة الحِجاجية . كذلك الخبر التالي يشتمل على تقنيّة التّماثل ، حيثُ يُروى عن الإمام الرضا (عليه السلام) : " فأمّا الإنسانُ المخلوقُ المصنوعُ المؤلّفُ من أجزاءٍ مختلفةٍ ، وجواهرَ شتَّى غيرَ أنّه بالاجتماع شيءٌ واحدٌ " [1] . نجدُ أنّ الإمام (عليه السلام) حدَّ الإنسانَ بأنّهُ (مخلوق ، ومصنوع ،ومؤلّف) ، وهذا التعريف ليس حقيقياً ؛ لأنّ التعريفَ الحقيقيَّ للإنسانِ أنَّهُ (حيوان ناطق) ، فالحيوانية هي الجنس المشترك ، والناطقية هي فصل الإنسان الذي يميِّزه من غيره ، أمّا هذا التعريف الذي ذكرَه ُالإمامُ(عليه السلام) ، فهو داخلٌ في تقنيّة التّماثل ؛ لأنّ هذه الكلماتِ بمعنىً واحدٍ ، ولا يوجدُ بينها عمومٌ ، أو خصوصٌ ، بل هي متساويةٌ .

جـ ـ حُجّة التّبادل :

تُعدُّ هذه الحُجّةُ من الحُجج ِشِبه المنطقيّة ، فهي تسندُ الحكمَ الواحدَ إلى أمرين مُتماثلين [2] ،وإنّ معالجةً واحدةً وحكماً واحداً لهذين الأمرين المتماثلين " ضروريٌ لتطبيق قاعدة العدل ،وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقتضي معاملة واحدة لكائناتٍ أو وضعيّاتٍ داخلةٍ في مقولةٍ واحدةٍ " [3] فالحُججُ القائمةُ على التقنيّةِ التّبادلية ِ،وقاعدة العدلِ ،هي " تمديدُ حُكمٍ ،أو معالجةٍ معيّنةٍ من حالاتٍ سابقةٍ إلى حالاتٍ لاحقةٍ [4] "

يقول زهير بن أبي سُلمى : [5]

ومن يغترب يحسب عدوّاً صديقه ومن لم يُكرِّ م نفسه لم يُكرَّم

استعملَ الشاعرُ في عجزِ البيتِ تقنيّةَ التبادلِ ، حيثُ جعلَ أمرين متماثلين يشتركان في حكمٍ واحدٍ وهو الإكرام ، والأمران المتماثلان هما النَّفس، والغير ، فمن أهان نفسه وأذلّها ، فمن بابٍ أولى أن يُهينَه الآخرون ويُذلّوهُ ، ومن أكرمَ نفسه أكرمَه الآخرون [6] . ويُروى " عن الوشّاء ، قال : سمعتُ الرِّضا (عليه

---

1) التَّوحيد : الشيخ أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمي الصَّدوق (ت 381هـ) ، صحّحه وعلّق عليه : السيّد هاشم الحسيني الطّهراني ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، (د . ط) ، 62 - 63 ، ينظر : بهج الصّباغة : 1 / 177 .

2) ينظر : الحِجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 201 .

3) في نظرية الحِجاج (دراسات وتطبيقات) : 45 .

4) بلاغة الإقناع في المناظرة : 93 .

5) ديوان زُهير بن أبي سُلْمى ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، (د . ط) ، 88 .

6) ينظر : الحِجاج في الشّعر العربي : 201 - 202 .

السَّلام) يقولُ : قالَ : عيسى بنُ مريم صلواتُ اللهِ عليه للحواريين : لا تأسوا على ما فاتَكم من الدُّنيا ، كما لا يأسى أهلُ الدنيا على ما فاتَهم من دينِهم إذا أصابوا دُنياهم " [1] . يُماثِلُ النبيُّ عيسى (عليه السلام) بين وظيفتين ، أو علاقتين ، وهما الدُّنيا ، والدِّين ، حيثُ يُشرِكُهما في معالجةٍ واحدةٍ ، وهي عدمُ الحزن حيثُ يطلبُ من أهل الإيمان ، والمتَّقين أن لا يحزنوا على ما فاتَهم من زخارفِ الدُّنيا ، وزينتِها ، كما لم يحزنْ أهلُ الدُّنيا ، والمُعرِضُون عن الآخرة ، على ما فاتَهم من دينِهم ؛ بسبب انشغالهم ببهارج الدُّنيا وملذاتِها ، لأنّ أهلَ الإيمان يرجون من الله تبارك وتعالى ما لا يرجونهُ أهلُ الدنيا . " قال الجاحظُ ... عاتب أعرابيٌّ أباه ، فقال له : إنّ عظيمَ حقِّك لا يُذهبُ صغيرَ حقّي عليك ،والذي تمُتَّ إليّ به أمُتُّ بمثلهِ إليك ، ولستُ أزعمُ أنّا سواء ، ولكنّي أقولُ لا يحلُّ لك الاعتداءُ " [2] . استُعمِلتْ في هذا النّص تقنيّةُ التّبادلِ ، حيثُ ماثلَ الأعرابيُّ بين أمرين ،وهما الاعتداء ،وعدمه ،وأشركهما في حكمٍ واحدٍ وهو الحقّ ، فيرى الابنُ كما أنّ لأبيه حقّاً عليه ، فهو ـ الأب ـ أيضاً عليه حقٌّ اتجاه ابنه ـ وإن كانا غير متساويين في الحقوق ـ وبما أنّ الابنَ لديه حقّ على أبيه ، فحينئذٍ لا يحلّ للأب أن يعتدي على ابنه .

ومن المصاديق الأخرى لحجّة التّبادل في كتاب بهج الصّباغة ما ورد في " العِقد [3] اطّلع مروان [4] على ضيعةٍ له بالغوطة ،فأنكر منها شيئاً ،فقال لوكيله : ويحك إنّي لأظنّك تخونني ، قال : أتظنُّ ذلك ولا تستيقنه ؟ قال : وتفعله ؟ قال : نعم ، والله إنّي لأخونك ،وإنّك لتخون الخليفة ، وإنّ الخليفة ليخون الله ، فلعن الله شرّ الثلاثة " [5] . فالنصُ يشتملُ على مماثلة ، وعلاقة بين ثلاثة أُمور ، تشتركُ في معالجةٍ واحدةٍ ، هي الخيانة ، فالفرد البسيط ، والوالي والخليفة يشتركون في صفة الخيانة ، وإن كان مستوى الخيانة ، ودرجتها تختلف بين هذه الأفراد الثلاثة ، فالخليفة عندما خان فتح الباب لخيانة الوالي ، والوالي فتح الباب لخيانة المواطن البسيط ، فالنصُ مدّدَ حجّة التبادل (الحكم) بين هذه الأفراد الثلاثة ، وإن اختلفت مستويات الحكم بين هذه الأفراد .

وفي الخبر سُئِل الإمام الحسن المُجتبى (عليه السلام) عن الموت " فقال (عليه السَّلام) : أعظمُ

---

1) الكافي : باب ذمّ الدّنيا والزُّهد فيها ، ح 26 ، 2 / 87 ، ينظر : بهج الصّباغة : 6 / 301 .
2) بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 6/ 439
3) كتاب العِقد الفريد ، تأليف : أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت 328هـ)
4) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس ولد سنة (2هـ) ، بُويع بالخلافة سنة (65هـ) ، وتوفي سنة (65هـ) ، ينظر : تاريخ الطبري (تاريخ الرّسل والملوك) ، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت 310هـ) ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، ط 2 ، 5 / 534 ، 611 .
5) بهج الصّباغة : 6/ 441 .

سرورٍ يردُ على المؤمنين إذا نُقِلُوا عن دار النّكد إلى نعيم الأبد ، وأعظمُ ثُبورٍ يردُ على الكافرين إذا نُقِلُوا عن جنّتهم إلى نارٍ لا تبيد ، ولا تنفد " [1] ، فقد ماثل الإمامُ (عليه السلام) بين علاقتين ، وحالتين ، حالة المؤمن وحالة الكافر فالموتُ يأتي للمؤمن ، والكافر ، فهما مشتركان في هذه الحيثيّة ، ولكنّ الاختلاف بينهما من ناحية أنّ الموتَ للمؤمن سرورٌ وراحةٌ ، وللكافر عذابٌ ، وهلاكٌ .

ثانياً ـ الحُجج شبه المنطقيّة التي تعتمد البنى الرياضيّة :

أ ـ حجّة التّعدية :

تُعدُّ من الحُجج شبه المنطقيّة التي تعتمد البنى الرياضيّة ،فهي " مؤسَّسة على قاعدة رياضيّة تُتيح نقل الصفة من شخصٍ إلى آخر بناءً على القياس " [2] ، وتمكّنُ التّعدية " من إثبات وجود علاقة بين طرف أول (أ) ، وطرف ثاني (ب) ، وبين هذا الثاني ،وطرف ثالث (ج) إلى استنتاج وجود نفس العلاقة بين (أ) و (ج) " [3] .

وفي الخبر " قالَ عيسى بنُ مريم (عليه السلام) : يا معشرَ الحواريين : لي إليكم حاجةٌ اقضوها لي ، قالوا : قُضيتْ حاجتُك يا روحَ اللهِ ، فقامَ ، فغسَّلَ أقدامَهم ، فقالوا : كنّا نحن أحقُّ بهذا يا روحَ اللهِ ، فقالَ : إنّ أحقّ النّاس بالخدمة العالم ، إنّما تواضعتُ هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في النّاس كتواضعي لكم ، ثُم قال عيسى (عليه السلام) : بالتواضع تعمرُ الحكمةُ لا بالتكبر ،وكذلك في السهل ينبتُ الزرعُ لافي الجبل " [4] في هذا النّص استُعملتْ حجيّة التّعدية ، فالنبي عيسى (عليه السلام) اتصفَ بصفة التواضع من خلال خدمة أصحابه ، وأراد من اصحابه أن يتَّصِفوا بهذه الصفة عند معاملتهم النّاس ، فعدّى صفة التواضع من نفسه إلى أصحابه ، وقال إنَّ نتيجةَ هذه الصفة ثبوتُ الحكمة ، فلدينا (أ) تواضع السيد المسيح (عليه السلام) لأصحابه و(ب) تواضع الحواريين للنّاس ، و(ج) ثبوت الحكمة . أي : توجدُ علاقةٌ بين (ب) تواضع الحواريين للنَّاسِ وبين (ج) ثبوت الحكمة ، فنستنتجُ وجودَ نفسِ العلاقةِ بين (أ) تواضع السيّد المسيح (عليه السَّلام) ، وبين (ج) ثبوت الحكمة .

وفي روايةٍ سُئِل الإمام الصادق (عليه السلام) " ما الدَّليلُ على حدثِ الأجسامِ ؟ فقال : إنّي ما وجدتُ شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلّا وإذا ضُمّ إليه مثلُه صار أكبر ، وفي ذلك زوالٌ ، وانتقالٌ عن الحالة الأولى

---

6) الاعتقاداتُ : الشيخ الصَّدوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (ت 381هـ) ، النَّاشر : مؤسَّسة الإمام الهادي (عليه السَّلام) ، ط 3 / 1435هـ ، 123 ـ 124 ، ينظر : بهج الصّباغة : 9 / 19 .

1) الأسس النظرية لبناء شبكات قرائيّة للنصوص الحجاجية : عبد العزيز لحويدق ،(بحث) ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته ،دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) ، تنسيق وإعداد : حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ـ الأردن ، ط 1 / 2010م ، 3 / 357 .

2) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 66 .

3) الكافي : باب صفة العلماء ، ح 7 ، 1 / 20 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 2/ 57 .

ولو كان قديماً ما زال ، ولا حال ؛ لأنّ الذي يزولُ ، ويحولُ يجوزُ أن يوجدَ ، ويبطلَ ، فيكون بوجوده بعد عدمه دخولٌ في الحدَثِ ، وفي كونهِ في الأزل دخولُهُ في العدمِ ، ولن تجتمعَ صفةُ الأزلِ ، والعدمِ ، والحدوث، والقِدمِ في شيءٍ واحدٍ " [1] ، فالإمام (عليه السلام) في هذا النّص استعمل حجّة التّعدية ، فالنتيجة التي يريدُ أن يثبتَها هي (حدوث الأجسام) ، فلدينا (أ) شيءٌ من الأشياءِ صغيرٌ أو كبيرٌ ، و (ب) انضمامُ الشيءِ الصغير أو الكبير إلى مثلِهِ يُصيِّرُهُ كبيراً ، و(ج) حدوثُ الأجسام ، وعدمُ قدمِها ، ففي النَّصِ الشّريف توجدُ علاقةٌ بين (ب) انضمامُ الشيءِ الصغير أو الكبير إلى مثلِهِ يُصيِّرهُ كبيراً ، وبين (ج) حدوث الأجسام لأنَّ الطَّرفَ الثاني (ب) قد تحوَّل وانتقل من حالةٍ إلى أخرى ، وهذا يدلُّ على حدوثهِ ، وأنَّهُ ليس قديماً ، ونستنتجُ من هذه العلاقة بين الطَّرف الثاني (ب) ، والطَّرف الثالث (ج) ، وجودَ نفسِ العلاقةِ بين الطَّرف الأوّل (أ) وجود الشيء الصغير أو الكبير، وبين الطَّرف الثالث ـ النتيجة ـ (ج) حدوث الأجسامِ .

ويُروى عن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام) أنَّهُ قالَ : " لم يكُنْ بُدٌّ من إثباتِ الصانعِ ؛ لوجودِ المصنوعين، والاضطرار منهم إليه أثبتَ أنّهم مصنوعون ، وأنّ صانِعَهم غيرُهم، وليس مثلَهم ، إذ كانَ مثلُهم شبيهاً بهم في ظاهرِ التَّركيبِ ، والتأليفِ ، وفيما يجري عليهم مِن حدوثِهم بعد أن لم يكونوا ، وتنقلّهُم مِن صغرٍ إلى كبرٍ ، وسوادٍ إلى بياضٍ ، وقوّةٍ إلى ضعفٍ ، وأحوالٍ موجودةٍ ، لا حاجةَ لنا إلى تفسيرِها " [2] فلدينا الطَّرف الأوَّل (أ) المصنوعون المُضطّرون ، والطَّرف الثاني (ب) الصَّانع غير المصنوع ، والطَّرف الثالث (ج) إثبات الصَّانع والخالق . فتوجدُ علاقةٌ بين (أ) ، وبين (ب) ؛ لأنَّ المصنوعَ المُضطّرَ لابدّ لهُ من صانعٍ قادرٍ غير مضطّرٍ ، أي : لابدَّ أن يكونَ الصَّانعُ غيرَ المصنوعِ ؛ لأنَّ فاقدَ الشيءِ لا يُعطيه ، وكذلك توجدُ علاقةٌ بين (ب) ، وبين (ج) ، لأنَّهُ إذا ثبتَ أنَّ الصانعَ ليس مثلَ المصنوعين المُضطّرين ، بل هو قادرٌ ، وليس محتاجاً إلى غيرهِ ، ثبتَ وجودُ الصَّانعِ ، والخالقِ ، ثُمَّ نستنتجُ من ذلك وجودَ علاقةٍ بين (أ) ، وبين (ج) ، لأنَّهُ إذا ثبتَ وجودُ المصنوعِ المُضطّرِ ، فلابد حينئذٍ من وجودِ الصَّانعِ والخالق ؛ لأنَّهُ لا يمكنُ في عالمِ الإمكانِ أن يوجدَ المعلولُ من دونِ علّتهِ .

ب ـ حجّة تقسيم الكلّ إلى أجزائه المكوّنة له :

تعني هذه الحجّةُ أنّ كلّ حكمٍ ينطبقُ على كلّ جزءٍ من أجزاء الكلّ ، فهو ينطبقُ على الكلّ تبعاً [3] ، أي أنّ حجّة التقسيم تقوم على استخلاص " نتيجة متعلّقة بالكلّ بعد أن نستدل على كلّ جزءٍ من أجزائه " [4]

4) الكافي : باب حدوث العالم ، ح 2، 1 / 45 - 46 ، ينظر : بهج الصّباغة : 1 / 243 .
1) التوحيد : الشيخ الصّدوق ، 246 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1/ 260 .
2) ينظر : الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 207 .
3) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 68 .

ومن خلال ذلك يمكنُ "توظيفُ كلّ جزءٍ ؛ ليكونَ بمثابة الدليل على القضيّة المُرادة من المتكلّم " [1] .

هذه الحجّة شبيهةٌ بالدليل الاستقرائي المنطقي ـ الذي يطلق عليه بيرلمان حجّة التقسيم ـ الذي يسير في عملية الاستدلال ، وإقامة الحجّة من الجزء إلى الكلّ ؛ لتأسيس قاعدةٍ كليّة ، وقانونٍ عام [2] ، والغاية الأساسية من هذه الحُجّة كما يرى بيرلمان هي " البرهنة على وجود المجموع ،ومن ثمّة تقوية الحضور بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه " [3] . يُروى " عن أبي عبد الله (عليه السلام) قالَ : ثلاثةٌ للمؤمن فيها راحة : دارٌ واسعةٌ تُواري عورتَه ، وسُوءَ حاله من النّاس ، وامرأةٌ صالحةٌ تُعينه على أمر الدنيا والآخرة ، وابنةٌ ، يُخرِجُها إمّا بموتٍ ، أو بتزويجٍ " [4] ، فالحكمُ في هذا النّص (راحة المؤمن) ينطبقُ على كلّ جزءٍ من أجزاء الكلِّ ، ومن ثَمّ نستخلصُ النتيجةَ التي تتعلّقُ بالكلّ ؛ لنخرجَ بقاعدةٍ ، وحكمٍ كلي ، وهو (ثلاثةٌ للمؤمن فيها راحةٌ) .

وفي عيون الأخبار يُروى عن الرَّسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال : " مَن تعلّم العلمَ لأربعةٍ دخل النّارَ : ليُباهي به العلماءَ ، أو يُماري به السّفهاءَ ، أو يُميلَ به وجوهَ النّاسِ ، أو يأخُذَ به من الأمراء " [5] ، فكلّ جزءٍ من أجزاء الكلّ هو بمثابة دليل على مُراد ،ومطلوب المتكلّم ، فالحكم (دخول النّار) ينطبقُ على كلّ جزءٍ من أجزاء الكلّ ، ومن ثَمّ ينطبقُ على الكلّ بما هو كلّ (من تعلّم العلمَ لأربعةٍ دخل النّار) ، ويعتمدُ على هذه الحجّة ـ حجّة تقسيم الكلّ إلى أجزائه ـ برهانٌ يُسمّى " بالبرهان ذي الحدّين ،وهو كما يُعرّفه بيرلمان شكل من أشكال الحُجج يتناول فرضيتين ؛ليستنتجَ أنّه سواء وقع الاختيار على الأولى أو الثانية نصلُ إلى الفكرة نفسها ،أو الموقف ذاته ،وذلك لأحد الأسباب التالية : فإمّا لأنّهما تقودان إلى النتيجة نفسها ... أو لانّهما تقودان في الحالتين إلى عدم الاتّفاق مع قاعدة نتقيّد بها " [6] ، ومثال السبب الأول وهو كون الفرضيتين أو الفروض تقودُ إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، كقول الشاعر : [7] .

ما نقموا من بني أُميّة إلّا أنّهم يجهلون إن غضبوا

وأنّهم معدنُ النّفاق فما تفسدُ إلّا عليهم العربُ

ذَكَرَ الشاعرُ ثلاثةَ فروضٍ ، وأجزاءٍ تُؤدِّي إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، فغضبُ بني أميّة الجاهل لاعن علم ، ونفاقهم وإفسادهم للعرب ، يُؤدي إلى حكمٍ واحدٍ ، وهو النّقمة على بني أميّة ، فسواء اخترنا الفرضيّة الأولى

---

4) الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية) : د : آمال يوسف المغامسي ، الدار المتوسطة للنشر ، تونس ، ط 1 / 2016م ، 335 .

5) ينظر : المنطق : الشيخ محمّد رضا المظفّر ، 2/ 256 - 257 .

1) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : 331 .

2) الكافي : باب من وفق له الزوجة الصالحة ، ح 6 ، 5 / 196 ، ينظر : بهج الصّباغة : 6 / 373 .

3) عيون الأخبار : أبو محمَّد عبد اللهِ بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) ، تحقيق : منذر محمَّد سعيد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2008م ، 2 / 142 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة ، 6/ 269 .

4) الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 209 .

5) ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 6/ 5 .

أم الثانية أم الثالثة ، فالحكمُ ، والنتيجةُ واحدةٌ .

مثال السبب الثاني ، وهو كون الفرضيتين ،أو الفروض تقودُ إلى عدم الاتّفاق مع قاعدةٍ مسلّمٍ بها ، ففي الخبر "عن أبي هاشم الجعفري ، قالَ : قلتُ لأبي جعفرٍ (عليه السَّلام) ﴿ لا تُدرِكهُ الأبصٰرُ وهو يُدرِكُ الأبصٰرَ ﴾ [1] ، فقالَ : يا أبا هاشم أوهامُ القلوبِ أدقّ من أبصار العيون ، أنت قد تُدرِكُ بوهمكَ السِّندَ، والهِندَ والبلدانَ التي لم تدخلْها ، ولا تدركُها ببصرِك ، وأوهامُ القلوب لا تُدركُهُ ، فكيف أبصارُ العيون؟ " [2] . ذَكَرَ النَّصُ فرضيتين (أوهام القلوب ، وإدراك الأبصار) ، والإمامُ (عليه السلام) نفى كلا الفرضيتين لأنّهما لا ينسجمان مع القواعد العقليّة ،والمباني الحِكمية التي تُقرّرُ أنّ واجبَ الوجودِ تبارك وتعالى تستحيلُ رؤيتُهُ ؛ لأنَّ " وجوبَ وجودِه يقتضي تجرّدَهُ ، ونفي الجهة ، والحيّز عنه ،فتنتفي الرؤية عنه بالضرورة ؛ لأنّ كلَّ مرئي ، فهو من جهةٍ يشارُ هنا أو هناك ... ولمّا انتفى هذا المعنى عنه تعالى انتفتِ الرؤيةُ " [3] .

جـ ـ إدماج الجزء في الكلّ أو حجّة التضمين :

تعني هذه الحجّة أنّ ما يصدقُ على الكلّ من حكمٍ يصدقُ على الجزء من هذا الكلّ [4] ، وتُعدُّ هذه الحجّة ـ إدماج الجزء في الكلّ ـ " من القوانين التي تعتمدُ العلاقات الرياضيّة ،ويستمدُ هذا القانون طاقته الإقناعية من الوصل الذي يُحدثهُ بمبدأ تفضيل الكلّ على الجزء " [5] ، وسبب تفضيل الكلّ على الجزء ؛ لأنّ الكلّ " يتضمّنُ الجزء ... فهو أهم بكثير من الجزء " [6] ، وهذ التفضيل تقتضيه " طبيعة الأشياء ، ومبدأ المُقايسة الشكليّة " [7] . في ضوء حديثنا عن التضمين ، وإدماج الجزء في الكلّ ، يمكنُ الحديثُ عن العلاقة بين الجنس ونوعه ؛ لأنّ الجنسَ يُمثلُ الكلّ ؛ لاشتماله على الأنواع ، والنوع يُمثلُ الجزء لوقوعه

---

6) الأنعام / 103 .

1) الكافي : باب في إبطال الرؤية ، ح11، 1 / 58 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1/ 150 .
2) كشف المُراد في شرح تجريد الاعتقاد : تأليف العلّامة جمال الدّين الحسن بن يوسف الحلّي (ت 726هـ) ، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه : الشيخ حسن حسن زاده الآمُلي ، مؤسّسة النشر الإسلامي ، قم ـ ايران ، ط 14 ، 411 .
3) ينظر : الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 210 .
4) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل : 145 .
5) الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 211 .
6) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل : 145 .
7) ينظر : نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 68 .
8) المصدر نفسه : 68 .

تحت الجنس والبحثُ عن الجنس ؛لأجلِ الوصول إلى نتائج جديدة متعلّقة بالجنس ،أو الكشف عن نوعٍ جديدٍ لم يسبقْ لنا كشفُه [1] ،ويتحدثُ بيرلمان عن الجنس ، ونوعه ، فيقول : " لكي يتمَ إثباتُ شيءٍ للجنس يجبُ أن يثبتَ لأحد الأنواع ، فمالا ينتمي لأيِّ نوعٍ لا ينتمي للجنس " [2] .

نجدُ هذه التقنيّةَ الحجاجيّةَ حاضرةً في كتاب (بهج الصّباغة) ، ففي الرواية عن الإمام الصادقُ (عليه السلام) " فكّر يا مفضَّل في أعضاء البدن أجمع ، وتدبير كلّ منها للمآرب ، فاليدان للعلاج ، والرّجلان للسعيّ ، والعينان للاهتداء ، والفم للاغتذاء ، والمعدة للهضم ، والكبد للتخليص ، والمنافذ لتنفيذ الفضول والأوعية لِحملِها ، والفرج لإقامة النَّسل ، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأمّلتها ، وأعملتَ فكركَ فيها ، ونظركَ وجدتَ كلّ شيءٍ منها قد قُدّر لشيءٍ على صوابٍ ، وحكمةٍ " [3]. نجدُ النّصَ قد اشتملَ على إدماج الجزء في الكلّ فالحكمُ (صواب وحكمة المولى تعالى في تقديره لجميع وظائف أعضاء الإنسان) قد صدقَ على الكلّ ، وبالتّبع الحكمُ يصدقُ على الجزء ، فاليدان وظيفتهما العلاج وفي ذلك صواب وحكمة المولى تعالى ، وكذلك الرّجلان ، وهكذا جميع الاجزاء .

في كتاب " الأغاني [4] :دخلَ أرطأةُ بن سُهيّة [5] على عبد الملك [6] ... أنّي القائلُ " [7]

رأيتُ المرءَ تأكلُهُ اللّيالي كأكلِ الأرضِ ساقطة الحديدِ

وما تبغي المنيّةُ حين تأتي على نفسِ ابن آدم من مزيدِ

وأعلمُ أنّها ستكرُّ حتّى تُوفي نذرَها بأبي الوليد

يُشيرُ الشاعرُ في هذه الأبيات إلى قضيّةٍ حتميّة ،وحكمٍ كلي ينطبقُ على موضوعٍ كلي ، وهذا الحكمُ الكلي هو الموت ، فالموت يأتي على كلّ نفسٍ ، وبما أنّ أبا الوليد (الشاعر) جزءٌ ، ومصداقٌ للنفس الإنسانية ، فإنّ الموتَ سيكرُّ عليه ، وينتهي حينئذٍ أجلُهُ الذي قُدِر له في هذه الحياة الدنيا . فالشاعرُ في هذه الأبيات استعملَ تقنيّة التضمين ، حيث انسحبَ الحكمُ من الكلّ إلى الجزء ؛ لأنّ الجزءَ مصداقٌ من مصاديق الكلِّ . هذه الحجّة التي يُعبّر عنها بيرلمان ـ بالتضمين ـ هي عبارة عن القياس المنطقي الأرسطي ؛ لأنّ

---

1) فكّر المعروف بتوحيد المُفضَّل : أملاهُ الإمام أبو عبد الله الصَّادق (عليه السلام) على أبي محمَّد المفضَّل بن عُمر الجُعفي الكوفي ، المتوفي أوائل القرن الثالث ، تحقيق : الشيخ قيس العطَّار ، منشورات ، دليل ما ، قُم ـ ايران ، ط 1 / 1427م ، 80 ، ينظر : بهج الصّباغة : 11 / 150 .

2) كتاب الأغاني : ألّفه : علي بن الحسين بن محمّد القرشيّ الكاتب المعروف بأبي الفرج الأصفهاني (ت 976هـ) ، ينظر : مقدمة كتاب الأغاني ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس وآخرين ، دار صادر ـ بيروت ، ط 3 / 2008م ، 1 / 23

3) أرطاة بن زُفر بن عبد الله المُريّ ، وسُهيّة أمّهُ ، وهو من شعراء بني أميّة ، ينظر : كتاب الأغاني : 13/ 20

4) عبد الملك بن مروان بن الحكم ، من بني أميّة ، ولِد سنة (26هـ) ، استلم الخلافة بعد أبيه مروان سنة (65هـ) ، تُوفي سنة (86هـ) ، ينظر : تاريخ الخلفاء : تأليف : جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) ، دار ابن حزم ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2003م ، 172 .

5) بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 11/ 119

القياس المنطقي هو السير ـ في عملية الاستدلال ـ من الكلّ إلى الجزءِ ، أي الحكمُ الذي ينطبقُ على الكلّ نريدُ في عملية الاستدلال القياسي أنْ نطبقَه على الجزء من ذلك الكلّ [1] ، فلو أردنا أن نشكّل قياساً منطقياً ـ من كبرى وصغرى ـ من هذه الأبيات الشعرية التي نظمها أبو الوليد ، فسيكونُ الترتيبُ على النحو الآتي :

ـ كلُّ إنسانٍ يموتُ (كبرى القياس) .
ـ أبو الوليد إنسان (صغرى القياس) .
ـ النتيجة : أبو الوليد يموت .

6) ينظر : المنطق : الشيخ محمّد رضا المُظفّر ، 2/ 257 .

المبحثُ الثاني
الحُججُ المؤسَّسةُ على بِنية الواقع

توطئة :

يعتمدُ هذا الصّنفُ من الحُججِ على الواقع ، بمعنى " أنّ هذه الحُجج تقومُ على العلاقاتِ الموجودة بين عناصر الواقع ، والتي تكونُ محلّ قبولٍ ، واتّفاقٍ من قِبلِ المستمع ، فيتّخذها الخطيبُ منطلقاً لبلورة حِجاجه في اتجاه ما يريد أن يُقنع به مستمعه " [1]، ويعتمدُ هذا النوعُ من الحُججِ " للرّبط بين أحكام يسعى الخطابُ إلى تأسيسها ،وتثبيتها ،وجعلها مقبولة مسلّماً بها " [2]، أي عن طريقِ هذا النَّوع من الحُجج نؤسِّسُ "حجاجاً يسمحُ بالمرور ممّا هو مقبول إلى ما نسعى إلى جعله مقبولاً " [3]، وترى الدكتورة سامية الدّريدي أنّ هذا الصنف من الحُجج " يكونُ أنجع ، وأقدر على الفعل في المتلقّي ، والتأثير فيه كلّما انغرستْ مراجعُهُ في الواقع ، وتنزّلتْ عناصرُهُ فيما حدثَ ، وما يحدثُ " [4] ، وسيدرُسُ الباحثُ مجموعةً من الحُججِ هي : الحُجَّة النفعيَّة ، وحُجَّة التَّبديد ، وحُجَّة الاتّجاه ، وحُجَّة المُجاوزة .

1 ـ الحُجّة النَّفعيّة :

هي الحجّةُ التي تُقيّم فعلاً ، أو سلوكاً ، أو حدثا ، أو ظاهرةً على أساس نتائجه المترتبة عليه سواء أكانت تلك النتائج ايجابية أم سلبية [5] ، فهذه الحُجّةُ تربطُ بين الحدث والسبب " بمعنى وجِد هذا الحدث أو الأحداث ؛ لهذا السبب ، والحُجّة تفسيرية ، وتكونُ ظاهريّةً غير ضمنيّة ؛ لأنّها تعتمدُ الوضوحَ في تفسير الحدث ،فلابدّ أن يُبرّر الحدثُ بالسبب ظاهريّاً " [6] . تبيّن أنّ هذه الحُجّة تُقوّم ، وتُثمِّن الحدثَ ، أو السلوكَ على أساس نتائجه ، لكن " لا يكونُ المقصودُ من هذه الحُجّة مجرّد التثمين بل توجيه العمل أيضاً " [7] ؛ لذلك يرى " بيرلمان نجاعة هذه الحُجّة البراغماتية في توجيه الفعل ، والعمل على الإذعان مؤكّداً أنَّ تقويمَ الحدثِ بنتائجه العملية لا يحتاجُ إلى مُبرِّرٍ آخر خارج عنه " [8] .

نجدُ الحُجّةَ النفعيّة استعملتْ في مواضعَ في كتاب (بهج الصّباغة) ، ففي الرِّوايةِ " عن أبي عبد الله (عليه السلام) قالَ : من زهِدَ في الدُّنيا أثبتَ اللهُ الحكمةَ في قلبهِ، وأنطقَ بها لسانَهُ ، وبصَّرَهُ عيوبَ الدُّنيا داءَها، ودواءَها ، وأخرجَهُ من الدُّنيا سالماً إلى دار السّلام " [9] .

---

1) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : الحسين بنو هاشم ، 71 .
2) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : 331 .
3) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 71 .
4) الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 214 .
5) نظرية الحِجاج عند شاييم بيرلمان : 72 .
6) الحِجاج في الشعر السياسي في العصر الأموي : إعداد : منى بنت غربي العنزي ، حوليَّة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات ، الاسكندرية ، جامعة الحدود الشمالية ، المجلَّد (3) العدد (34) ، 685 .
7) في نظرية الحِجاج (دراسات وتطبيقات) : 50 .
8) الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 220 .
9) الكافي : 2 / 82 ، باب ذمّ الدنيا والزهد فيها ، ح 1 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 11/ 404 .

يذكُرُ الإمامُ (عليه السلام) مجموعةً من النتائج والحُجج النفعيّة التي تترتبُ على فعلٍ، وسلوكٍ يقومُ به الإنسان وهو (الزُّهدُ في الدّنيا) ، فالإمام (عليه السلام) يرغِّبُ بالحُجج البراغماتية الإنسانَ في سلوك طريق الزُّهد والابتعاد عن الدُّنيا وملذاتها ، فالسلوك الَّذي يُثَمِّنُه الإمامُ (عليه السلام) هو (الزُّهد في الدُّنيا) عن طريقِ إنشاءِ علاقةٍ بينهُ ، وبين العواقب والمآلات التي تترتبُ عليهِ ، فثبُوتُ الحِكمةِ ، وإبصارُ عيُوب النَّفسِ ، والخروجُ من دارِ الدُّنيا إلى دارِ الآخرةِ في سلامٍ ، وأمانٍ هذه النتائجُ ترتَّبتْ على السلوكِ ، والفعلِ الَّذي ذكَرَهُ الإمامُ (عليه السلام) وهو (الزُّهد في الدُّنيا) . وفي روايةٍ عن الرَّسول الأكرم (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم) : " سيأتي على أُمتي زمانٌ تخبُثُ فيهِ سرائرُهُم ، وتحسُنُ فيهِ علانيتُهم طمعاً في الدُّنيا ، لا يُريدُون بهِ ما عند اللهِ عزَّ وجلَّ ، يكونُ أمرُهُم رياءً ، لا يُخالطه خوفٌ ، يعمُّهُم اللهُ بِعقابٍ ، فيدعونهُ دعاءَ الغريقِ ، فلا يُستَجابُ لهُم " [1] ، تذكُرُ الرِّوايةُ مجموعةً من الأحداث والسلوكيات السَّلبية ، وتربُطُ بينها ، وبين النتيجة ، فخُبثُ السَّريرةِ ، والرِّياء في العمل ، وعدمُ الخوف من المولى تبارك وتعالى نتيجتُها العقاب الإلهي ، وعدم استجابة الدُّعاء ، فالحُجَّةُ النفعيَّةُ تربُطُ قيمةَ النتيجةِ بقيمةِ الأسباب ، والسلوكيات ، والأحداث [2] ، وهذا الرَّبطُ بين السببِ ، والنتيجةِ لهُ الأثرُ الفاعلُ في تعديلِ سلوك العبد ، وجعلهِ يتَّجهُ نحو السلوكيات الإيجابية ؛ ليحصلَ على النتيجةِ الإيجابية ، ومثالٌ آخر للحُجَّةِ النَّفعيّةِ كما في قولهِ تعالى : ﴿ قد أفلَحَ المؤمِنُونَ ، الَّذينَ هُم في صَلَاتِهم خٰشِعُونَ ، والَّذين هُم عن اللّغوِ مُعرِضُونَ ، والَّذين هُم لِلزَّكٰوةِ فٰعِلُونَ ، والَّذين هُم لِفُرُوجِهم حٰفِظُونَ ، إلَّا على أزواجِهم أو ما مَلَكَتْ أيمٰنُهُم فإنَّهُم غيرُ مَلُومِينَ ، فَمَن ابتغى ورآءَ ذلكَ فأُولٰئِكَ هُمُ العَادُونَ ، والَّذين هُم لِأمٰنٰتِهم وعهدِهم رٰعُونَ ، والَّذينَ هُم على صَلَوٰتِهم يُحَافِظُونَ أُولٰئِكَ هُمُ الوٰرِثونَ ، الَّذينَ يَرِثُونَ الفِردوسَ هُم فيها خٰلِدُونَ ﴾ [3] ، تذكُرُ الآياتُ الكريمةُ من سورةِ المؤمنين مجموعةً من الصفاتِ التي يتَّصِفُ بها المؤمنون ، فالصفةُ الأولى هي صفةُ الخُشُوعِ في الصَّلاةِ ، فالعباداتُ لها ملكوتٌ ، وباطنٌ ، وليس باطنُ الصَّلاةِ هي الحركات ، والألفاظ الظاهرية ، بل الصَّلاةُ لها باطنٌ [4] ، ففي الرِّوايةِ عن أمير المؤمنين (عليه السَّلام) : " لو يَعلَمُ المُصلِّي ما يغشاهُ من جلالِ اللهِ ما سرَّهُ أن يرفعَ رأسَهُ من سُجُودهِ " [5] ، فالجلالُ الإلهي الذي ذكرتْهُ الرّوايةُ الشريفةُ مبهمٌ ، وغيرُ معروفٍ ، فلم تُبيِّن

---

1) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : الشيخ الصَّدوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي ، صحَّحه وقدَّم له وعلَّق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات طليعة النُّور ، قُم ـ ايران ، ط 3 / 1427هـ ، 299 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 11 / 490 .

2) تاريخ نظريات الحِجاج : فيليب بروتون ، وجيل جوتيه ، ترجمة : د . محمَّد صالح ناجي الغامدي ، مركز النشر العلمي ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدَّه ـ المملكة العربية السعودية ، ط 1 / 2011م ، 50 .

3) المؤمنون / 1 ، 11 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 12 / 350 .

4) ينظر : أسرار الصلاة : الشيخ حبيب الكاظمي ، نور المعارف للطباعة والنشر ، قُم ـ ايران ، ط 1 / 1439هـ ، 13 .

5) الخصال : الشيخ الصَّدوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (ت 381هـ) ، صحَّحه وعلَّق عليه : علي أكبر الغفَّاري ، منشورات : جماعة المُدرِّسين في الحوزة العلمية ، قُم المُقدَّسة ، (د . ط) ، 2 / 632 .

الرِّوايةُ هويَّة ، ومعالم هذا الجلال ؛ لأنَّه من أسرار الوجود الخاصة [1] ،ويرى السيِّدُ روحُ اللهِ الخميني أنَّ حقيقةَ الخُشُوع : " عبارةٌ عن الخضُوع التَّام الممزوجُ بالحُبِّ أو الخوفِ ، وهو يحصلُ من إدراكِ عظمةِ الجلالِ والجمالِ ، وسطوتِهما ، وهيبتِهما " [2] . أمَّا الصفات ، والسلوكيات الأخرى التي تذكُرُها الآياتُ الكريمةُ في حقِّ المؤمنين ، فهي (الإعراض عن اللَّغوِ ،وايتاء الزَّكاة ، والحفاظ على الفُروج من الوقوعِ في الحرام ، وأداء الأمانة) ، ثُمَّ في النِّهايةِ يذكُرُ المولى تبارك وتعالى الصَّلاةَ مرَّةً أخرى ، فيقولُ تعالى : { والَّذين هُم على صلوتِهم يُحافِظونَ } فالمولى عزَّ وجلَّ يذكُرُ المُحافظةَ على الصَّلاةِ كآخر صفةٍ للمؤمنين بعد أن ذكَرَ الصفةَ الأولى التي هي الخشُوع في الصَّلاة ، وهذا يدلُّ على " تقدُمِ رُتبةِ الخُشُوعِ في الصَّلاةِ على أصلِ إقامتِها ، تقدم الرُّوحِ على البدنِ " [3] أمَّا النتيجةُ المُترتبةُ على هذه الصِّفاتِ ، والسلوكيات ، فهي الفلاحُ ، ودخُولُ الجنَّةِ ،فالآياتُ الكريمةُ قيَّمتْ وثمَّنتِ السلوكيات ، والأحداث بقيمةِ نتائِجِها ، فنرى الحُجَّة النَّفعيَّة موجِّهةٌ للسلوكِ ، ومُحرِّكةٌ نحو العمل

2 ـ حُجّةُ التّبديد أو حُجّةُ التضييع :

ترتكزُ هذه الحُجّةُ على القولِ : بأنّنا ما دُمنا قد بدأنا بعملٍ ما ، فلأجل ديمومة هذا العمل ونجاحه لابُدّ أن نستمرَ فيه ، ونحافظَ عليه ،ولا نضيّع فرصةَ إنجازِهِ ؛ للوصول إلى الهدف المطلوب عن طريقِهِ، يقولُ " بيرلمان :بما أنّنا شرعنا في إنجاز هذا العمل ،وضحيّنا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيّعةً للمال ، والجهد ،فإنّه علينا أن نواصلَ إنجازَهُ " [4] ، وهذه الحُجّةُ تدعو إلى " ضرورة استغلال المواهب المُعطاة ، والمزايا الطبيعية ؛ لأنّها إن لم تُستغل فقدتْ معناها ، وذهبتْ هباءً " [5] ، ويستخدمُ الوّعّاظُ ، والخطباءُ ، وأصحابُ المنابرِ هذه الحُجّة بكثرةٍ " حين يدعون النّاسَ إلى تركِ المعاصي مؤكّدين أنّ بابَ الجنّةِ مازال مفتوحاً أمامهم ؛لأنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ، فهم إنّما يعتمدون حُجّة التّبديد ، فبما أنّ بابَ التوبة مفتوحٌ أمامهم ، وأنّ الله يُمكنُ أن يغفرَ ذنوبَهم ،فلماذا يُضيِّعون أو يُبدِّدون إذا صحَ القولُ هذه الفرصةَ " [6] .

وفي الرِّواية " أنَّ رسولَ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ) سُئِلَ ، فَبِمَ النَّجاةُ غداً ؟ قالَ : إنَّما النَّجاةُ في أن لا تُخادعوا اللهَ ، فيخدعكُم ، فإنَّهُ مَن يُخادِع اللهَ يخدعُهُ ، وينزعُ منهُ الإيمانَ ، ونفسه يخدعُ لو يشعرُ ، قيلَ لهُ : فكيف يُخادعُ اللهَ ؟ قالَ : يعملُ بما امرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ، ثُمَّ يُريدُ بهِ غيرَهُ ، فاتقوا اللهَ في الرِّياءَ فإنَّهُ شركٌ باللهِ . إنّ المُرائي يُدعى يوم القيامة بأربعةِ أسماء : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر، حبِطَ عملُكَ ،

---

1) ينظر : أسرار الصلاة : الشيخ حبيب الكاظمي ، 23 .
2) الآداب المعنوية للصلاة : السيِّد روح اللهِ الخميني ، تعريب : أحمد الفهري ، مؤسَّسة دار الكتاب الإسلامي ، قُم ـ ايران ، ط 4 / 2010م ، 39 .
3) أسرار الصلاة : 27 .
4) في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) : 50 .
5) الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 224 .
6) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 74 .

وبطُلَ أجرُكَ فلا خلاصَ لكَ اليوم ، فالتمسْ أجركَ ممّن كنتَ تعملُ لهُ " [1] ، فالنبي الأكرم يحثُ المسلمين على الإخلاص في العبادة ، والعمل للهِ تبارك وتعالى ، وأن لا يُضيّعوا جهودَهم المبذولة في الرِّياء ، فتذهبُ عباداتُهم وأعمالُهم هباءً منثوراً ، فالنبي الأكرم استعملَ حُجّة التّبديد في الحثِ على الإخلاص ، واجتناب الرِّياء حتى لا يُحبِطُ اللهُ تعالى العملَ، ولا يُبطِلُ الأجرَ .

ويُروى عن الرَّسول الأكرم (صلّى اللهُ عليه واله) أنَّه قالَ : " لاتزالُ أمتي بخيرٍ مالم يتخاذلوا وأدّوا الأمانة ، وآتوا الزكاة ، فإن لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحطِ ، والسِّنين " [2] ، فالنبي الأكرم عن طريقِ استعماله لحُجّة التبديد يدعو المسلمين إلى جملةٍ من الأعمال (عدم الخذلان ، وأداء الأمانة ، وإيتاء الزكاة) ، فيرى الرسول الأكرم أنّ هذه الأعمال تُحافظ على كيان الأمّة الإسلامية ، وأنّها لاتزالُ بخيرٍ ما عملتْ بذلك ، فإذا ضيّعتْ هذه الأعمال ، وبدّدتْ ما كانت تتمتّع به أصابها حينئذٍ الفقرُ، والبؤسُ ،والشقاءُ ، ولات حين مناص . وفي الخبرِ " عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : الجنّةُ محفوفةٌ بالمكاره ، والصبر، فمَن صبَرَ على المكاره في الدُّنيا دخلَ الجنّةَ ، وجهنّم محفوفةٌ باللّذاتِ ، والشّهواتِ ، فمَن أعطى نفسهُ لذّتها وشهوتَها دخلَ النّارَ " [3] ، فالإمامُ (عليه السلام) في هذا النّص يدعو المؤمنين إلى الالتزام بالصبر على مكاره الدُّنيا ، وصعوباتها ، وأن لا يُضيِّعوا نتائجَ صبرِهم ،وتحمِلِهم لمكاره الدّنيا ، وبلآءاتها ، بالانغماس في الشّهواتِ ، والملذاتِ ،لأنّ تضييعَ نتائج صبرهم يُؤدي بهم إلى دخول النار ، وعدم التضييع ، والتّبديد يؤدي بهم إلى الجنَّة ، فنرى كيف استعملَ الإمامُ (عليه السلام) حُجّة التّبديد بأسلوبٍ رائعٍ ، ومقابلةٍ لطيفةٍ

وفي الرِّوايةِ " قالَ أبو عبد اللهِ (عليه السَّلام) : لو أنَّ قوماً عبدُوا اللهَ تعالى وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، وأقامُوا الصَّلاةَ ، وآتوا الزَّكاةَ ، وحجُّوا البيتَ ، وصامُوا شهرَ رمضان ، ثُمَّ قالوا لِشيءٍ صَنَعَهُ اللهُ تعالى ، أو صَنَعَهُ رسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ) ألَّا صَنَعَ خِلافَ الَّذي صَنَعَ ، أو وَجَدُوا ذلِكَ في قُلُوبِهم ، لَكانُوا بِذلِك مُشرِكين ، ثُمَّ تَلا هذه الآيةَ ﴿ فلا وربِّكَ لا يؤمِنُونَ حتَّى يُحكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهُم ثُمَّ لا يجدُوا في أنفسِهم حَرَجاً ممَّا قضيتَ ويُسلِّمُوا تسلِيماً ﴾ [4] ، ثُمَّ قالَ أبو عبد اللهِ (عليه السَّلام) : عليكُم بالتسليمِ " [5].

يُشيرُ الإمامُ (عليه السَّلام) في هذا النَّصِ إلى قضيَّةٍ مهمةٍ ، وهي التسليمُ للهِ تبارك وتعالى في جميعِ الأحوالِ ، والظُّروفِ ، فعلى العبدِ المؤمنِ الَّذي أتى بالواجباتِ من صلاةٍ ، وصيامٍ ، وحجٍّ ، وزكاةٍ إذا ما أراد من عباداتِهِ أن تُقرِّبَهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ أن لا يُبدِّد ما جاءَ بهِ من عباداتٍ ، وأعمالٍ ، عليهِ أن لا يَعترِضَ ولو في قلبِهِ على أيِّ أمرٍ يصدُرُ من المولى تبارك وتعالى ، لأنَّ هذا الاعتراضَ كاشفٌ عن خللٍ في توحيدِ

1) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : 301 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 9/ 71 .
2) بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 11/ 83 .
3) الكافي : باب الصَّبر ، ح 7 ، 2 / 58 - 59 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 11/ 144 .
4) النِّساء / 65 .
5) الكافي : باب التَّسليم ، ح 2 ، 1 / 244 ، ينظر : بهج الصّباغة : 12 / 337 .

العبدِ ، ولذلك قالَ الإمامُ (عليه السَّلام) : (لكانوا بذلك مُشركين) ، فوصَفَهُم بالشِّركِ مع أنَّهم يصومون ، ويُصلّون ، ويحجّون ، ويُزكّون ، إذن في هذهِ الرِّوايةِ تنبيهٌ من الإمامِ (عليه السَّلام) أن لا يضيِّعَ العبدُ عباداتِهِ ، وأعمالهِ ، وأن يبقى مُحافظاً عليها عن طريقِ اعتقاداتهِ الصحيحةِ ، والتسليمِ لأمرِ المولى جلَّ جلالُهُ في السَّراءِ والضَّراءِ ، وفي روايةٍ أخرى " عن أبي عبد اللهِ (عليه السَّلام) قالَ : مكتُوبٌ في التَّوراةِ : اشكُرْ مَنْ أنعمَ عليكَ ، وأنعِمْ على مَنْ شَكَرَكَ ؛ فإنَّهُ لا زوالَ للنَّعماءِ إذا شُكِرتْ ، ولا بقاءَ لها إذا كُفِرتِ، الشُّكرُ زيادةٌ في النِّعمِ ، وأمانٌ من الغِيَرِ " [1] . يتحدثُ الإمامُ الصَّادقُ (عليه السَّلام) في هذا النَّص الشَّريفِ عن مسألةِ الشُّكرِ ـ سواء أكان الشُّكرُ للهِ تبارك وتعالى أم للعبدِ ـ فيوجِّهُ الإمامُ (عليه السَّلام) المُتلقي إلى مسألةِ الشُّكرِ ، وأن الإنسانَ إذا أرادَ أن تدومَ عليه النِّعمُ ، فعليهِ بالشُّكرِ ، فإذا أرادَ أن لا يتبدَّدَ ما حصلَ عليه من النِّعمِ الإلهيَّة ، وأن لا يضيعَ ما اكتَسَبَهُ من الهِبات والفيُوضاتِ الرَّبانيَّةِ ، فعليهِ بالشُّكرِ ، ثُمَّ يُشيرُ الإمامُ (عليه السَّلام) إلى أنَّ شُكرَ النِّعمةِ لا يقتضي فقط الحفاظَ عليها ، بل يقتضي زيادتَها ، ويقتضي كذلك الأمانَ من أحداثِ الدَّهرِ المُتغيِّرةِ ، فعن طريقِ حجَّةِ التَّبديد وجَّهَ النَّصُ المُتلقي إلى مسألةِ الشُّكرِ على النِّعمِ ، ممَّا يؤدي إلى إذعانهِ أو اطمئنانِهِ بمضمونِ النَّص .

3 ـ حُجّة الاتجاه :

تعني هذه الحُجّةُ إذا كانت هناك مسافةٌ كبيرةٌ تفصلُ بين ما يدعو إليه المتكلّم ، وبين ما يتبنّاه المُتلقي من أفكار، وآراء ، فينبغي على المتكلّم أن يُقرّب بين الحُجج بالتدريج ، فبدَلَ أن ينتقلَ المتكلّمُ من الحُجّة (أ) إلى الحُجّة (ج) مباشرةً عليه أن ينتقلَ إلى الحُجّة (ب) ، ومنها إلى الحُجّة (ج) فيما إذا كانَ عددُ الحُججِ ثلاثة ، ومن (ج) إلى (د) إذا كانَ عددُ الحُججِ أربعة ، وهكذا [2] .

ومن مصاديق هذه الحُجّة في كتاب (بهج الصّباغة) قوله تعالى : ﴿ إنّما وليُّكُمُ اللهُ ورسُولُهُ والّذين ءَامَنُوا الّذين يُقيمون الصَّلٰوةَ ويُؤتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُم رٰكِعُونَ ﴾ [3] ، فالنّص القُرآني ذكرَ ولايةَ أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ذكر ولاية الله تبارك وتعالى ،وولاية الرسول الأكرم (صلّى اللهُ تعالى عليه وآله وسلّم) والمقصود بهذه الولاية " ولاية الأمر ، والإشراف ، وحقّ التّصرف ، والزعامة الماديّة، والمعنوية ،خاصة وقد جاءتْ مُقترنةً مع ولاية النبي (صلّى اللهُ عليه واله وسلّم) ، وولاية الله (تعالى) حيث جاءتِ الولايات الثلاث في جملة واحدة " [4] ، فالآية الكريمة استعملتْ تقنيّة الاتجاه ،فلم تذكر الحُجّة (ج) مباشرةً (ولاية أمير المؤمنين) ، بل تدرَّجتْ في تقريب الحُجّة من (أ) إلى (ب) ثم إلى (ج) حيث النتيجة النهائية التي تريد أن توصلها إلى المتلقي . وكذلك قولُهُ تعالى : ﴿ أيحسَبُ الإنسٰنُ أنْ يُترَكَ سُدى ألَمْ يَكُ نُطفةً من مَنيٍّ

1) الكافي : باب الشّكر ، ح 3 ، 2 / 61 ، ينظر : بهجُ الصَّباغة في شرح نهج البلاغة : 12 / 292 .
2) ينظر : نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 75 .
3) المائدة / 55 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 4/ 5 .
4) الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، 3/ 548 .

يُمنىٰ ثُمَّ كانَ علقةً فَخَلَقَ فَسوَّىٰ فَجَعَلَ منهُ الزَّوجين الذَّكرَ والأنثى أليسَ ذلِكَ بِقٰدِرٍ علىٰ أن يُحِيَ الموتىٰ ﴾ [1] . ترُدُّ الآياتُ الكريمةُ على مُنكري البعث والنُّشور بعد الموت ، فتقولُ " أيظنُ الإنسانُ أن يُترَكَ مُهملاً لا يُعتنى بهِ ، فلا يُبعثُ بإحيائهِ بعد الموت ، ولازمه أن لا يُكلَّف ، ولا يُجزى " [2] ، ثُمَّ تذكُرُ الآياتُ الكريمةُ مراحلَ خلقِ الإنسان ، أي : أنَّها تدرَّجتْ في الحُججِ ، فذكرتْ أنَّ الإنسان كان نُطفةً ثُمَّ علقةً ، أي : قطعةٌ من الدَّم ، ثُمَّ خلقهُ المولى تعالى فسوَّاهُ ، أي : صوَّرهُ بتكميلهِ وتعديلهِ [3] ، ثُمَّ جعل المولى تعالى من الإنسان الذَّكرَ والأنثى ، فالنَّصُ القُرآني لم يقُلْ فقط أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قادرٌ على إحياء الموتى بل ذكَرَ مجموعةً من الحُججِ لإثباتِ الدَّعوى ، فانتقل من الحُجَّةِ (أ) النُّطفة ، إلى الحُجَّة (ب) العلقة ، إلى الحُجَّة (جـ) فخلق فسوَّى ، إلى الحُجَّة (د) فجعل من الإنسان الذَّكرَ والأنثى إلى النتيجةِ التي هي إثبات قدرةِ المولى تباركَ وتعالى على إحياءِ الموتى ، فالنَّصُ القُرآني قرَّبَ بين الحُججِ ، ولم ينتقلْ إلى النتيجةِ مباشرةً .

وفي الروايةِ " سمِعنا أبا عبد اللهِ (عليه السلام) يقولُ : حديثي حديثُ أبي ، وحديثُ أبي حديثُ جدّي ، وحديثُ جدّي حديثُ الحسين وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أميرُ المؤمنين (عليه السلام) وحديثُ أمير المؤمنين حديثُ رسول الله (صلّى الله عليه واله) وحديثُ رسول الله قولُ الله عزَّ وجلَّ " [4] ، فالإمامُ (عليه السلام) تسلسلَ ، وتدرَّجَ في تقريب الحُجج على أساس تقنيّة الاتجاه حتى وصل إلى النتيجة التي أراد أن يُقنعَ بها المتلقي وهي أنّ حديثَهم وقولَهم هو قولُ الله تبارك وتعالى . فالإمامُ (عليه السلام) لم يقُلْ أنَّ حديثي هو قولُ اللهِ تباركَ وتعالى مباشرةً بل قرَّبَ بين الحُججِ حتى وصلَ إلى النتيجةِ التي يُريدُ أن يُقنِعَ بها المُخاطَبَ .

وفي الرِّوايةِ عن الإمام الصَّادق (عليه السَّلام) : " فكِّرْ يا مُفضّل في طُلوعِ الشَّمسِ ، وغروبِها لإقامةِ دَولتي النَّهار، واللَّيلِ ، فلولا طُلوعُها لَبَطَلَ أمرُ العالَمِ كُلِّهِ ، فلم يكُنِ النَّاسُ يسعونَ في معايشِهم ، ويتصرَّفونَ في أمورِهم ، والدُّنيا مُظلِمةٌ عليهم ، ولم يكونوا يتهنَّؤون بالعيشِ مع فقدِهم لذَّةِ النُّورِ ، ورَوْحَهُ .. فالأرَب في طُلُوعِها ظاهرٌ مُستغنىً بظهورهِ عن الإطنابِ في ذِكرهِ ، والزِّيادة في شرحهِ .. بل تأمّل المنفعةَ في غُروبِها ، فلولا غُروبُها لم يكُنْ للنَّاسِ هدوءٌ ، ولا قرار مع عظمِ حاجتِهم إلى الهُدوءِ ، والرَّاحةِ ؛ لِسكُونِ أبدانِهم ، وجموحِ حواسِهم ، وانبعاثِ القُوَّةِ الهاضمةِ لهضم الطَّعامِ ، وتنفيذِ الغذاءِ إلى الأعضاءِ ثُمَّ كان الحُرصُ يحملُهم من مُداومةِ العملِ ، ومُطاولتهِ على ما تعظمُ نكايتُهُ في أبدانِهم ، فإنَّ كثيراً من النَّاسِ لولا جُثُومُ هذا اللَّيل بظُلمتهِ عليهم لم يكُنْ لهُم هدوءٌ ، ولا قرارٌ حرصاً على الكسبِ والجمعِ والادّخار ثُمَّ

1) القيامة / 36 ، 40 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 12 / 239 .
2) تفسير الميزان في تفسير القرآن : 20 / 125 .
3) الميزان في تفسير القُرآن : 20 / 126 .
4) الكافي : باب رواية الكتب والحديث ، ح 14 ، 1 / 31 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 3/ 68- 69 .

كانتِ الأرضُ تستحمي بدَوامِ الشَّمسِ بضيائِها ، ويَحْمَى كلُّ ما عليها من حيوانٍ ، ونباتٍ ، فقدَّرها اللهُ بِحكمتهِ وتدبيرهِ ، تطلعُ وقتاً ، وتغرُبُ وقتاً بمنزلةِ سِراجٍ يُرفَعُ لأهلِ البيتِ تارةً ؛ ليقضُوا حوائجَهم ، ثُمَّ يغيبُ عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ، ويقرُّوا ، فصارَ النُّورُ ، والظُلمةُ مع تضادّهما مُنقادَين متظاهرَين على ما فيهِ صلاحُ العالَمِ ، وقَوامُهُ " [1] . ذَكَرَ الإمامُ (عليه السَّلام) في هذهِ الرِّوايةِ مجموعةً من الحُججِ المُترتبة على طُلوعِ الشَّمسِ وغُروبِها ، حتَّى وصلَ إلى النتيجةِ التي هي صلاحُ العالَمِ ، وقوامُهُ ، فالإمامُ (عليه السَّلام) لم يذكرِ النتيجةَ مباشرةً ، فبالنسبةِ لغروبِ الشَّمسِ ذَكّرَ الإمامُ (عليه السَّلام) بعضَ الحُججِ ، الحُجَّة (أ) عدم الغُروب يؤدّي إلى عدمِ راحة النَّاس ، وعدمِ هدوئهم ، وعدم استقرارِهم ، والحُجَّة (ب) لو لم تغرُبِ الشَّمسُ لأصبحتِ الأرضُ شديدةَ الحرارةِ ممَّا يؤدّي إلى عدم إمكان العيش فيها ، فيحمى كلُّ من عليها من إنسانٍ ، وحيوانٍ ، ونباتٍ ، والحجَّة (جـ) صلاحُ العالَمِ ، وقوامُهُ ، بطلوعِ الشَّمسِ وغُروبِها فالنَّصُ الشريفُ تدرَّجَ في تقريبِ الحُججِ حتَّى وصلَ إلى النتيجةِ التي يُريدُ أن يُقنِعَ بها المُخاطَبِ .

تقومُ تقنيّةُ الاتجاه على التحذير من فكرةٍ أو عملٍ ما ، لا لأنّ هذه الفكرة أو العمل سيء في حدّ ذاته وغير جيّد وإنّما لأنه يُؤدي بنا إن طبقناه أو عملنا به إلى نتيجة لا نبتغي حدوثها ولا نريدُ تحققها [2] ففي الخبر" عن أبي بصير عن أبي عبد اللهِ (عليه السّلام) قالَ : إنّ إبراهيم (عليه السلام) لمّا رأى ملكوتَ السماواتِ ، والأرضِ ، التفتَ فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات ،ثُمَّ رأى آخر فدعا عليه فماتَ حتّى رأى ثلاثةً فدعا عليهم فماتوا ، فأوحى اللهُ سبحانَهُ إليه : أنْ يا إبراهيم ، إنّ دعوتَكَ مُجابةٌ ، فلا تدعُ على عبادي ، ولو شِئتُ لم أخلُقْهُم ، إنّي خلقتُ خلقي على ثلاثةِ أصنافٍ : عبدٌ يعْبُدُني لا يُشرِكُ بي شيئاً ، وعبدٌ يَعبُدُ غيري فلن يَفُوتني ، وعبدٌ يَعبُدُ غيري فأُخرِجُ مِن صُلبِهِ مَن يَعبُدُني " [3] ، فدُعاءُ النَّبي إبراهيم (عليه السلام) على مرتكبي الفاحشة ليس سيئاً ، ولا غبار عليه ، ولكن نهاه الله تبارك وتعالى عن هذا الفعل ، لأنّه يؤدي إلى نتيجة لا تنسجم مع رحمة الله تعالى ، وواسع عفوه ، وغفرانه .

و في الخبرِ "عن عِيص بن العاصم [4] ، قال : ذُكِرَ عند أبي عبد الله (عليه السلام) قاتل الحسين (عليه السلام) ، فقال : بعضُ أصحابه كُنتُ أشتهي أن ينتقمَ اللهُ منه في الدّنيا ، فقال : كأنّكَ تستقلُّ له عذاب

---

1) فكّر المعروف بتوحيد المُفضَّل : 158 - 159 . ينظر : بهج الصَّباغة في شرحِ نهج البلاغة : 1 / 358 - 359 .
2) ينظر : الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 225 ، وينظر : الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر) : 130 .
3) التَّفسير للعياشي : الشيخ أبو نصر محمَّد بن مسعود العيَّاشي (ت 320هـ) ، تحقيق : قسم الدِّراسات الإسلامية ، مؤسَّسة البِعثة ، قُم ، ط 1 / 1421هـ ، 2 / 102 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1/ 279 .
4) عيص بن القاسم ، وليس (العاصم) ، فهو (عيص بن القاسم بن ثابت ن مِهران البجليّ ، كوفي ، عربي ، يُكنّى أبا القاسم ، ثقة ، روى عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] ، وأبي الحسن موسى (عليه السلام) [الإمام الكاظم]) ، رجال النّجاشي : أبو العباس أحمد بن علي النّجاشي الأسدي الكوفي (ت 450هـ) ، قم ـ ايران ، ط 3 / 1427هـ ، 290 ، وينظر : رجال الكشّي : أبو عَمرو محمّد بن عُمر بن عبد العزيز الكشّي ، قدّم له وعلّق عليه ووضع فهارسه : السيد أحمد الحسيني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2009م ، 258 .

الله ، وما عند الله أشدُّ عذاباً ،وأشدُّ نكالاً " [1] .

إنَّ أمنيةَ أصحابِ الإمامِ (عليه السلام) هي انتقامُ اللهِ تبارك وتعالى من قاتل الحسين (عليه السلام) في الدّنيا ، ليستْ أمراً سيئاً ، ولكن تترتّبُ عليها نتيجةٌ لا يقبلُ بها الإمامُ ، وهو كون العذاب في الآخرة ـ حسب رؤية الأصحاب ـ ليس شديداً ، لذلك قال الإمامُ بأنّ عذابَ الله في الآخرةِ أشدّ، وأقوى .

4 ـ حُجّةُ المُجاوزة :

اهتمَ الدّارسون في حقلي الخطابة والحجاج بحجّة المُجاوزة اهتماماً كبيراً ؛ لكونها مبدأً أساسياً في التقنيّة الحجاجيّة القائمة على الإقناع ، وتبديل المواقف ، والآراء [2] ، وتُؤكّدُ هذه الحُجّةُ " إمكانيّة السّير دائماً نحو نقطة أبعد في اتّجاهٍ ما " [3]، دون أن نستكشفَ " من هذا الاتّجاه حدَّاً أو نهايةً " [4]، وذلك يعودُ " إلى تزايدٍ مُطّرد في قيمةٍ ما ، فهذه الحُجّةُ تقومُ ... على اعتبارِ ماعُدّ عائقاً مُجرّد وسيلةٍ لبلوغِ مستوى أعلى وما اعتُبِر إشكالاً أمرٌ عارضٌ يُمكنُ خلافاً للظاهر توظيفُهُ للوصول إلى المنشود " [5] ، فقد رُوي في " عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال : يا معشرَ المساكين طِيبوا نفساً ، وأعطوا اللهَ الرّضا من قلوبكم يُثبكم اللهُ عزَّ وجلَّ على فقرِكم ، فإن لم تفعلوا فلا ثوابَ لكم " [6] ، فالرسول الأكرم يأمرُ الفقراء والمساكين بالصبر على بلاء هذه الدّنيا ، وصعوباتها ، وما يجري فيها من المكاره على أهلها ؛ لأنّ هذا الصبر يُعدُّ وسيلةً لبلوغ المقامات العالية ، والدرجات السامية في الآخرة ، فإذا صبر الإنسانُ ، وطابتْ نفسُهُ بما وقع فيه من بلاء ، فإنّه سيصلُ إلى هدفه المنشود الذي رسمته له الشريعة الإسلامية .

وفي الرِّوايةِ عن الإمام الصَّادق (عليه السَّلام) : " إنَّ اللهَ تعالى إذا أرادَ بعبدٍ خيراً ، فأذنَبَ ذنباً أتبَعَهُ بِنقمةٍ ، ويُذكِّرَهُ الاستغفارَ ، وإذا أرادَ بِعبدٍ شرَّاً ، فأذنَبَ ذنباً أتبَعَهُ بِنعمةٍ ؛ ليُنْسيَهُ الاستغفارَ ، ويتمادى بها ، وهو قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿ سنستدرجُهم من حيثُ لا يعلمون ﴾ [7] " [8] . تذكرُ الرِّوايةُ النِّقمةَ الإلهيَّةَ على العبدِ الَّذي أذنَبَ ، لكن هذه النِّقمةُ هي في صالحِ العبدِ ؛ ليرجِعَ إلى ربِّهِ ، ويتوبَ إليهِ ، فعلى العبدِ أن يتجاوزَ هذا الامتحانَ ، وأن يصبرَ على هذا البلاءِ ؛ لأنَّ الذنوبَ لها آثارٌ وضعيَّةٌ ليس على مُرتكب الذنبِ فقط بل على الكون بأجمعهِ ، فقد وردَ في دُعاءِ كُميل " اللَّهُمَّ اغفر لي الذُّنوبَ التي تهتِكُ العِصمَ ، اللَّهُمَّ اغفر لي الذُّنوبَ التي تُنزِلُ النِّقمَ ، اللَّهُمَّ اغفر لي الذُّنوبَ التي تُغيِّرُ النِّعمَ ، اللَّهُمَّ اغفر لي الذُّنوبَ التي تحبِسُ

1) ينظر : ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : 257 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 12/ 213 .
2) ينظر : الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات) : 288 .
3) الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 226 .
4) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : 76 .
5) الحجاج في الشعر العربي : 226 .
6) الكافي : باب فضل فقراء المسلمين ، ح14، 2 / 157، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 12/ 603 .
7) الأعراف / 182 .
8) الكافي : باب الاستدراج ، ح 1، 2 / 248 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 12 / 296 .

الدُّعاءَ ، اللَّهُمَّ اغفر لي الذُّنوبَ التي تُنزِلُ البلاءَ " [1] ، إلى جانبِ ذلك ، فإنَّ البلاءَ الَّذي ينزِلُ بِساحةِ العبد لهُ أجرٌ وثوابٌ من لدُنِ المولى تباركَ وتعالى للعبدِ ، بل أشارتِ الرِّواياتُ إلى أنَّ هناك مقاماً ومنزلةً لا ينالهُا العبدُ إلَّا بدخولِه في دائرةِ البلاءِ الإلهي ، ففي الرِّوايةِ " عن أبي عبد اللهِ (عليه السَّلام) قالَ : إنَّهُ ليكونُ للعبدِ منزلةٌ عند اللهِ ، فما ينالُها إلَّا بإحدى خصلتين : إمَّا بِذهابِ مالِهِ ، أو ببليَّةٍ في جسدهِ " [2] . فالنَّصُ الشّريف يُبيّنُ للعبدِ أنَّ ما يُصيبُهُ من بلاءٍ في مالهِ أو جسدهِ ، فهو طريقٌ ، ووسيلةٌ لبلوغِ هدفٍ سامٍ ، ومقامٍ عالٍ ، وهذا ما يجعلُ العبدَ يعيشُ حياةً مطمئنةً ، فيتجاوزُ ما يمرُّ بهِ ، ويصبرُ حتَّى ينالَ هدفَهُ المنشود .

1) مفاتيح الجِنان : الشيخ عبَّاس القُمي ، دار ذوي القُربى ، قُم ـ ايران ، ط 11 / 1424هـ ، 96 .
2) الكافي : باب شدَّة ابتلاء المؤمن ، ح 3 ، 2 / 154 .

المبحثُ الثالثُ

الحُججُ المؤسِّسةُ لِبنية الواقع

توطئة :

إنَّ غايةَ الحِجاج الفاعل ، والمثمر هو بناءُ واقعٍ جديدٍ يُحاولُ المتكلّمُ إقناع جمهوره به من خلال بيان مفاهيمه التصوّريّة ، وتصديقاته الفكريّة [1] ،وهذا النوع من الحُجج ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً بالواقع ولكنَّها لا تتأسَّس عليه ،ولا تتشيّد على مبانيه ،بل هي التي تُؤسِّس الواقع ،وتُشيِّده ،وتبنيه [2] " أو على الأقل تُكمّله ،وتُظهرُ ما خفي من علاقاتٍ بين أشيائه ،أو تجلّي مالم تتوقعْ من هذه العلاقات ،ومالم يُنتظرْ من صِلاتٍ بين عناصرِه ،ومكوّناتِه " [3] ، فتتأسَّسُ عن طريقِ هذا النوع من الحُججِ " جملةٌ من الوسائط وجمعٌ من الحالات الخاصّة التي تمضي بالفعل الحِجاجي إلى أقصى مراتبه تأثيراً ، وتوجيهاً " [4] .

1- حُجّة التّمثيل أو المثل :

هي تقنيَّة تقوم على علاقة المُشابهة بين حالتين ، وجعل نتيجة ، ونهاية إحدى الحالتين نتيجة ، ونهاية للحالة الأخرى [5] ، أو هو استدلال " يعني بتشكيل بنية واقعيَّة تسمحُ بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات ، فهو احتجاج لأمرٍ معيَّن عن طريق الشَّبه التي تربطهُ بأمرٍ آخر " [6] ، وارتبطَ المثلُ " بالمُمارسات الإنسانية في صورتها العمليَّة المُرتكزة أساساً على مطلب التبرير ، والتبليغ ؛ لأجل إقناع المتلقّي ، والتأثير فيه " [7] ، لقد تنبَّه البلاغيون العرب إلى أهميَّة المثل في الإقناع ، والتأثير ، يقولُ ابنُ وهب الكاتب " وأمَّا الأمثالُ فإنَّ الحكماءَ ، والعلماءَ ،والأدباءَ لم يزالوا يضربونَ ، ويُبيِّنون الأحوال بالنظائر ، والأشكال ، ويرون هذا النَّوع من القول أنجع مطلباً ، وأقرب مذهباً ...والمثل مقرونٌ بالحُجَّة " [8] ، ويرى الدكتور محمَّد العُمري " أنَّ المثلَ يُعتبرُ دعامةً من دعائم الخطابة لِما يُحققهُ من إقناع ، وتأثير ،

---

1) ينظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل : 165 .
2) ينظر : الحجاج في الشعر العربي : 442 .
3) المصدر نفسه : 442
4) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل : 165 .
5) ينظر : في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) د . محمّد العُمري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 2 / 2002م ، 82 .
6) الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 252 .
7) الحجاج في الخطاب السياسي : عبد العالي قادا ، دار كنوز المعرفة ، عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2015م ، 185 .
8) البرهان في وجوه البيان : تأليف أبي الحسن اسحاق ابن إبراهيم ابن وهب الكاتب ، تقديم وتحقيق : د. حنفي محمّد شرف مطبعة الرسالة ، عابدين ، (د . ط) ، 117 - 118 .

وإذا أخذناه بمعناه الواسع الّذي يشملُ التشبيه ، والاستعارة ... صارَ أهم دعائم هذه البلاغة " [1] . وإذا استقرأنا كتاب (بهج الصّباغة) سنجدُ مواردَ ، ومصاديقَ كثيرة تتحدثُ عن حُجَّة التمثيل لِما لهذه الحُجَّة من أثرٍ في الاستدلال ، وطاقة حجاجيّة تجعل المتلقّي يذعنُ بالقضيّة المطروحة التي يُحاولُ المتكلّم أن يُرسِّخها في ذهن المُخاطَب . ففي الخبر " إنَّ عبد اللهِ الدّيصاني [2] سألَ هِشامَ بن الحكم [3] فقالَ له : ألكَ رَبٌّ ؟ فقال : بلى ، قال : أ قادرٌ هو ؟ قال : نعم قادرٌ قاهرٌ ، قال : يقدرُ أن يُدخلَ الدُّنيا كلَّها البيضةَ لا تكبرُ البيضةُ ، ولا تصغرُ الدُّنيا ؟ قال هشام : النَّظِرةَ ، فقال له : قد أنظرتُكَ حولاً ، ثُمَ خرجَ عنه ، فرِكبَ هِشامُ إلى أبي عبد اللهِ (عليه السَّلام) ، فاستأذنَ عليه ، فأذِنَ له ،فقالَ له : يا ابنَ رسولِ الله أتاني عبد الله الدّيصاني بمسألةٍ ليس المُعوَّلُ فيها إلّا على الله [تبارك وتعالى] ، وعليك ، فقال له أبو عبد الله (عليه السَّلام) : عمَّاذا سألكَ ؟ فقال : قال لي : كَيْتَ وكَيْتَ ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : يا هشام كم حواسُّكَ ؟ قال : خمسٌ ، قال : أيُّها أصغر ؟ قال : النَّاظر قال وكم قَدَرُ النَّاظر ؟ قال : مثلُ العدسةِ أو أقلُّ منها ، فقال له : يا هِشامُ ، فانظر أمامكَ وفوقكَ ، واخبرني بما ترى ، فقال : أرى سماءً ، وأرضاً ، ودُوراً ،وقُصُوراً ،وبراري ، وجبالاً وأنهاراً ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : إنَّ الّذي قَدَرَ أن يُدخلَ الّذي تراهُ العدسةَ أو أقلَّ منها قادرٌ أن يُدخلَ الدُّنيا كلَّها البيضةَ ، لا تصغرُ الدَّنيا ، ولا تكبرُ البيضةُ ، فأكبَّ هشامٌ عليه ، وقبَّلَ يديْه ،ورأسَه ورجليْه ، وقال حسبي يا ابنَ رسولِ الله ، وانصرفَ إلى منزلِهِ " [4] .

يقولُ الإمامُ (عليه السلام) : لهشام كما أنّ اللهَ تبارك وتعالى قد أدخلَ هذا الكونَ بما فيه من أرضٍ ، وسماءٍ ، وأشجارٍ ، وأنهارٍ ، في هذه العين الصغيرة ، فهو قادرٌ كذلك على إدخال الدُّنيا في البيضة الصغيرة ، فنجدُ أنَّ الإمام (عليه السلام) استعملَ تقنيَّة التمثيل في حِجاجه بين طرفي الموضوع المشبه (الدّنيا والبيضة) ، وطرفي الحامل المشبه به (الكون والعين) ، فأراد من خلال إثبات طرفي الحامل ،

---

1) في بلاغة الخطاب الإقناعي : محمَّد العُمري ، 85 .

2) عبد الله الديصاني الذي يذهب مذهب الزنادقة القائلين بالنور والظلمة ،والنور يفعل الظلمة قصداً واختياراً ،والظلام يفعل الشّر طبعاً ،واضطراراً ، ينظر : الملل والنَّحل : تأليف أبي الفتح محمَّد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، مؤسسة الحلبي وشركاءه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2 / 55 .

3) أبو محمَّد مولى كِنْدة ،وكان ينزل بني شيبان بالكوفة ،انتقل إلى بغداد سنة (199هـ) ،وقيل أنَّه مات في هذه السنة ،وروى هشام عن الإمامين الصادق ،والكاظم (عليهما السلام) ،وكان ثقةً في نقل الروايات ، ينظر : رجال النَّجاشي : أبو العباس علي بن أحمد ابن العباس النَّجاشي الأسدي الكوفي (ت 450هـ) ، 415 ،وينظر : رجال الكشي : لأبي عمرو محمَّد بن عُمر بن عبد العزيز الكشي ، 186

4) الكافي : باب حدوث العالم وإثبات المُحدِث ، ح 4 ، 1/ 47 ، ينظر : التوحيد : الشيخ الصَّدوق ، 122 - 123 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1/ 179 - 180 .

ولنرمز له بالرمز (جـ ، د) أن يُثبتَ طرفي الموضوع ،ولنرمز له بالرمز (أ ، ب) ، فعن طريقِ إثبات (جـ ، د) ثبتَ (أ ، ب) ، أي أنَّ هذا التمثيل أكسبَ طرفي الموضوع قيمةً إيجابيةً [1] . وفي الرِّوايةِ عن الإمامِ الصَّادق (عليه السَّلام) " إنَّ العقلَ يعرفُ الخالقَ من جهةِ ما يُوجِبُ عليه الإقرار ولا يعرفُهُ بما يُوجبُ لهُ الإحاطةُ بصفتهِ ، فإن قالوا : فكيف يُكلَّفُ العبدُ الضعيفُ معرفتَه بالعقل اللَّطيف ولا يحيطُ به ؟ قيل لهم : إنَّما كُلِّفَ العبادُ من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه وهو أن يُوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ، ولم يُكلّفوا الإحاطةَ بصفتهِ ،كما أنَّ الملِكَ لا يُكلِّفُ رعيتَهُ أن يعلموا أطويلٌ هو أم قصيرٌ وأبيضٌ هو أم أسمر ،وإنَّما يُكلِّفُهُم الإذعانَ لسلطانه ، والانتهاء إلى أمره ، ألا ترى أنَّ رجلاً لو أتى إلى باب الملِكِ فقال : اعرضْ عليَّ نفسكَ حتَّى أتقصَّى معرفتَكَ ، وإلّا لم أسمعْ لكَ كان قد أحلَّ نفسه العقوبةَ ، فكذا القائل : إنَّه لا يقرُّ بالخالق حتَّى يُحيطَ بكُنهه متعرِّضٌ لسَخَطِهِ " [2] . في هذه الرواية شبَّه الإمام (عليه السلام) المُجرّد بالمحسوس لتقريب الفكرة إلى ذهن المُتلقّي فأجرى تقنيَّة التمثيل وعلاقة المشابهة بين طرفي الموضوع المشبَّه (الله تبارك وتعالى ،وعدم تكليف العباد بمعرفة كُنه صفاته) ، وطرفي الحامل المُشبَّه به (الملِكُ ،وعدم تكليف رعيته بمعرفة صفاته) [3] ،ممّا جعل طرفي الحامل تؤثر في طرفي الموضوع ،ومن ثَمَّ تكسبه قيمة ايجابية ، تجعل المُتلقَّي يؤمن بها ، ولا يترد د في قبولها ، والأخذ بها .

2ـ حُجَّة الشاهد :

تُعدُّ هذه الحُجَّةُ من الحُججِ القوية التي تُستخدم في الخطابِ ، والحجاج ، وتكمنُ قوّتُها " في تقوية الفكرة ، وتأكيد حضورها في الذهن " [4]، فالاحتجاج بالشاهد " من شأنه أن يُقوّي درجة التَّصديق بقاعدةٍ ما معلومة ، وذلك بتقديم حالات خاصة تُوضَّح القول ذات الطابع العام ، وتُقوَّي حضور هذا القول في الذهن " [5] ، وحُجَّةُ الشاهد عبارة عن " استشهادٍ على شيءٍ ما بقرآنٍ أو حديثٍ أو مثلٍ أو خبرٍ مرويٍ بهدف إثباته أو إنكاره أو الاحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك " [6] ، ولأهمية الشاهد يقول الجاحظُ : " ومدارُ العلمِ على الشَّاهد والمثل " [7] ، ويُوظِّفُ المتكلِّمُ الشواهدَ حسب ما يقتضيه السِّياق ، والمقام " فهي ليست من إنتاج المُرسِل بقدر ماهي منقولة على لسانه ، ونقلها على لسانه يُنبئ عن كفاءته التداوليَّة ،إذ يكمنُ دورُهُ في

---

1) ينظر : في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) : 58 - 59 .
2) كتاب فكِّر المعروف بتوحيد المُفضَّل : 215 - 216 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1/ 169 - 170 .
3) وإن كان هذا قياسُ مع الفارق ،حيثُ إنَّ الملِكَ تستطيعُ الرعيّةُ معرفة صفاته ،والإحاطة بها ، من الطول ،والقصر وأنَّهُ أبيضٌ أو أسمر ، أمَّا صفات المولى تبارك وتعالى فيستحيلُ على العبدِ الإحاطة بها ، لاستحالة إحاطة المحدود باللا محدود
4) عندما نتواصل نغيِّر (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) : د: عبد السلام عشير ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 96 - 97 .
5) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنيّاته : 337 .
6) عندما نتواصل نغيِّر : 97 .
7) البيان والتبيين : تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمَّد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1 / 271 .

توظيفها التّوظيف المناسب في خطابه ، فهي تعلو الكلام العادي درجةً ،ممَّا يجعلها ترقى في السُلَّم الحِجاجي إلى ما هو أرفع " [1] .

أ ـ الشاهد القرآني :

القرآن الكريم هو المصدرُ الأولُ للشريعةِ الإسلامية ،وجامع العلوم والمعارف الإسلامية وأساسها [2] ، وهو أحد الأدلة الأربعة في المنظومة الإسلامية [3] ، والقرآن الكريم " نصٌّ لغويٌّ يُمكنُ أن نصفَهُ بأنَّه يُمثِّلُ في تاريخ الثقافة العربيَّة نصَّاً محوريَّاً " [4] ، ويُمكنُ القولُ أنَّ " تأكيد القرآن على وصفه باللسان العربي ، إنَّما هو باعتبار الإشارةِ إلى أهميَّة لغة التَّخاطب في توضيح الحقائق ، والالتزام بالحُجَّة ، والتأثير النفسي " [5] ، في المتلقَّي ،ويرى السُّيُوطيَّ أنَّ القرآن الكريم " قد اشتملَ ... على جميعِ أنواع البراهين ، والأدلة ، وما من بُرهانٍ ، ودلالةٍ ،وتقسيمٍ ، وتحذيرٍ يُبنى في كليات المعلومات العقليَّة والسمعيَّة إلّا وكتاب الله قد نطقَ به " [6] .

يهدفُ الاستدلالُ بالنّص القرآني إلى تحقيق وظيفتين ، الأولى : وظيفة دلاليَّة ترفدُ ،وتؤيدُ ما يريدهُ المتكلِّم ، وما يهدفُ إلى تحقيقه من إثباتِ فكرةٍ ،أو دحضِ رأيٍ ، والثانية : وظيفة حِجاجيَّة تهدفُ إلى التأثير في المتلقَّي ، وحمله على الإذعان بوساطة النّص المُقدَّس ، وسلطته العُليا ، وحجته البالغة [7] وقد اشتملتْ مُدونةُ البحثِ على شواهدَ كثيرة من النصوص القرآنية فمثلاً استدلَ العلّامة التُستري على أنَّ المُحتضر مع كون أقاربه مجتمعين حوله ـ في ذلك الوقت ـ ويُحيطون به ، ولكنَّ الله تبارك وتعالى أقربُ إليه منهم [8] بقوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغتِ الحُلقُوم ، وأنتُم حينئذٍ تنظُرُونَ ، ونحنُ أقربُ إليه مِنكُم ولكن لا تُبصِرونَ ﴾

---

1) استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، 537

2) ينظر : فقه القرآن : تأليف قُطب الدّين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الرَّاوندي (ت 573هـ) تحقيق : السيد عبّاس بني هاشمي بيد كَلي ، منشورات امامت أهل البيت (عليهم السلام) ، قم المقدَّسة ، ط 1 / 1396هـ ، 1 / 7 .

3) الأدلة الأربعة ، هي : القرآن الكريم ، والسُنَّة النبوية ، والإجماع ، والعقل

4) مفهوم النَّص دراسة في علوم القرآن : نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ـ بيروت ، ط 1 / 1990م ، 9 .

5) علوم القرآن : السيد محمَّد باقر الحكيم ، المجمع العلمي الإسلامي ، ط 3 ، 38 .

6) الإتقان في علوم القرآن :تأليف جلال الدّين السُّيُوطيَّ (ت 911هـ) ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية ،والأوقاف ،والدعوة ،والإرشاد ، السعودية ، 4 / 52 .

7) ينظر : الحجاج في شروح التلخيص : ميثم قيس مطلك الزَّبيدي ، أطروحة دكتوراة ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية جامعة القادسية ، 2016م ، 178 .

1) ينظر : بهج الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة : 1 / 169 .

[1] ، يقولُ السيِّدُ الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ونحنُ أقربُ إليه منكم ولكن لا تُبصِرونَ ﴾ " أي والحال أنا أقربُ إليه منكُم لإحاطتنا به وجوداً ، ورُسُلُنا القابضونَ لروحهِ أقربُ إليه منكم، ولكن لا تُبصروننا ، ولا رُسُلَنا " [2] .

استدلَّ العلَّامةُ التُّستري على أنَّ الإنسانَ الجاحدَ إذا انقطع عن الأسباب الماديَّة ، والظاهريَّة وتوجَّه في رجائه وطلبه إلى المولى تبارك وتعالى ، فإنَّ اللهَ تعالى سيُحققُ رجاءَهُ ، ومبتغاهُ [3] بقوله تعالى : ﴿ فِطرَتَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عليها ﴾ [4] ، وبقولهِ تعالى : ﴿ فإذا رَكِبُوا في الفُلكِ دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فلمَّا نجَّاهُم إلى البَرِ إذا هُم يُشرِكونَ ﴾ [5] .

يقول صاحبُ تفسير الأمثل في هذا المجال " إنَّ الشدائدَ ، والأزمات هي التي تُهيء الأرضيَّة لتفتح ... الفطرة الإنسانية ؛ لأنَّ نُورَ التوحيد مخفيٌ في أرواح النَّاس جميعاً ، إلّا أنَّ الآداب ، والمسائل الخرافية ،والتربية الخاطئة ... تلقي عليه ظلالاً ،وأستاراً ،ولكن حين تُحدق بالإنسان الشدائد ، وتُحيطُ به دوَّامات المشاكل ، ويرى يدهُ قاصرةً عن الأسباب الظاهرية ،يتَّجه بدون اختياره إلى عالم ما وراء الطبيعة " [6] ، ومن الشواهد الأخرى من النّص القرآني ما ذكره العلّامة التُستري في الاستدلال على أنَّ الذي يتوكّل على اللهِ تبارك وتعالى عند نزول البلاء ، وما يُصيبه من اللآواء ، فإنَّ اللهَ تعالى سيكفيه ما ألمَّ به ، وما نزل بساحته من المصائب ، والشدائد ، واستدلَّ على ذلك بقصة النبي إبراهيم (عليه السلام) عندما أراد النَّمرود إحراقه ، فجعل المولى تبارك وتعالى النَّارَ برداً ، وسلاماً على إبراهيم (عليه السلام) قال تعالى : ﴿ قالُوا حَرِّقُوهُ وانصُرُوا ءالهَتَكُم إن كُنتُم فاعلين ،قُلنا يا نارُ كُوني بَرداً وسلاماً على إبراهيم ، و أرادو به كَيداً فَجَعَلناهُمُ الأخسرينَ ﴾ [7] .

يقولُ الطَّبريُّ : في تفسير هذه الآيات " يقولُ تعالى ذكرُهُ : قال بعضُ قومِ إبراهيم : حرِّقُوا إبراهيم بالنَّار ﴿ وانصُرُوا ءالهتكُم إن كُنتُم فاعلين ﴾ يقولُ : إن كُنتُم ناصريها ، ولم تُريدوا تركَ عبادتِها ، وقولُهُ :﴿ قُلنا يا نارُ كُوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ في الكلامِ متروكٌ اجتزئ بدلالة ما ذُكِرَ عليه منه ، وهو فأوقدُوا لهُ ناراً ليُحرِّقُوه ثُمَّ ألقوهُ فيها ، فقُلنا للنَّارِ : يا نارُ كُوني بَرداً ، وسلاماً على إبراهيم ، وقولُهُ ﴿ وأرادوا به كيداً ﴾ يقولُ تعالى ذكرُهُ : وأرادوا بإبراهيم كيداً ﴿ فجعلناهم الأخسرينَ ﴾ يعني : الهالكينَ " [8] ،

---

2) الواقعة / 83 ، 85 ، بهج الصِّباغة : 1 / 169 .
3) الميزان في تفسير القُرآن : 9 / 158 .
4) ينظر : بهج الصَّباغة في شرح نهج البلاغة : 1/ 172 .
5) الرّوم / 30 ، بهج الصَّباغة : 1 / 172 .
6) العنكبوت / 65 ، بهج الصَّباغة : 1 / 172 .
7) الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل : 10/ 103 .
8) الأنبياء / 68 ، 70 ، بهج الصَّباغة : 1 / 196 .

1) تفسير الطَّبريِّ من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمَّد بن جرير الطَّبريِّ (ت 310هـ

وكذلك استدلّ على نفس المطلب ، بالآية الخاصة بالنبي الأكرم محمَّد بن عبد الله (صلَّى اللهُ عليه وآله) ، حيثُ كفاهُ اللهُ تعالى شرَّ المستهزئين ، ونكَّل بهم أيَّما تنكيل . قال تعالى ﴿ فاصدعْ بِمَا تُؤمَرُ وَأعرِضْ عن المشركين ،إنَّا كفينَاكَ المُستهزءِينَ ﴾ [1].

يقولُ الطَبرسي في تفسير قولهِ تعالى ﴿ إنَّا كَفينَاكَ المُستهزئينَ ﴾ " أي : كفيناكَ شرَّ المُستهزئين واستهزاءَهم ، بأن أهلكناهُم ، وكانوا خمسةَ نفرٍ من قُريش : العاص بن وائل ، والوليد بن المُغيرة وأبو زمعة ، وهو الأسود بن المُطَّلِب ، والأسود بن يغوث ، والحرث بن قيس " [2] .

ب ـ الشاهدُ النَّبويُّ :

لاشكَ في أنَّ الحديثَ النبويَّ هو المصدرُ الثاني في الحُجَيَّةِ ، والاستدلال بعد القرآن الكريم ،فهو حُجَّةٌ في العقيدةِ ،والفقهِ ، والأخلاقِ ، وغيرها من العلوم ، والمعارف الإسلامية ،وهذه الحُجيَّةُ ثابتةٌ للحديث النبوي" سواء أكان منقولاً باللفظ أم منقولاً بالمعنى شريطة أن يكونَ الناقلُ ضابطاً في النقل " [3] والحديثُ النبويُّ يأتي أيضاً بعد القرآن الكريم في الفصاحة ، والبلاغة ،وصحة العبارة [4]، ولِنِعمَ ما قالهُ الجاحظُ عند وصفهِ حديثَ رسولِ اللهِ(صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم) ، فيرى أنَّه " الكلامُ الَّذي قلَّ حُروفُهُ ، وكثُرَ عددُ معانيه ، وجلَّ عن الصَّنعةِ ، ونُزِّه عن التكلُّف ... فلمْ ينطقْ إلّا عن ميراث حِكمةٍ ولمْ يتكلَّمْ إلّا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمةِ ،وشُيِّدَ بالتأييد ، ويُسِّرَ بالتوفيق ، وهو الكلامُ الَّذي ألقى اللهُ عليه المحبَّةَ وغشَّاهُ بالقبولِ وجمعَ له من المهابةِ ، والحلاوةِ ،وبَيْنَ حُسن الإفهام ،وقلّة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته ،وقلّة حاجة السامعِ إلى مُعاودته ، لمْ تسقطْ له كلمةٌ ،ولازلتْ له قدمٌ ، ولا بارتْ لهُ حُجَّةٌ ، ولمْ يقمْ له خصمٌ ، ولا أفحمَهُ خطيبٌ "[5].

وعن فصاحةِ حديثِ رسول اللهِ (صلَّى اللهُ عليه واله وسلَّم) وبلاغتهِ يقولُ القاضي عِياض : " وأمَّا فصاحةُ اللسان ، وبلاغةُ القولِ ، فقد كان صلَّى اللهُ عليهِ [وآله] وسلَّم من ذلك بالمحلِّ الأفضل ، والموضع الَّذي لا يُجهل ، سلاسةُ طبعٍ ، وبراعةُ منزعٍ ، وإيجازُ مقطعٍ ونصاعةُ لفظٍ ، وجزالةُ قولٍ ، وصحةُ معانٍ ، وقلّةُ تكلُّفٍ ، أوتي جوامع الكلِم ،وخُصَّ ببدائع الحِكَمِ " [6] . ولكي يكونَ الاحتجاجُ بالحديثِ النبويِّ تاماً ـ

) تحقيق وتعليق : الدكتور بشَّار عوّاد ، وعصام فارس ، مؤسَّسة الرِّسالة ، بيروت ، ط 1 / 1994م ، 5 / 266 .
2) الحِجر / 94 - 95 ، بهج الصَّباغة : 1 / 19 .

3) مجمع البيان في تفسير القرآن : تأليف أبي علي الفضل بن الحسن الطَبرسي ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2006م ، 6 / 101 .
4) أصول الفقه المُقارن (فيما لانصَّ فيه) : الشيخ جعفر السُبحاني ، مؤسَّسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قُم ـ ايران ط 1 / 1425هـ ، 18 .
5) ينظر : موقفُ النُحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف : د . خديجة الحديثي ، دار الرَشيد للنشر ، 14 .
6) البيان والتَّبيين : 2 / 16 - 17 .
1) الشفا بتعريف حقوق المُصطفى : القاضي أبو الفضل عِياض بن موسى اليَحصُبي ، 95 ـ 96

سنداً ودلالةً ـ لابُدَّ للمُحاجِ أن يُراعيَ تطبيقَ قواعدَ علمي الرِّجال ، والدِّرايةِ في الحديثِ النبويِّ ؛ لأنَّ علمَ الرِّجال يبحثُ في سندِ الحديثِ ، فموضوعهُ (المُحدِّث) ، والغايةُ منه معرفةُ وثاقة الرَّاوي من عدمها ، وعلمَ الدِّراية يبحثُ في متن الحديثِ ، فموضوعهُ (الحديث) ، والغايةُ منه معرفةُ صحةِ الحديثِ من عدمِها[1] .

وفي شرح العلّامة التُستري شواهدٌ كثيرةٌ في الأحاديثِ النبويَّة ،ويُمكنُ أن نقولَ إنَّ هذه الشواهدَ النبويَّةَ ترمي إلى تحقيقِ وظيفتين ، الأولى : وظيفةٌ دلاليَّةٌ ترفدُ ، وتُؤيِّدُ ما يذهبُ إليه المتكلَّم ، وما يعتقدُهُ من آراء ، والثانية : وظيفةٌ حِجاجيَّةٌ تهدفُ إلى إقناع المُتلقَّي ، وحملهُ على الإذعان بقبول نتيجة ، ومُراد المُتكلَّم ، ففي الرِّواية عن النبيِّ الأكرمِ (صلَّى اللهُ عليه واله وسلَّم) أنَّهُ قالَ : " ألا أُخبركُم بشيءٍ إن أنتُم فعلتُموهُ تباعدَ الشيطانُ عنكُم كما تباعدَ المشرِقِ من المغرِب ،قالوا : بلى يا رسُولَ اللهِ ، قالَ : الصَّومُ يُسوِّدُ وجهَهُ ،والصَّدقةُ تكسرُ ظهرَهُ ، والحُبُّ في اللهِ عزَّ وجلَّ ، والمُؤازرة على العملِ الصالحِ يقطعُ دابرَهُ ، والاستغفار يقطعُ وتينهُ ، ولِكُلِّ شيءٍ زكاةٌ ، وزكاةُ الأبدانِ الصِّيامُ "[2] .

يتكلَّمُ الرَّسولُ الأكرمُ في هذه الروايةِ عن مجموعةٍ من الأعمال العباديَّة (الصوم ، والصَّدقة والحُب في اللهِ تبارك وتعالى ، والعمل الصالح ، والاستغفار) ، وهذه الأعمالُ بعضها واجبٌ في الشريعةِ الإسلامية ،وبعضها مندوبٌ إليه ، ولكنَّها تشتركُ في نتيجةٍ واحدةٍ وهي تباعدُ الشيطان عن الإنسان، بمعنى عدم الوسوسةِ له ، فالصدقةُ لها دورٌ مؤثرٌ في تقرُّبِ العبدِ من المولى تعالى ، والتمسك بولايتهِ تعالى ، والخروج من دائرة الشيطانِ ؛ لأنَّ العبدَ بصدقتهِ قد خالفَ أمرَ الشيطانِ الَّذي يأمُرُهُ بعدمِ الإنفاق ، ففي الرِّوايةِ عن الإمامِ الصَّادقِ (عليه السلام) : " الصَّدقةُ باليدِ تدفعُ مِيتَةَ السُّوءِ ، وتدفعُ سبعينَ نوعاً من البلاءِ ، وتفُكُّ عن لحي سبعينَ شيطاناً كلَّهُم يأمُرُهُ أن لا يفعل "[3] . كذلك الصَّدقةُ تمحو الذنب وتُطفئُ الغضبَ الإلهي ، ففي الرِّوايةِ الشريفةِ عن الإمام الصادق (عليه السلام) : " إنَّ صَدَقَةَ النَّهارِ تميثُ الخطيئةَ كما يميثُ الماءُ المِلحَ ، وإنَّ صدقةَ الليلِ تُطفئُ غضبَ الرَّبِّ "[4] . لقد أشارَ القُرآنُ الكريمُ إلى قضيَّةِ الصَّدقةِ ، والإنفاقِ في سبيلِ اللهِ تباركَ وتعالى في قولِهِ تعالى : ﴿ لن تنالوا البِرَّ حتى تُنفِقُوا فيما تُحِبُّونَ وما تُنفِقُوا من شيءٍ فإنَّ اللهَ بهِ

2) ينظر : كُليات في علم الرِّجال : الشيخ جعفر السُبحاني ، مؤسَّسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قُم ـ ايران ، ط 7 / 1437هـ ، 18 .

3) كتاب من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصَّدُوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي ، صحَّحَهُ وعلَّق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1406هـ ، 2 / 50 ، ينظر: بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 12/ 141 .

4) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : 173 .

1) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : 175 .

عليمٌ ﴾ [1] ، فالآيةُ الكريمةُ جعلتْ الإنفاقَ وسيلةً للوصولِ إلى البِرِّ ، والبِرُّ " هو الدخولُ في زمرةِ الأبرارِ ، والوصولُ إلى الدَّرجاتِ العاليةِ ، والثَّوابِ الجزيلِ الَّذي أعدَّهُ اللهُ تعالى لهُم " [2] ، فالإنفاقُ في سبيلِ اللهِ تعالى " من أهمِّ الأساليبِ في ترويضِ غريزةِ النَّفسِ في حُبِّ الدُّنيا ، وما فيها " [3] . إذن الصَّدقةُ من الأسباب المهمة لانتصارِ الإنسان على النفس الأمارةِ بالسُّوءِ ، والشَّيطان ، والتخلَّص من حبائلِهما ، والتمسك بحبلِ اللهِ تباركَ وتعالى .

وأشارتِ الرِّوايةُ إلى أمرٍ آخر يُخرجُ الإنسان من دائرة الشيطان ، وتسلُّطهِ ألا وهو الحُبُّ ، والحبُّ بمعناهُ الاصطلاحي هو " الميل القلبي والباطني نحو المحبوب ، فلا يكونُ الشيءُ محبوباً إلَّا إذا مالتِ النَّفسُ إليهِ " [4] ، فالحُبُّ أحدُ الطُرقِ الأساسية " للخلاصِ من أخطرِ الأمراضِ المعنوية ، فالأحقادُ والأضغانُ ، والكراهيةُ ، والنِّفرةُ كلُّها مشاعرُ تُنبُتُ ، وتنمو في القُلوبِ التي انطفأ فيها مصباحُ الحُبِّ ، أو خفتَ ضوؤهُ ، فلم تعُدْ تُبصِرُ طريقَ التَّسامحِ " [5] . أمَّا الأمرُ الآخرُ الَّذي ذكرتْهُ الرِّوايةُ الشريفةُ ، فهو الاستغفارُ ، ولا يخفى أنّ المُرادَ من الاستغفارِ في الرِّوايةِ ليس الذِّكرَ اللسانيَّ فقط ، بل الاستغفارُ على سِتَّةِ معانٍ ، كما يقولُ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ (عليه السلام) : " ... ، وهو اسمٌ واقعٌ على سِتَّةِ معانٍ : أوَّلها : النَّدمُ على ما مضى ، والثاني : العزمُ على تركِ العودِ إليهِ أبداً ، والثالث : أن تؤدِّي إلى المخلُوقينَ حُقُوقَهُم حتَّى تلقَ اللهَ أملسَ ليس عليك تبِعةٌ ، والرَّابع : أن تعمدَ إلى كُلِّ فريضةٍ ضيَّعتَها ، فتُؤدِّي حقَّها ، والخامس : أن تعمدَ إلى اللَّحمِ الَّذي نبَتَ على السُّحتِ فتُذيبَهُ بالأحزانِ حتَّى تلصقَ الجِلدَ بالعظمِ ، وينشأ بينهما لحمٌ جديدٌ ، والسادس : أن تُذيقَ الجسمَ ألمَ الطَّاعةِ كما أذقتَهُ حلاوةَ المعصيةَ ، فعند ذلك تقولُ : استغفِرُ اللهَ " [6] ، ثُمَّ إنَّ الرِّوايةَ فيها نُكتةٌ لطيفةٌ حيث ذكرتِ الصومَ مرَّتين ، في بدايةِ الرِّوايةِ ، وفي نهايتِها ممَّا يدلُّ على أهميةِ الصومِ في تكاملِ الإنسانِ ، وفي سيطرتهِ على قوى النَّفس ، وإخضاعِها لسُلطةِ العقلِ ، ومن ثمَّ الخروج من حوزةِ الشَّيطان ، والدخول في حوزة الرَّحمن ، فالصومُ " يُعوِّدُ النَّفسَ على الصبرِ ... ويُعلِّمَ الإنسانَ ضبطَ النَّفسِ ، والسيطرةَ عليها ، ويُقوِّي الإرادة من خلالِ خلعِ رِقِّ الشهواتِ من عبوديةِ البطنِ ، والفرجِ ، ويُوجدُ

---

2) آل عمران / 92

3) مواهب الرَّحمن في تفسيرِ القُرآن : السيَّد عبد الأعلى السبزواري ، منشورات دار التفسير ، قُم ـ ايران ، ط 5 / 2010م ، 6 / 142 .

4) المصدرُ نفسُه : 6 / 144 .

5) مجمع البحرين : الشيخ فخر الدِّين الطُريحي ، تحقيق : السيَّد أحمد الحسيني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، ط 2 / 1408هـ ، 1 / 442 .

6) أخلاقنا : أبحاث سيد كمال الحيدري : بقلم الدكتور طلال الحسن ، مؤسَّسة الإمام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة الكاظمية المقدسة ـ العراق ، 184 .

1) في ظلالِ العقيدةِ والاخلاقِ : السيَّد كمال الحيدري ، دار فراقد للطباعة والنشر ، قم ـ ايران ، ط 1 / 2004م ، 271

في النَّفسِ ملكةَ التقوى ، ويُربيَّها في باطنِ الإنسانِ ، والتي تُعتبرُ العلامةَ البارزةَ للصومِ " [1] .

نرى أنَّ العلَّامة التُستري قد استشهدَ بالحديثِ النبويَّ لِما يحملُهُ مضمونُ الحديثِ من قُدرةٍ على التأثير في المُتلقّي ،وحمله على الاعتقادِ أو الاطمئنان بمضمون الحديثِ ومن ثَمَّ العمل به . ويُروى أيضاً " عن النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ واله وسلَّم : من طلبَ مرضاة النَّاسِ بما يُسخطُ اللهَ كان حامدُهُ من النَّاسِ ذامَّاً لهُ ، ومن آثر طاعةَ الله تعالى بما يُغضبُ النَّاسَ كفاهُ اللهُ عدوَّ كُلِّ عدوٍّ ، وحسدَ كُلِّ حاسدٍ وبغي كُلِّ باغٍ ،وكان لهُ ناصراً ، وظهيراً" [2] ، يُشيرُ الحديثُ الشريفُ إلى قضيّةٍ مُهمةٍ ، وهي على الإنسان أن يطلبَ في جميع أقوالهِ ، وأفعالهِ ، وحركاتهِ ، وسكناتهِ ، مرضاة اللهِ تبارك وتعالى ، ولوكان في ذلك غضب النَّاس ؛ لأنَّ اللهَ معهُ ، وسيدافعُ عنهُ ، وينصُرُهُ ، كما وعدَ اللهُ تعالى بذلك عبادَهُ المؤمنين في مُحكَمِ كتابهِ الكريم [3] ، ومن باب المُقابلةِ يشيرُ الحديثُ إلى أنَّ من يُسخطُ اللهَ تعالى في سبيلِ مرضاةِ النَّاس فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى ـ من باب العقوبة ـ سيجعلُ من كان حامداً لهُ ذامَّاً ،وما أشدَّها من عقوبةٍ في الدَّنيا قبل الآخرةِ . ومن الشواهدِ الأخرى ما رُوي " عن أبي عبد اللهِ (عليه السَّلام) قالَ : قالَ رسُولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ) مَن سلكَ طريقاً يطلب فيه علماً سلكَ اللهُ بهِ طريقاً إلى الجنَّةِ ، وأنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضاً بهِ وأنَّهُ يستغفرُ لطالبِ العلمِ مَن في السماءِ ، ومَن في الأرضِ حتَّى الحوتِ في البحر ، وفضلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ النّجومِ ليلة البدرِ وإنَّ العُلماءَ ورثةُ الأنبياءِ . إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهَماً ، ولكن وَرَّثُوا العِلمَ ، فمن أخَذَ منهُ أخَذَ بحظٍّ وافر " [4] يُمكنُ القولُ إنَّ العلمَ المُشارَ إليهِ في الرِّوايةِ الشريفةِ ليس مطلقَ العلمِ ، وإنَّما العلُوم الدينية (العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق) ، لِما لها من دورٍ فعَّالٍ في تزكيةِ النَّفسِ ، وطهارةِ القلبِ ، والتخلُّصِ من المعاصي ، والخطايا ، وتحقُّقِ الخشيةِ من اللهِ تبارك وتعالى ، كما في قولهِ تعالى : { إنَّما يخشى اللهَ من عبادهِ العُلماءُ } [5] ، فالعلمُ يُوجبُ الخشيةَ من اللهِ تعالى ، والخشيةُ من اللهِ جلَّ جلالُهُ تُوجبُ التحلّي بالأخلاقِ الفاضلةِ ، والتخلّي عن الأخلاقِ الطالحةِ ، فالعلمُ يُعرِّفُ الإنسانَ ما يُقرِّبُهُ من اللهِ تعالى ، وما يُبعدهُ ، ويعرِفُ عن طريقهِ ما يضرُّهُ ، وما ينفعُهُ ، فيكونُ الإنسانُ بالعلمِ مورداً للعنايةِ الإلهيةِ ، والفيُوضاتِ الرَّحمانية ، ويسيرُ نحو المقصدِ الَّذي خُلِقَ لأجلهِ على هدايةٍ ، وبصيرةٍ ، ففي الخبرِ عن الإمامِ الصَّادقِ (عليه السلام) : " العاملُ على غيرِ بصيرةٍ ، كالسائرِ على غيرِ الطريقِ لا تزيدُهُ سرعةُ المشيِّ إلَّا بُعداً " [6] . لا يخفى ما لهذا الحديث من تأثيرٍ على المتلقّي ، وحثّهِ على طلب العلم ، بل حبُّهُ لطلب العلم لِما يراه من الثواب الكبير ، والامتنان العظيم الَّذي يمتنُّ به المولى تعالى

2) أسرار الصوم في المدرسة القُرآنية : الشيخ محمَّد الفضلي ، دار النَّدى للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2011م ، 99 .
3) بهج الصّباغة : 12/ 300 .
4) قال تعالى في مُحكمِ كتابهِ الكريم { إنَّ اللهَ يُدافعُ عن الَّذين ءامنُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} الحج / 38
5) الكافي : باب ثواب العالم والمُتعلِّم ، ح 1 ، 1 / 19 ، ينظر : بهج الصّباغة : 12 / 423 .
1) فاطر / 28
2) الكافي : باب من عمل بغير علم ، ح 1 ، 1 / 43 .

على عباده الَّذين يطلبون العلمَ بحيثُ جعلَ طلبَهم للعلم أفضلَ من عبادةِ العابدِ . يُمكِنُ أن يُستَدَلَ على هذا الرأيِّ بالرِّوايةِ التالية " عن أبي الحسنِ موسى [1] (عليه السلام) قالَ : دخلَ رسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ) المسجِدَ ، فإذا جماعةٌ قد أطافُوا برجُلٍ ، فقالَ : ما هذا ؟ فقيلَ : علَّامة ، فقالَ : وما العلَّامة ؟ فقالوا لهُ : أعلمُ النَّاسِ بأنسابِ العربِ ، ووقائِعِها ، وأيامِ الجاهليَّةِ ، والأشعارِ العربيةِ ، قالَ : فقالَ النبيُّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ) : ذاكَ علمٌ لا يضُرُّ مَن جَهِلَهُ ، ولا ينفعُ مَن علِمَهُ ، ثُمَّ قالَ النبيُّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ) : إنَّما العلمُ ثلاثةٌ : آيةٌ مُحكَمَةٌ ، أو فريضةٌ عادلةٌ ، أو سُنَّةٌ قائمةٌ ، وما خلاهُنَّ فهو فضلٌ " [2] ، وفي تُحفِ العُقُول عن الإمامِ الصَّادقِ (عليه السلام) : " العلمُ ثلاثةٌ : آيةٌ مُحْكَمَةٌ ، وفريضةٌ عادلةٌ ، وسُنَّةٌ قائمةٌ " [3] ، يُبيِّنُ الشيخُ محمَّدُ السَّند مدلولَ هذا الحديث ، فيقولُ : أنَّ الآيةَ " المُحكَمَةَ تعني العقائدَ ، والسُنَّةَ القائمةَ تعني تهذيبَ الأخلاقِ ... والفريضةَ العادلةَ هي الفِقهُ ، أي فِقهُ الفُروع " [4] . لكن هذا لا يعني أنَّ العلُومَ ، والفُنونَ الأخرى ليستْ مهمةً ، بل قد تكونُ واجبةً بالوجوبِ العيني أو الكفائي . فيرى الشيخُ جوادي آمِلي أنَّ العلُومَ " التي تُلبي احتياجاتِ المُجتمعِ البشري ، وتهبُ الشعُوبَ الاستقلالَ ، وخصُوصاً الشعُوب الإسلامية ، كالطِّبِ ، والصِّناعةِ ، والزِّراعةِ ، وغيرِها ليستْ زائدةً على الإطلاق ، بل تحصيلُها واجبٌ عيني أو كفائي ... فهذا النَّوعُ من العُلومِ إذن جزءٌ من تلك العلُوم الثلاثة " [5] ، ثُمَّ يستدلُّ الشيخُ على هذا الرأيِّ بما رُوي عن الإمامِ الصَّادقِ (عليه السلام) إذ قالَ : " لا يستغني أهلُ كُلِّ بلدٍ عن ثلاثةٍ يُفزَعُ إليهِ في أمرِ دُنياهُم ، وآخرتِهم ، فإن عُدِموا ذلِكَ كانُوا هَمَجاً : فقيهٌ عالِمٌ وَرِعٌ ، وأميرٌ خيِّرٌ مُطاعٌ ، وطبيبٌ بصيرٌ ثِقَةٌ " [6] ، إذن عن طريقِ ما تقدمَ نستشفُ الدَّورَ الَّذي يلعبُهُ الشاهدُ النبَّويُّ في الحِجاجِ ، وجعل الطَّرف المُقابل يُذعِنُ بما يُطرح إليهِ أو يطمئنُ بذلك .

---

3) الإمام موسى بن جعفر الصَّادق (عليهما السلام) المعروف بكاظم الغيظ ، سابع أئمة المسلمين بعد رسولِ اللهِ (صلَّى اللهُ عليهِ والهِ) ، ولِدَ الإمامُ الكاظمُ (عليه السلام) سنة (128هـ) ، واستُشهِدَ مسمُوماً سنة (184هـ) . ينظر : أعلام الهداية : المجمع العالمي لأهل البيت ، قُم المُقدَّسة ، الناشر : مركز الطِّباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ، قُم المُقدَّسة ـ ايران ، ط 1 / 1422هـ ، 9 / 17 ، 19 .

4) الكافي : 1 / 32 .

5) تُحفُ العقُول عن آل الرسول : الحسن بن علي بن شُعبة الحرَّاني من أعلام القرن الرَّابع الهجري ، قدَّمَ لهُ وعلَّقَ عليهِ : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسَّسة الأعلمي للمطبُوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 7 / 2002م ، 236 .

6) دعوى السَّفارة في الغَيبةِ الكُبرى : الشيخ محمَّد السَّند ، إعداد وتقديم وتحقيق : مركز الدِّراسات في الإمامِ المهدي (عليه السلام) ، دار المُؤرِّخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 / 2013م ، 2 / 436 .

1) ولايةُ الإنسان في القُرآن : الشيخ جوادي آمِلي ، دار الصفوة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1993م ، 14 - 15 .

2) تُحفُ العقُول عن آل الرسول : 234 .

الفصل الثاني

الحِجاج البياني

في كتابِ بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة

توطئةٌ :

يرى الباحثونَ المعاصرونَ جامعيَّة البلاغة ، وشمولها لعنصري الجمال ، والإقناع ،فالبلاغةُ " فلسفةُ تفكيرٍ ، وثقافةٌ للمجتمع ،وأسلوبيةٌ للحوار ، وهذا سرُّ اكتسابها تلك الطبيعة المُزدوجة التي تجمعُ بين الآليتين الحِجاجيَّة ،والتفكيرية التأويلية على مستويي الملفوظ ، والمكتوب ، إذْ لم تعُدْ وظيفتُها تحليلَ النصوصِ فحسب ، بل إنتاجُها أيضاً " [1] ، لقد أسهمتْ بحوثُ بيرلمان ،وتيتكا " في كشفِ جوانب عميقة من البلاغة بوصفها تأمَّلاً في اللغةِ ، والفكرِ لاسيَّما من خلالِ كتاب (شايم بيرلمان) في (1958) بعنوان (البلاغة الجديدة) ،وكتاب آخر ألَّفهُ بالاشتراك مع (تيتكا) بعنوان (دراسة الحجاج) الَّذي درسا فيه التِّقنيَّات التي من شأنها أن تُؤدي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعاتِ المعروضة عليه ، أو أن تزيدَ في درجةِ ذلك التسليم " [2] .

نجدُ أنَّ البلاغةَ اليوم قد " أصبحتْ تفرضُ نفسها في مُختلفِ مجالات المعرفة الاجتماعية ، والسياسية ، والمهنيِّة ، والقانونية ، والإعلامية بكلِّ أنواعها ، وكذلك الدينيَّة والنفسيَّة فضلاً عن الأدبيَّة والفنيَّة ،حتَّى أنَّ بعضَ النُّقاد المعاصرين رأى وجوبَ أن نُعرِّفَ الإنسانَ بأنَّه (حيوانٌ بلاغي) " [3] ، ويرى الباحثونَ المعاصرونَ أنَّ هناك نهضةً بلاغيةً ، ويعزو هنريش بليت هذه النهضةَ " إلى الأهميَّة المتزايدة للسانيَّات التداوليَّة ، ونظريات التواصل ،والسيميائيات ، والنَّقد الأيديولوجي ، وكذا الشعريَّة اللسانيَّة في مجال وصف الخصائص الإقناعية للنصوص ، وتقويمها " [4] ، ويرى هنريش بليت أنَّ هذه الأهمية تدفعنا " أن نسجّل أولاً أنَّ البلاغةَ قد صارت علماً ، وأنَّنا نهدف من جهةٍ ثانيةٍ إلى نظريةٍ بلاغيةٍ ، وأنَّ البلاغة من جهةٍ ثالثةٍ ليست محصورة في البُعد الجمالي بشكلٍ صارمٍ بل تنزعُ إلى أن تُصبِحَ علماً واسعاً للمجتمع " [5] ، وينبغي أن لانعدمَ القدماءَ اهتمامَهم بالبلاغة على مستوى الحِجاج ، والاستدلال ، فالسَّكَّاكي [6] يرى " أنَّ التصويرَ البياني لا يقومُ على مُجرَّدِ التخييل أو يستندُ فقط إلى

---

1) الحجاج في البلاغة المعاصرة : 9 .

2) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم : د . خليفة بوجادي ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط 1 / 2009م ، 106 .

3) الحجاج في البلاغة المعاصرة : 7 .

4) البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النَّص : هنريش بليت ، ترجمة وتقديم وتعليق : محمَّد العُمري ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، 22 .

5) المصدر نفسه : 22 .

6) يوسف بن أبي بكر السَّكَّاكي الخوارزمي المُكنَّى بأبي يعقوب ، عالمٌ بالعربيَّة والأدب ، ولِدَ ، وتُوفي في خوارزم ، توفي سنة (226هـ) ، من كُتُبه (مفتاح العلوم) و (رسالة في علم المُناظرة) ، ينظر : الأعلام : خير الدِّين الزركلي ، دار العلم ، بيروت ـ لبنان ، ط 15 ، 8 / 222 .

الاختراع ، بل إنَّ جوهرَهُ استدلالي مادامَ مرجعُهُ اعتبارَ المُلازمات بين المعاني ... تقومُ من المعنى إلى معنى المعنى ، أو من الدِّلالةِ الوضعيَّة إلى دِلالةٍ أخرى عقليَّة " [1] ، يتحدثُ الدكتور الجابري عن هذه المُلازمات بين المعاني ، فيرى أنَّها ملازمات غير ضرورية ؛ لأنَّ اللزوم الضروري لزومٌ منطقي وهو لزومٌ بين الأحكام العقليَّة ، أمَّا المُلازمات بين المعاني في علم البيان ، فهي بمعنى مفهوم الألفاظ ، ومفهوم المفهوم أي المعنى ، ومعنى المعنى [2] ومن البلاغيين القدماء الَّذين تحدَّثوا عن البلاغة الحِجاجيَّة الجاحظ [3] ، حيثُ يقولُ : " وقال بعضُ أهل الهند : جِمَاعُ البلاغة البصرُ بالحُجَّةِ ، والمعرفةُ بمواضع الفُرصة ، ثُمَّ قالَ : ومن البصرِ بالحُجَّةِ ، والمعرفةِ بمواضع الفُرصةِ أن تدعَ الإفصاحَ عنها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاحُ أوعرَ طريقةٍ ، وربَّما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلغُ في الدَّرَك ، وأحقُّ بالظفر " [4] ، ولكن هذا الاهتمام من لَدُنِ الباحثين القدماء في الحِجاج البلاغي ليس على المستوى المطلوب، و " لا يفي بالغرض ، ولا يحقِّق شيئاً ممَّا تطمحُ إليه البلاغة اليوم من الاهتمام بمسائل الحِجاج بوصفها الوجه الأهم من وجوه إعجاز القرآن الكريم " [5] ، لذلك يقول الدكتور عبد الله صولة : " أنَّنا لم نسجنْ أنفسنا على غِرارِ ما فعل عبد القاهر الجرجاني فيما درسَ من آي القرآن كاشفاً عن وجه الإعجاز فيها داخل دائرة البحث عن أسرار الجمال والحُسن ، والمزيَّة في معاني النظم القرآني بصرف النَّظر عن القِيم الأخلاقيَّة التي تحملُها وبغضِّ الطَّرف عن الأبعاد الحِجاجيَّة التي من أجلها استُجلِبتْ تلك المعاني " [6] .

إذن لا مناصَ للبلاغةِ عن الحِجاج " فأهميَّةُ الوسائل البلاغية تكمنُ فيما تُوفّره للقولِ من جماليَّةٍ قادرةٍ على تحريكِ وجدان المُتلقِّي، والفعل فيه ‘فإذا انضافتْ تلك الجماليَّة إلى حُججٍ متنوعةٍ، وعلاقاتٍ حِجاجيَّة تربطُ بدقَّةٍ أجزاءَ الكلامِ ،وتصلُ بين أقسامهِ أمكن للمُتكلِّمِ تحقيقُ غايتهِ من الخطابِ " [7]

---

1) بلاغة الإقناع في المُناظرة : 78 .

2) ينظر : بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية : د . محمَّد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 9 / 2009م ، 172 - 173 .

3) أبو عثمان عمْرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ ،صاحب المؤلّفات والتصانيف الكثيرة ،وفي أغلب الفنون ،كان تلميذاً للنَّظَّام المتكلِّم المشهور ، توفي سنة (255هـ) ، ينظر : وفياتُ الأعيان و أنباء أبناء الزَّمان ، التسلسل (506) ، 3 / 470 - 471 .

4) البيان والتبيين : 1 / 88 .

5) الحِجاج عند البلاغيين العرب : علي محمَّد علي سلمان ، (بحث) ضمن كتاب (الحِجاج والاستدلال الحِجاجي) إشراف : حافظ اسماعيلي عليوي ، دار ورد الأردنيَّة للنشر والتوزيع ، ط 1 / 2011م ، 12 .

6) الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : د . عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 / 2007م ، 610 .

7) الحِجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : 120 .

يُمكنُ القولُ عن طريقِ ما تقدمَ أنَّه " على الرغمِ من التنوُّعِ في الوظائفِ ، والمشاغل البلاغية إلَّا أنَّ المظهرَ الحِجاجي يظلُّ من أبرز خصائص الفكرِ البلاغي عبر مراحلهِ القديمةِ ، والوسيطةِ ، والحديثة ، وبالأخص المعاصرة " [1] . سيدرسُ الباحثُ الحِجاجَ البياني في أربعةِ مباحث ،هي (المجاز ، والتشبيه والاستعارة ، والكناية)

1) الحِجاج في البلاغة المعاصرة : 11 .

المبحث الأول

المجازُ والحِجاجُ

يُعدُّ المجازُ من الأساليب البلاغية القديمة ،فهو " فنٌ أصيلٌ تمتدُّ جذُورُهُ إلى العصر الجاهلي في الاستعمال ، وتشتبكُ فرُوعُهُ في كلٍّ من الشعرِ ، والنثرِ على حدٍّ سواء " [1] ، ويرى بعضُ البلاغيين أنَّ وظيفةَ المجازِ تكمنُ في أنَّه " يُضفي جمالاً على التعبير ، ويزيدُ من مَقْدِرَتهِ التَّأثيرية عن طريقِ الإيجاز أو المبالغة ، أو تصوير المعاني المجرَّدة ، أو إضفاء طبيعة حيَّة على الجماد ، أو إضفاء الطابع الإنساني على الحيوان ، أو إبراز الصُور البلاغية بمظهرٍ يُؤثر في العاطفة " [2] ، على أنَّ أساس الاستعمال المجازي ،هو " التحرُّرُ من الضيق اللفظي والانطلاق في مجالات الخيال ، والتَّأثُّر بالوجدان ، والحنين إلى العاطفة ، والاتساع في اللغة " [3] . يقولُ العقَّادُ أنَّ اللغةَ العربيةَ تُسمَّى بِلُغة المجازِ ؛ " لأنَّها تجاوزتْ بتعبيرات المجاز حُدودَ الصُورِ المحسوسة إلى حُدودِ المعاني المجرَّدة ، فيستمعُ العربيُّ إلى التشبيه ، فلا يشغلُ ذهنَهُ بأشكالهِ المحسوسة إلَّا ريثما ينتقلُ منها إلى المقصودِ من معناه ، فالقمرُ عندهُ بهاءٌ ، والزهرةُ نضارةٌ والغصنُ اعتدالٌ، ورشاقةٌ ، والطَّودُ وقارٌ، وسكينةٌ ،والرسومُ الهيروغليفية عندهُ بهذه المشابهة قد انتقلتْ إلى حروفٍ تتألَّفُ منها الكلمات " [4] .

يتحدثُ الجرجاني عن مَزيَّة اللفظ الَّذي يشتملُ على المجازِ بأنَّهُ يفيدُ التأكيد ،والتشديد ،والقوَّة في إثباتِ المعنى ، فيقولُ : " ليستْ المزيَّةُ التي تراها لقولك : (رأيتُ أسداً) على قولِكَ : (رأيتُ رجلاً لا يتميَّزُ عن الأسدِ في شجاعتهِ ،وجُرأتهِ) أنَّكَ قد أفدتَ في الأوَّل زيادةً في مساواتهِ الأسد بل إنَّكَ أفدتَ تأكيداً وتشديداً ، وقوَّةً في إثباتك لهُ هذهِ المساواة ، وفي تقريرِكَ لها " [5] ، وكذلك الفخرُ الرَّازي ذكر مزيَّةً أخرى للمجازِ ،بأنَّه يُلَطِّف الكلام ، ويصنعُ في النَّفسِ لذَّةً تفوقُ اللذَّة التي تصنعها الألفاظ الحقيقية ، فيقولُ : " وأمَّا تلطيفُ الكلامِ ، فهو أنَّ النَّفسَ إذا وقعتْ على تمامِ المقصودِ لم يبقَ لها شوقٌ إليه أصلاً ؛ لأنَّ تحصيلَ الحاصلِ مُحالٌ ، وإنَّ لم تقفْ على شيءٍ منه أصلاً لم يحصلْ لها شوقٌ إليه ، فأمَّا إذا عرفتْهُ مِنْ بعضِ الوجوه دون البعض ، فإنَّ القدرَ المعلومَ يُشوِّقها إلى تحصيلِ العلمِ بما ليس بمعلومٍ ،فتحصلُ

---

1) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم : د . محمَّد حسين علي الصغير ، دار المؤرِّخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1999م ، 42 .

2) اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود : عبد الوهاب المسيري ، دار الشرق ، القاهرة ـ مصر ، ط 1 / 2002م ، 12 - 13 .

3) أصول البيان العربي في ضوء القُرآن الكريم : 43 .

4) اللغة الشاعرة : عبَّاس محمود العقَّاد ، مؤسَّسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ـ مصر ، 26 .

5) دلائل الإعجاز في علم المعاني : تأليف أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النَّحوي (ت 471هـ) ، تصحيح ، وتعليق : محمَّد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1988م ، 57 .

لها لذَّةٌ ، وبسببِ حرمانِها مِن الباقي ألمٌ فتحصلُ هناك لذَّاتٌ وآلامٌ متعاقبةٌ ، واللذَّةُ إذا حصلتْ عقيبَ الألمِ كانتْ أقوى ، وشعور النَّفس بها أتم ، وإذا عبَّر عن الشيءِ باللفظِ الدَّالِ عليه على سبيلِ الحقيقةِ حصلَ كمالُ العلمِ به ، فلا تحصلُ اللّذةُ القويَّةُ ، أمَّا إذا عبَّر عنه بِلوازمِهِ الخارجية ، وعرفَ لا على سبيل الكمال ، فتحصلُ الحالةُ المذكورةُ التي هي كالدغدغةِ النَّفسانية ؛ فلأجلِ هذا كان التعبيرُ عن المعاني بالعباراتِ المجازية ألذُّ من التعبيرِ عنها بالألفاظِ الحقيقية " [1] .

يرى الباحثُ عمَّار السلامي أنَّ المجازَ " يُثري اللغةَ ، ويُنميِّها ، ويُزيلُ عنها الرَّتابةَ ،فضلاً عن كونه طريقةً مثيرةً لخيال المُتلقي ، ومؤثرة في مشاعره ، فهو يُخرج المُتلقي عن المألوف ، ويُنشِّط ذهنَهُ ؛ ليُدرِك العلاقات الجديدة في ذلك التعبير " [2] .

ويتكلَّمُ الشريفُ الرضيُّ عن المجاز في القرآن الكريم ، فيرى أنَّه قد اشتملَ على " عجائب الاستعارات ، وغرائب المجازات التي هي أحسن من الحقائق مَعرضاً ، وأنفع للغلّةِ معنىً ، ولفظاً وأنَّ اللفظةَ التي وقعتْ مستعارةً لو أوقعتْ في موقعها لفظةَ الحقيقة لكان موضعُها نابياً بها ونصابُها قلِقاً بمركَّبها ، إذ كان الحكيمُ سبحانه لم يُورِدْ ألفاظَ المجازاتِ لضيق العبارة عليه ولكن ؛ لأنَّها أجلى في أسماع السامعين ، وأشبه بلُغةِ المخاطَبين " [3] ، وعندما يضعُ البلاغيونَ المجازَ على أنَّه مقابلٌ للحقيقة " فهُم لا يقصدونَ أنَّ المجازَ يعني الكذِبَ ، أو الباطلَ ، بل يقصدونَ أنَّ الدِلالاتِ المجازيةَ دِلالاتٌ تداوليةٌ ؛ لأنَّها دِلالاتٌ ايحائيّةٌ، المُتلقَّي هو المكلَّفُ بفهمِها " [4]، وفي السياقِ نفسهِ نجدُ ابنَ قتيبة يُناقشُ هذه الفكرةَ ـ كون المجازِ كذِباً ـ فيقولُ : " ولو كان المجازُ كذِباً ، وكلُّ فعلٍ يُنسبُ إلى غير الحيوان باطلاً كان أكثرُ كلامِنا فاسداً ؛لأنَّا نقولُ : نبتَ البقلُ وطالتِ الشَّجرةُ ، وأينعتِ الثَّمرةُ ، وقامَ الجبلُ ، ورخُصَ السِّعرُ " ، فهو لا يرتضي فكرةَ كونِ المجازِ كذِباً ؛ لأنَّها تؤدي إلى لازمٍ باطلٍ ، وهو فسادُ أكثرِ كلامِنا ؛ لأنَّ أكثرَ كلامِنا مجازٌ ، ويقولُ الجرجانيُّ في هذا المجالِ أيضاً " ومَن قدَحَ في المجازِ ، وهمَّ أن يصفَهُ بغيرِ الصِدقِ ، فقد خبَطَ خبْطاً عظيماً ، ويَهْرِفُ بما لا يخفى " [5] .

---

1) المحصول في علم الأصول : فخر الدِّين محمَّد بن عُمَر بن الحسين الرَّازي (ت 606هـ) ، دراسة وتحقيق : د . جابر فيَّاض العلواني ، مؤسَّسة الرِّسالة ، 1 / 251 ـ 252 .

2) بنائية الصورة القرآنية : عمَّار عبد الأمير السلامي ، (أطروحة د كتوراه) ،كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2010م ، 136 .

3) تلخيص البيان في مجازات القرآن : تأليف الشريف الرضيّ أبي الحسن محمَّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى (ت 406هـ) ، منشورات مكتبة الخلَّاني ، بغداد ـ العراق ، 1 .

4) بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصوّر نسقي لبلاغة الخطاب) : د . حسن المودن ، دار كُنوز المعرفة ، عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2014م ، 263 .

5) أسرار البلاغة :تأليف أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانيّ النَّحوي (ت 471هـ) ، قرأهُ وعلَّق عليه : محمود محمَّد شاكر ، دار المدني ، جدّة ـ السعودية ، 391 .

يربطُ الدكتورُ طه عبد الرحمن بين المجازِ، والحِجاج ،فيقولُ : " حدُّ المجازِ أنَّهُ كلُّ منطوقٍ به موجَّهٌ إلى الغيرِ لإفهامِهِ دعوى مخصوصة يحقُّ لهُ الاعتراض عليها بحسب القِيمةِ التي يحملُها لا يخفى أنَّ هذا التعريفَ يأخذُ بالازدواج الَّذي ينبني عليه الالتباس المطلوب في الحِجاجِ " [1] ، ثُمَّ يُبيِّن الدكتور طه أنَّ هذا الازدواج يقعُ بين " واقع الدعوى ،وقيمتها ،وما واقع الدعوى إلّا ظاهرُها ، أو قُلْ عبارتَها ،وما قيمتُها إلّا باطنُها ، أو إشارتُها ... وهكذا يتبيَّنُ أنَّ حقيقةَ الحِجاجِ ليستْ هي مجرَّد الدخُول في علاقة استدلاليَّة ، وإنَّما هي الدُخُولُ فيها على مقتضى المجاز بمعنى أنَّ الَّذي يُحدِّدُ ماهيةَ الحِجاجِ إنَّما هو العلاقة المجازية ، وليستِ العلاقةُ الاستدلاليَّةُ وحدها " [2] .

اشتملَ كتابُ (بهج الصّباغة) على كثيرٍ من المجازات في نصوصهِ ؛ لِما للمجازِ من دورٍ مهمٍ في إثارة المُتلقي ، وحمله على الإذعان بمضمون المجاز، ومفادهِ ، فمن الأمثلةِ قولُهُ تعالى : { وما أصبَكُم من مُصيبَةٍ فبما كسبتْ أيديكُم ويعفُوا عن كثيرٍ } [3] . تتحدثُ الآيةُ الكريمةُ عن مطلبٍ مهمٍ ، وهو أنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين ما يقومُ بهِ الإنسانُ من أعمالٍ ، وبين النِّظام الكوني ، فعندما يرتكبُ الإنسانُ المعاصي ، فإنَّ النتيجةَ المُترتبة على هذهِ الأعمال (المعاصي)هي نزول المصائب ،والبلايا [4]

اشتملَ النَّصُ القُرآني على المجاز المُرسل في حِجاجهِ في قولِهِ تعالى : { فبما كسبتْ أيدِيكُم } ، فالمجازُ في هذهِ الجُملةِ مجازٌ مُرسلٌ علاقتُهُ المسببية ، لأنَّ النَّفسَ هي مَن تقومُ بالكسبِ ، فالنَّفسُ هي من تُحرِّك الجوارحَ إلى الفعلِ ـ سواء أكان طاعةً ام معصيةً ـ فذكرَ المُسبَبَ (الجوارح) وأرادَ السببَ (النَّفس) فالنّصُ القُرآني استعملَ في بيانِ هذا المطلبِ الأسلوبَ المجازيَّ الَّذي اشتملَ على الحِجاج ؛ لِما للمجازِ من دورٍ فعَّالٍ في التأكيدِ ، والتَّشديد ، والقُوَّةِ في إثباتِ المدلولِ ، والاستدلالِ على المفهُومِ ، كذلك الإنسانُ إذا عمِلَ الطَّاعاتِ ، فإنَّ النتيجةَ على ذلك هي نزول البركات ، والخيرات ، كما في قولِهِ تعالى : { ولو أنَّ أهلَ القُرى ءامنُوا واتَّقَوا لَفَتَحنا عليهم بركتٍ مِن السَّماءِ والأرضِ ولكن كَذَّبُوا فأخذنهم بِما كانوا يكسِبُونَ } [5] .

وفي الرِّواية " قالَ رسُولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه واله وسلَّمَ) : الأيدي ثلاثٌ : يدُ اللهِ العُليا ، ويدُ المُعطِي التي تليها ، ويدُ المُعطَى أسفل الأيدي ، فاستعِفُّوا عن السُّؤال ما استطعتُم إنَّ الأرزاقَ دُونها حُجُبٌ فمن شاءَ قنى حياءَهُ ، وأخذَ رِزْقَهُ ، ومن شاءَ هتكَ الحِجابَ ، وأخذَ رِزْقَهُ ، والَّذي نفسي بيدهِ لأنْ يأخُذَ أحدُكُم حبلاً ، ثُمَّ يدخُلَ عرضَ هذا الوادي فيحتطِبَ حتَّى لا يلتقي طرفاهُ ، ثُمَّ يدخُلَ بهِ السُّوقَ فيبيعَهُ بِمُدٍّ مِن

1) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : د . طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1998م ، 231 .
2) المصدر نفسه : 231 - 232
3) الشورى / 30 ، بهج الصّباغة : 11 / 357 .
4) ينظر : الميزان في تفسير القُرآن : 18 / 59 .
5) الأعراف / 96 .

تمرٍ ، ويأخُذَ ثُلُثَهَ ، ويتصدَّقَ بِثُلُثيهِ خيرٌ له من أن يسألَ النَّاسَ أعطَوْهُ أو حَرَمُوهُ " [1] . الرسولُ الأكرمُ في هذه الرِّواية يتحدثُ عن العطاء والنِّعم ، وعن الجُودِ ، والكرمِ ، ويقرنُ بين العطاء الإلهي ، والعطاء البشري ، فاليدُ هنا لا يُرادُ بها اليد الحقيقية أي اليد التي هي عضو من أعضاء الإنسان ، وإنَّما يُراد بها المعنى المجازي ، وهو العطاءُ والنِّعم ، والمجازُ هنا مجازٌ مُرسل علاقتُهُ السببيَّة ؛ لأنَّ اليدَ الحقيقيةَ هي السبب في العطاء والمنح ، فذكرَ السببَ، وأرادَ به المُسبَّبَ ، أي العطاء ومنح النِّعم ، والقرينة هنا حاليَّةٌ ، وهذا شائعٌ في كلام العرب ، فاستعمل الرسولُ الأكرمُ في الحِجاج ، والاستدلال على مطلبه المعنى المجازي ؛ ليجعلَ المُتلقي ينطلقُ " في مجالات الخيال ، والتَّأثر بالوجدان ، والحنين إلى العاطفة ، والاتساع في اللغة " [2] .

نجدُ المجازَ أيضاً في خبرٍ آخر إذ يُروى عن الإمامِ الحسن المُجتبى أنَّه قالَ : " أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَ هدى أوَّلَكُم بأوَّلِنا ، وحَقَنَ دِماءَكم بآخِرِنا ،وكانت لي في رِقابكُم بيعةٌ ،تُحارِبونَ مَنْ حاربتُ ،وتُسالمونَ مَنْ سالمتُ " [3] . يتحدَثُ الإمامُ (عليه السلام) في هذه الرِّواية عن فضلِ أهل البيت (عليهم السلام) في هداية الأمَّة الإسلاميَّة من الضلال ، والسير بهم على الطريق المُستقيم ،وصونهم من الفتن والحفاظ على دمائِهم ، فاستعملَ الإمامُ المعنى المجازي في حِجاجهِ ، وهي جملة (وكانت لي في رِقابِكُم بيعةٌ) ، والمجاز هنا مجازٌ مُرسل علاقتُهُ الجُزئية ؛ لأنَّ الرقبةَ جُزءٌ من الإنسان ، فالإمامُ ذكرَ الجُزءَ ، وأرادَ بهِ الكُلَّ والقرينةُ هنا حاليَّةٌ ، فاستعملَ الإمام (عليه السلام) في هذه الرِّوايةِ المجاز المُرسل ؛ لِيحتجَّ به على المُتلقي ، ومن ثَمَّ إقناعهُ بالمطلوبِ ، فالمجازُ " طريقةٌ مُثيرةٌ لِخيالِ المُتلقَّي ، ومؤثرةٌ في مشاعرهِ ، فهو يُخرِجُ المُتلقَّي عن المألوف ، ويُنشِّطُ ذهنَهُ ؛ ليُدرِكَ العلاقاتِ الجديدة في ذلك التَّعبير " [4] .

ومن صُورِ المجاز الأخرى التي ذُكِرتْ في كتابِ (بهج الصّباغة) ما رُوي عن محمَّد (أبو الحنفيَّة) بن علي بن أبي طالب (عليهما السَّلام) قالَ : " مالكَ من عيشِكَ إلَّا لَذَّةٌ تَزدلِفُ بِكَ إلى حِمامِكَ وتُقرِّبُكَ إلى يومِكَ ، فأيَّةُ أكلةٍ ليستْ معها غصصٌ ؟ أو شِربةٍ ليستْ معها شرقٌ ؟ فتأمّل أمرَكَ ، فكأنَّكَ قد صِرتَ الحبيبَ المفقودَ ، والخيالَ المُخترمَ ، أهلُ الدُّنيا أهلُ سفرٍ لا يحلّونَ عقدَ رحلِهم إلَّا في غيرِها " [5] يتحدثُ النَّصُ الشريفُ عن الموت ، وأنَّ الإنسانَ عليهِ أن لا يغفلَ أمرَ آخرتِهِ فكم من لذَّةٍ أودتْ بصاحبِها ونقلتْهُ إلى الدَّارِ الآخرة ، وهو في قمَّةِ اللّذةِ ، ومُتعة النَّشوةِ ، فربَّ أكلةٍ يغصُّ بها الإنسانُ أو شِربةٍ يشرقُ بها ، فيكونُ حتمُهُ فيها ، ونهايتُه بسببِها ، فعلى الإنسانِ أن لا يغترَ بصحتِهِ ، فربَّ صحيحٍ في اللّيلِ تراهُ

1) الكافي : باب كراهية المسالة ، ح 3 ، 2 / 15 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 7 / 17 .
2) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم : 43 .
3) الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخُلفاء : ابن قتيبة الدَّينوري ، تحقيق : علي شيري ، دار الأضواء ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1990م ، 1 / 185 ، بهج الصّباغة : 3 / 19 .
4) بِنائية الصورة القُرآنية : عمَّار السلامي ، 136
5) الأمالي : الشيخ أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النَّعمان المُلقَّب بالمُفيد (ت 413هـ) ، دار التيَّار الجديد ، (د . ط) ، 17 - 18 . بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 11 / 317 .

سقيماً في النَّهارِ ، وربَّ مأمونٍ من الحدثانِ قد صارَ غرضاً لِسهامِ المصائبُ والبلايا . استعملَ النَّصُ الكريمُ الأسلوبَ المجازي في الاحتجاجِ ، وإقناعِ الطَّرف الآخر ، والمجاز في الرِّوايةِ عقليٌّ ، وهو (إلَّا لذَّةٌ تزدلِفُ بِكَ إلى حِمامِكَ) ، فقد أسنَدَ الفعلَ (تزدلف) إلى (اللّذة) واللّذة ليستْ بفاعلٍ، وإنَّما هي سببُ الفعلِ ، فاللّذةُ لا تزدلِفُ ، ولا تتقرَّبُ ، وإنَّما الَّذي يتقرَّبُ إلى الحِمامِ هو صاحبُ اللَّذةِ ، ولكن لمَّا كانتِ اللَّذةُ سبباً في التقرَّبِ أُسنِدَ الفعلُ إليها .

ومن المجازِ قولُ الشَّاعرِ [1]

عجباً لِعينٍ تلذُّ بالرَّقادِ ومَلَكُ الموتِ معهُ على وِسادِ

استعملَ الشَّاعرُ في هذا البيتِ الأسلوب المجازي في حِجاجِهِ مع المتلقي ، والمجازُ في هذا البيتِ مجازٌ مُرسلٌ علاقتُهُ الجزئية ؛ لأنَّ العينَ لا تلتذُ ، بل الَّذي يلتذُ هو النَّفسُ ، فذكرَ الجزءَ وهو (العين) ، وأرادَ الكُلَّ وهو (النَّفس) ، فالمجازُ يجعل المُتلقي يذهب في فضاءاتٍ واسعةٍ ، وهو لا يحصلُ على المعنى بسهولةٍ ، بل يحتاجُ في حصولهِ على مدلولِ الكلامِ إلى تدبرٍ ، وتأمّلٍ ، وتقشيرِ الكلامِ للوصولِ اللّبِ.

1) بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 11 / 343 .

المبحث الثاني

التشبيه والحجاج

يُعدُّ التشبيهُ من أقدم الصُّور البيانيَّة التي تُقرِّبُ الأشياءَ إلى الفهمِ، والأذهانِ [1] ، فالتشبيهُ " من أصول التصوير البياني ، ومصادر التعبير الفني ، ففيهِ تتكاملُ الصُّورُ ، وتتدافعُ المشاهدُ ، والقدرُ الجامعُ لنظرةِ البلاغيين إلى التشبيهِ : هو التفنّنُ بإبرازِ الصُّورةِ البلاغية للشكلِ ، واستقراء دلالتِها الحسيِّة ، وذلك عن طريقِ تسخيرِ قُدرةِ التشبيهِ الخارقة في تلوين الشكل بظلالٍ مُبتكرة وأزياء متنوع " [2] ، فهو أسلوبٌ يربطُ بين الأشياءِ ؛ لأجلِ التقريبِ بينها ، أو التوضيح ، أو إضفاء الصبغة الجمالية [3] ، وعرَّفهُ الخطيبُ القزويني بأنَّهُ " الدِّلالةُ على مشاركةِ أمرٍ لآخر في معنى " [4] ، لكن هذه المُشاركةُ بين المُشبَّه ، والمُشبَّه به لا تكون من جميع الوجوه ، بل لابُدَّ من وجودِ تفاوتٍ ، واختلافٍ بينهما ،يقولُ الدكتورُ جابر عصفُور " التشبيهَ إخبارٌ بوجودِ الشبه ، والشبه هو اشتراك الطرفين في صفةٍ ، أو أكثر بحيثُ يظلُّ كلُّ واحدٍ منهما غيرَ الآخر" [5] .

وفي السياقِ نفسهِ يقولُ السَّكَّاكي في مِفتاحهِ : " لا يخفى عليكَ أنَّ التشبيهَ مُستَدعٍ طرفين ، مُشبَّهاً ومُشبَّهاً به ، واشتراكاً بينهما مِنْ وجهٍ ، وافتراقاً مِنْ آخر ، مِثل أنْ يشترِكَا في الحقيقةِ ، ويختلِفا في الصِفَةِ ، أو بالعكس ، فالأوَّل كالإنسانين إذا اختلفا صِفَةً : طُولاً ، وقصراً ، والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقةً : إنساناً ، وفرساً " [6] ، ومن فوائد التشبيه " استخدام الأسلوب غير المباشر للتعبيرِ عن المُراد ، إذ هو أكثر تأثيراً في النفُوس من الاسلوب المباشر غالباً ، وذلك في المجالات الأدبيَّة ، وفي الموعظة وفي كثيرٍ من

---

1) ينظر : فنون بلاغية (البيان ـ البديع) : د . أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط 1 / 1975م ، 27 .
2) أصول البيان العربي في ضوء القُرآن الكريم : 78 .
3) ينظر : فنون بلاغية (البيان ـ البديع) : 27 .
4) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيبُ القزويني (ت 739 هـ) ، شرح وتعليق : محمَّد عبد المنعم ، عُني بطبعهِ ونشرهِ : محمود توفيق ، صاحب مكتبة الحسين التجارية ، مصر ، ط 1 / 1950م ، 4 / 40 .
5) الصُّورة الفنيِّة في التُراث النقدِي البلاغي عند العرب : د . جابر عصفُور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 / 1992م ، 173 .
6) مفتاح العلوم : لأبي يعقُوب يُوسف بن أبي بكر محمَّد بن عليَّ السَّكَّاكي (ت 626هـ) ، ضبطهُ وكتب هوامشهُ ، وعلَّق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 / 1987م ، 332 .

صُور الإقناع ، وفي نحوِ ذلك " [1] ، ومن أغراض التشبيه تقريب صُورة المُشبَّه إلى المُخاطَب بوساطة التشبيه ، فيما إذا كان وجهُ الشبهِ في المُشبَّه به أظهر، وأوضح [2] .

قالَ تعالى : ﴿ مثلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التوراةَ ثُمَّ لم يحملوها كَمَثَلِ الحِمارِ يحملُ أسفاراً بِئسَ مَثَلُ القومِ الَّذينَ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ واللهُ لا يهدِي القومَ الظَّالمين ﴾ [3] . في هذهِ الآية الكريمة شبَّه المولى تعالى اليهودَ الَّذين لم يعملوا بالتوراةِ مع أنَّهم علموا بها ، وحفظوها شبَّههم بالحِمارِ الَّذي يحملُ الكُتُبَ ، وهو لا يعرفُ ما يحملُهُ من ثروةٍ علميةٍ ، وكُنُوزٍ معرفيةٍ ، فالمولى تبارك وتعالى يقول : أنَّ من لا يعمل بما علِمَ مثلُهُ كمثلِ الحِمار الَّذي يحملُ مالا يعلمُ به [4] ، والتشبيهُ هنا تشبيهٌ تمثيلي ؛ لوجود صورتين : صُورة اليهُود الَّذين لا يعملون بالتوراة ، وصُورة الحِمار الَّذي لا يعلمُ بما يحملُ ، وجهُ الشبهِ بين الصُورتين هو عدمُ العلمِ ، وعدمُ المعرفةِ ، فصحيحٌ أنَّ اليهُودَ يعرفونَ ما موجود في التوراة ، لكن بما أنَّهم لم يعملوا بما عرِفوا ، فهم كالحِمار في عدمِ العلمِ ، والمعرفةِ ، فيُلاحظُ أنَّ الصُورتين مختلفتان من حيثُ الماهية ، فصُورة اليهود الَّذين لا يعملون بالتوراة تختلفُ من حيثُ المفهوم ، والحقيقة عن صُورة الحِمار الَّذي يحملُ أسفاراً ، لكنْ من خلال أسلوب التشبيه ، والمُقاربة بين الصُورتين أنتجتْ ظاهرةٌ ثالثةٌ ، أي من خلال العلاقة بين الظاهرتين (الصُورتين) نتجتْ صُورةٌ جديدةٌ [5] ، فالقرآن الكريم في هذه الآيةِ الكريمةِ يحثُّ المسلمين على طلبِ العلمِ والمعرفةِ ، وأن يعملوا بما تعلَّموه من عقيدةٍ ، وأحكامٍ ، وأخلاقٍ ، ويحتجُّ عليهم باليهُود الَّذين خالفوا ما تعلَّموه من عقيدةٍ ، وأحكامٍ ، وأخلاقٍ ، فكان نتيجةُ ذلك أن شبههم القرآن الكريم بالحمار الحامل للكتبِ ، وهو لا يعلمُ ما يحملُ من معارفَ ، وعلومٍ ، والتشبيه في الآيةِ الكريمةِ هو تشبيه المعنوي بالحسي ، و " مبعثُ الجمال في تشبيه المعنوي بالحسي أنَّ تشخيصَ المعاني ، وتجسيد المشاعر ، والخواطر يكسبُها قوَّةً ، ويُضاعِفُ من تأثيرِها في النَفسِ ؛ لأنَّ الأشياءَ المحسوسةَ مأنوسةٌ مألُوفةٌ لدى النَفس البشرية " [6] ، ونلاحظُ التشبيهَ في قولهِ تعالى : ﴿ واتلُ عليهم نَبَأ الَّذي آتيناهُ آياتِنا فانسلخَ منها ، فأتبعَهُ الشَّيطانُ فكانَ من الغاوِينَ ، ولو شِئنَا لَرَفعناهُ بِهَا ولكِنَّهُ أخلَدَ إلى الأرضِ واتَّبعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إن تَحمِلْ عليهِ يَلهثْ أو

1) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : عبد الرَّحمن جنَّكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 / 1996م ، 2 / 167

2) ينظر : المصدر نفسه : 2 / 168 .

3) الجمعة / 5 ، بهج الصّباغة ، 6 / 271 .

4) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار العلوم للنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2006م ، 10 / 7 .

5) ينظر : دراسات في علوم القرآن : محمود البُستاني ، 392 .

6) التعبير البياني (رؤية بلاغية نقدية) : د . شفيع السيد ، الناشر : مكتبة الشباب ـ مصر ، 74 .

تَترُكْهُ يلهثْ ذلكَ مَثَلُ القومِ الَّذين كَذَّبُوا بآياتنا فاقصُصْ القصصَ لَعَلَّهُم يتفَكَّرُون ﴾ [1] .

شَبَّهَ المولى تبارك وتعالى أحدَ علماء بني إسرائيل ، وهو بلعم بن باعورا [2] بالكلب ؛ لأنَّ هذا العالمَ أعطاهُ اللهُ تعالى علماً واسعاً ، لكنَّهُ لم يعملْ بهذا العلم بل تركهُ إلى الجهلِ ، فالعلم وعدم العلم لديه سيَّان ولِذلك وصفَهُ القُرآن الكريم بصفة الكلب ، إن طردتهُ ، وشدَّدتَ عليهِ يُخرجْ لِسانَهُ من فمِهِ ، وإن تركْتهُ ولم تطردْهُ يُخرجْ لِسانَهُ أيضاً من فمِهِ [3] ، فيمكنُ أن يكونَ وجهُ الشبهِ الدَّوام ، والاستمرار على حالةٍ واحدةٍ ، فكما أنَّ الكلبَ يلهثُ على الدَّوام ، كذلك هذا العالم من بني إسرائيل جاهلٌ ، وبعيدٌ عن الحقيقةِ ، والحقِّ سواء أعطِي الحكمة أم لم يعطْها ، أيّ " إن تحملْ عليهِ الحكمةَ لم يحملْها ، وإن تُرِكْ لم يهتدِ لِخيرٍ ، كالكلبِ إن كان رابضاً لَهَثَ ، وإن طُرِد لَهَث " [4] .

يرى بعضُ المفسرين أنَّ وجهَ الشبهِ " الخِسَّةُ ، وقصُورُ الهِمَّةِ ،وسقُوطُ المنزلةِ " [5] الضِّعةُ ، والخِسَّة هي وجهُ الشبهِ ،فشَبَهَهُ " بالكلبِ في أخسِّ صِفاتهِ ، وأذلِّها ، وهي دوام اللَّهث " [6] . ويُريدُ القُرآن الكريم في هذه الآيات أن يُقْنِعَنا بطلبِ العلمِ ، والعملِ بهِ ، لا أن نأخذَ العلمَ ، ونجتهدَ في طلبهِ ، ثُمَّ يكونُ علينا وبالاً، وخُسراناً مُبيناً من خلالِ عدم العملِ بهِ ، والتشبيه الَّذي جاء به القُرآن الكريم تشبيهٌ يشتملُ على صُورةٍ مؤلمةٍ ، حيثُ شبَّه العالمَ التارك لعلمهِ ، والمُتَّبع لِهواهُ بالكلب في أخسِّ صِفاتِهِ، وهي اللَّهث فنجدُ أنَّ القُرآن الكريم يحتجُّ علينا بطلبِ العلمِ ، والعملِ بِهِ من خلال اسلوب التشبيه ، فيريدُ أن يُقْنِعَنا بهذهِ الفكرة ، فتختمرُ في أذهانِنا ، ونتأثَّرُ بها ، ومِن ثَمَّ نعملُ بِمُوجبِها بواسطةِ التصوير البياني الَّذي استعملَهُ . والقُرآنُ الكريمُ بتصويرهِ البياني الَّذي استعملَهُ يُريدُ أن يُنفِّر المُتلقي من المشبَّه (العالم التارك لعلمه والمتَّبع لِهواهُ) بإظهارِ جهاتِ قُبح المُشبَّه من خلالِ تشبيههِ بما تكرهُهُ النّفُوس ، وتزدريه وهو لهثُ الكلب [7] . ويذكرُ

1) الأعراف / 175 - 176 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 6 / 271 .
2) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 8 / 332 .
3) ينظر : مجمع البيان في تفسير القُرآن : 4 / 292 .
4) تفسير الطَّبري جامع البيان عن تأويل القُرآن : لأبي جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري (ت 310هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة ، والنشر ، ط 1 / 2001م ، 10 / 587 .
5) مجمع البيان في تفسير القُرآن : 4 / 292 .
6) البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) : تأليف علي الجارم ،ومصطفى أمين ، دار الغدير ـ قم ، ط 1 / 1996م ، 2/ 169 .

1) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنُونُها : 2 / 169 .

العلَّامةُ التُّستريُّ قولاً للحكماءِ يشتملُ على تشبيهٍ ، فيقولُ " ومن كلامِ الحُكماءِ : النَّارُ لا يُنْقِصُها ما أُخِذ منها ، ولكن يُخْمِدُها أن لا يجدَ حطباً ، وكذلِكَ العلمُ لا يُفْنيه الاقتباس ، ولكن فقدُ الحاملِينَ لهُ سببُ عدمِهِ " [1] .

يُلاحظُ أنَّ الصُورةَ التي يدلُّ عليها التشبيه " أكثرُ بياناً ، وأوضحُ دلالةً ، وأدقُ أداءً من الكلماتِ التي تدلُّ بوصفِها اللُّغوي على المعنى مباشرةً دون استخدام التشبيه " [2] ، وفي القول الَّذي يذكرُهُ العلَّامةُ التُستريُّ تشبيهٌ تمثيلي ، حيثُ يشتملُ على صُورتين : صُورة المُشبَّه (العلمُ وعدم وجود الحاملين لهُ) ، وصُورة المُشبَّه بهِ (النَّار وعدم وجود الحطب) ، ووجهُ الشبهِ المُنتزَع من هاتين الصُورتين هو الفناءُ ، والعدمُ ، فكما أنّ النَّارَ تخمُدُ وتنطفي في حالةِ عدمِ وجودِ الحطبِ ، كذلك العلمُ يفنى ، ويذهبُ مِن الصُدورِ عند عدمِ وجودِ الحاملين لهُ ، والعاملين بهِ ، وكذلك يُوجدُ في قولِ الحُكماءِ صورتان أخريان : صُورةُ المُشبَّهِ (العلمُ لا يفنى بالاقتباس منهُ) ، وصُورةُ المُشبَّه بهِ (النَّارُ لا تنقُصُ بالأخذِ منه) ، ووجهُ الشبهِ المُنتَزَعِ من هاتين الصُورتين هو عدمُ الفناءِ ،وعدمُ النُقْصانِ ، فكما أنَّ النَّارَ لا تنقصُ ،ولا تفنى إذا أخذَ منها أحدٌ قبساً ، فكذلك العلمُ لا يفنى إذا اقتبس منهُ أحدٌ ، فالتشبيهُ " يزيدُ المعنى وضُوحاً ويكْسِبُهُ تأكيداً ؛ ولِهذا أطبقَ جميعُ المُتكلِّمين من العربِ ، والعجمِ عليهِ ، ولم يستغنِ أحدٌ مِنْهُم عنهُ " [3] ، الحكماءُ ـ في تشبيه العلم بالنَّار ـ أرادوا أن يحثُّوا المُتلقي ويُقْنِعُوهُ ، ويُوجِدوا رغبةً في نفسهِ لِطلبِ العلمِ ، والجهدِ في كسبهِ ، وعدم التواني في أخذهِ ، والعملِ بهِ ؛ لِما للعلمِ من آثارٍ في نهضةِ الأمم ، وعزتِها ، وكرامتِها ، ويكفي في عُلوِّ العلمِ ، وسُمُوِّ منزلتهِ أنَّ الجاهلَ يُحِبُّ أن يُوصَفَ بهِ ، ويكرهُ أن يُنعتَ بضدِّهِ ولا يخفى أنَّ التشبيهَ هنا هو تشبيهُ المعنوي بالحسي حيثُ قَرَنَ الحُكماءُ " تلك الصُورةَ المحسوسةَ إلى الأمر المعنوي، فزادتْهُ وضُوحاً وتأثيراً " [4] ؛ لأنَّ الصُّورَ المرئيةَ المحسُوسةَ تُلقي أشعةَ الضَّوءِ على الأمور المعنوية فتعمُرُها ، فتكونُ شديدةَ الأثرِ [5] .

2) بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 6 / 172 .
3) البلاغة العربية أسُسُها وعلُومُها وفنُونُها : 2 / 168 .
4) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) : تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ) ، تحقيق : علي محمَّد البجاري ،ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط 2 ، 249 .
5) من بلاغة القُرآن : د . أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، 150 .
6) ينظر : المصدر نفسه : 150 .

المبحث الثالث

الاستعارة والحجاج

يرى البلاغيونَ أنَّ الاستعارةَ تشبيهٌ حُذِفَ أحدُ طرفيهِ [1] ، فهي ايجادُ علاقةٍ بين شيئين مِن خلالِ اكسابِ أحدِ الشيئين صفة الشيءِ الآخر ، أي إضفاءُ صفةٍ مُختصةٍ بطرفٍ على طرفٍ آخر [2] هذا ما يذهبُ إليهِ السَّكَّاكي في تعريفهِ للاستعارةِ حيثُ يقولُ : " الاستعارة : هي أن تذكُرَ أحدَ طرفي التشبيه ، وتُريدُ بهِ الطرفَ الآخرَ مُدعيًّاً دُخولَ المُشبَّه في جنسِ المُشبَّهِ بهِ ، دالاً على ذلك بإثباتِكَ للمُشبَّهِ ما يخصُّ المُشبَّه به ، كما تقولُ : في الحمَّامِ أسدٌ ، وأنتَ تُريدُ به الشُّجاع ، مُدعيًّاً أنَّهُ مِن جنسِ الأسود ، فتُثبتُ للشُّجاعِ ما يخصُّ المُشبَّه بهِ ، وهو اسمُ جنسهِ " [3] .

ومن التعاريف الأخرى تعريف الجاحظ ،فقد عرَّفَ الاستعارةَ بأنَّها " تسميةُ الشيءِ باسمِ غيرهِ إذا قامَ مقامهُ " [4] ، ويُمكنُ القولُ أنَّ تعريفَ الجاحظ غيرُ مانعٍ من الأغيار ؛ لِدخُولِ التشبيه ، والكناية في التعريف ،كذلك عرَّفها القاضي الجرجاني بقوله : " الاستعارةُ ما اكتُفي فيها بالاسم المستعار عن الأصلِ ونُقِلتْ العبارةُ ، فجُعلتْ في مكانِ غيرها ، وملاكها تقريب الشَبه ، ومناسبة المستعار لهُ للمستعار منه ، وامتزاجُ اللفظِ بالمعنى حتَّى لا يُوجدُ بينهما منافرةٌ ، ولا يتبيَّنُ في أحدِهما إعراضٌ عن الآخر " [5] ، وحدَّها عبدُ القاهر الجرجاني بقولهِ : " أن يكونَ للفظِ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ عليه الشواهدُ على أنَّهُ اختُصَّ بهِ حين الوضعِ ، ثُمَّ يستعملُهُ الشاعرُ أو غيرُ الشاعرِ في غيرِ ذلكَ ،وينقلُهُ إليهِ نقلاً غيرَ لازمٍ ، فيكونُ هنا كالعارية " [6] .

ويرى الباحثُ أنَّ تعريفَ عبد القاهر يُؤخذُ عليه ما أخذ على تعريف الجاحظ من كونهِ غيرَ مانعٍ من دخُول الأغيار ، فيدخلُ المجازُ ، والتشبيهُ في هذا التعريفِ ؛ لِذلكَ ترى الدِّراسةُ أنَّ الحدَّ الأمثلَ للاستعارةِ هو ما ذهب إليهِ ابنُ الأثير ، فقالَ : " حدُّ الاستعارةِ نقلُ المعنى مِن لفظٍ إلى لفظٍ لِمُشاركةٍ بينهُما ، مع طيِّ ذكرِ المنقول إليهِ ؛ لأنَّهُ إذا احتُرِزَ فيهِ هذا الاحتراز اختصَّ بالاستعارةِ ، وكان حدَّاً لها

1) يُنظر : علم البيان : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 175 .
2) يُنظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : د . محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ـ ايران ، ط 1 / 1414هـ ، 191 .
3) مفتاح العلوم : 369 .
4) البيان والتبيين : 1 / 153 .
5) الوساطة بين المتنبي وخصُومه : القاضي الجرجانيّ ، 41
6) أسرار البلاغة : 30 .

دُون التشبيه " [1] ، وغيرهِ .

ووجهُ كون تعريف ابن الأثير هو الأمثل ؛ لأنَّهُ ذكرَ قيداً احترازياً يمنعُ مِن إرادة غير الاستعارة هو قولُهُ (مع طيِّ ذكرِ المنقول إليهِ) ، والمقصودُ من هذا القيد هو حذف أحد طرفي التشبيه ، ويرى الشيخُ السُّبحاني أنَّ " روحَ الاستعارة عبارة عن تناسي التشبيه ؛ لأنَّ مقتضى التشبيه هو الإثنينية ، ومقتضى الاستعارة هو الوحدة ، وأنَّ الفردَ الادعائي مِن مصاديق المستعار منهُ ، وكلَّما بَعُدَ الكلامُ عن التشبيه تكونُ الاستعارةُ أبلغ " [2] ، فقولُهُ : (مقتضى الاستعارة هو الوحدة) يُريدُ به القيد الاحترازي ـ الَّذي ذكرهُ ابنُ الأثير ـ وهو حذف أحد طرفي التشبيه .

يقول الدكتور محمَّد عبد المطَّلِب أنَّ تحويل الصُورة التشبيهيَّة إلى الصُورة الاستعارية يقتضي توظيفَ " عمليتين :إحداهُما تتَّصلُ بالمستوى السَّطحي ، وهي (حذف أحد الطرفين)، والأخرى تتَّصلُ بالمستوى العميق ،وهي (تحميل المذكور دلالة المحذوف) ،فإذا كانتْ بِنيةُ التشبيه تتحقَّقُ في قولِنا :(محمَّدٌ كالأسدِ)،فإنَّنا يُمكنُ أن نقومَ بتغييبِ الطَّرف الأوَّل، فنقولُ : (الأسدُ في المعركة) ،أو تغييب الطَّرف الثاني ،فنقولُ : (محمَّدٌ يزأرُ) " [3] .

تتركَّبُ الاستعارةُ مِن ثلاثةِ أركان :

1ـ المستعار منه ، 2ـ المستعار له ، 3ـ المستعار ، وهو اللفظُ المنقول ،ويُسمَّى الركنُ الأوَّل ، والثاني : طرفي الاستعارة ،ولابدَّ أن يُحذفَ أحدُهُما بالإضافة إلى وجه الشَبَهِ، حتَّى تصحَ الاستعارةُ ، ففي قولهِ تعالى ﴿ واشتعلَ الرَّأسُ شيباً ﴾ [4] ، فالمستعار منهُفي هذهِ الآية الكريمة هو النَّار ، والمستعار لهُ هو الشيب ، والجامعُ بين المستعار منهُ، والمستعار لهُ هو مشابهة ضوء النَّار لبياض الشَيب [5] .

قَسَمَ البلاغيونَ الاستعارةَ بلِحاظِ ذكرِ أحدِ طرفيها ،وحذفِ الآخر إلى استعارةٍ تصريحيِّة وأخرى مكنيِّة ، والتصريحيِّة ما ذُكِر فيها لفظ المُشبَّه بهِ ، والمكنيِّة ما حُذِفَ فيها لفظ المُشبَّه بهِ ، وأشِير إليهِ بشيءٍ مِن لوازمهِ [6] .

---

1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدِّين بن الأثير ، قدَّمهُ وعلَّق عليه : د . أحمد الحُوفي ، د . بدوي طبانه دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط 2 ، 2 / 83 .

2) تهذيب البلاغة : الشيخ جعفر السُبحاني ، مؤسَّسة الإمام الصادق (عليه السلام) قُم ـ ايران ، ط 1 / 2012م ، 208 .

3) البلاغة العربية (قراءةٌ أخرى) : د . محمَّد عبد المطَّلِب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ، ط 2 / 2007م ، 169 - 170 .

4) مريم / 4

5) ينظر : فنون بلاغية (البيان ـ البديع) : 128 .

6) ينظر : علم البيان : عبد العزيز عتيق ، 176 .

بعبارةٍ أخرى الاستعارة " التصريحيِّة حذف المشبَّه ،وذكر المشبَّه بهِ ... والمكنيِّة (ذكر المشبَّه ،و) حذف المشبَّه بهِ ، وذكر شيءٍ مِن صِفاتِهِ " [1] .

ومثالُ الاستعارةِ التصريحيِّةِ ،قولُهُ تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّراطَ المُستقِيمَ ﴾ [2] ، فقد شبَّهَ الدِّينَ الحقَّ بالصِّراطِ المُستقِيمِ ، ووجهُ الشَبَهِ بينهما الإيصالُ الى الهدفِ المنشودِ ، والغاية ، فحذفَ المشبَّهَ وهو (الدِّين الحقَّ) ، وذكرَ المشبَّه بهِ ، وهو (الصِّراط المُستقيم) ، فالاستعارةُ تصريحيِّةٌ [3]، أمَّا الاستعارةُ المكنيِّةُ فمِثالُها ، قولُهُ تعالى : ﴿ واشتعلَ الرأسُ شيباً ﴾ [4] ، فقد شبَّهَ الرأسَ بالنَّار ،ثُمَّ حذفَ المشبَّه بهِ ، وهو (النَّار) ، وأبقى شيئاً مِن لوازمهِ ، وهو(الاشتعال) ، ووجهُ الشَبَهِ بينهُما هو (البياض) ، فالاستعارةُ مكنيِّةٌ[5] .

ويذكرُ عبدُ القاهر الجرجانيِّ مَزيَّةً للاستعارةِ مِن خلالها تَتَفوقُ الاستعارةُ على التشبيه ،وتَتَقدمُ عليهِ ، وهو أنَّ إثباتَ معنىً مِن المعاني بوساطةِ الاستعارةِ تجعل المعنى كالشيءِ الَّذي يجبُ لهُ الثُبُوت ، والوجُود ، وكالأمرِ الَّذي ثبتَ عن طريقِ الدَّليل القاطعِ ، والبُرهان السَّاطعِ ،بخلافِ التشبيه فيما لو أرادَ إثباتَ نفس المعنى ، أو غيرهُ ، فلا تكونُ لهُ هذهِ المزيَّة ، بل يترجَّحُ المعنى المُرادُ إثباتُهُ بين أن يكونَ ، أو لا يكونَ ، ولا يوجدُ وجوبُ الثُبُوتِ في البين ، فيقولُ : " وأمَّا الاستعارةُ ، فبسببِ ما ترى لها مِن المزيِّة ، والفخامةِ أنَّكَ إذا قُلتَ : رأيتُ أسداً ،كُنتَ قد تلطَّفتَ لِما أردتَ إثباتَهُ لهُ مِن فرطِ الشَّجاعةِ حتَّى جعلتَها كالشيءِ الَّذي يجبُ لهُ الثُبُوتُ ، والحُصُولُ ، وكالأمر الَّذي نُصِبَ لهُ دليلٌ يقطعُ بوجودهِ ، وذلِكَ أنَّهُ إذا كانَ أسداً ، فواجبٌ أن تكونَ لهُ تِلكَ الشَّجاعةُ العظيمةُ ، وكالمُستحيل ، أو المُمتنعِ أن يُعرَّى عنها ، وإذا صرَّحتَ بالتشبيهِ ،فقُلتَ : رأيتُ رجُلاً كالأسدِ ، كُنتَ قد أثبتَّها إثباتَ الشيءِ يترجَّحُ بين أن يكونَ ، وبين أن لا يكونَ ، ولم يكُن في حديثِ الوجوبِ في شيء " [6] ، ثُمَّ يصفُ الشيخُ الجرجانيُّ الاستعارةَ بوصفٍ يكشفُ عن منزلتِها ، وعلوِّ شأنِها ،وحسنِها ، وسعةِ فنُونِها ،فيقولُ : " وهي أمدُّ ميداناً ، وأشدُّ افتناناً ، وأكثرُ جرياناً ، وأعجبُ حُسناً ، وإحساناً ، وأوسعُ سعةً ، وأبعدُ غوراً ، وأذهبُ نجداً في الصِّناعة ، وغوراً مِن أن تُجمعَ شُعبُها ، وشعُوبُها ،

1) قاموس قواعد اللغة العربية وأصول النَّقد والتَذَوُّق : مُسعد الهواري ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ـ أمام جامع الأزهر ـ مصر ، 45 ، 47 .
2) الفاتحة / 6
3) ينظر : دروس في البلاغة : الشيخ مُعين دقيق العاملي ، دار جواد الأئمة (عليه السلام) ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2012م ، 143 .
4) مريم / 4
5) ينظر : البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) : تأليف علي الجارم ، ومصطفى أمين ، دار الغدير ، قُم ـ ايران ، ط 1 / 1434هـ ، 88 .
6) دلائل الإعجاز في علم المعاني : 58 .

وتُقصَرَ فنُونُها ، وضُروبُها ...ومِن الفضيلةِ الجامعةِ فيها أنَّها تُبرِزُ هذا البيان أبداً في صُورةٍ مُسْتَجَدَّةٍ تزيدُ قدرَهُ نُبْلاً ، وتُوجبُ لهُ بعد الفضلِ فضلاً ، وإنَّكَ لتجِدُ اللفظةَ الواحدةَ قد اكتسبتْ بها فوائدَ ... ومِن خصائِصِها التي تُذكرُ بِها ، وهي عنوانُ مناقبِها أنَّها تُعطِيكَ الكثيرَ من المعاني باليسيرِ مِن اللفظِ " [1] .

يتحدثُ أبوهلال العسكري عن أغراضِ الاستعارةِ ، فيقولُ : " وذلك الغرضُ إمَّا أن يكونَ شرحَ المعنى ، وفضلَ الإبانةِ عنهُ ، أو تأكيدَهُ ، والمبالغةَ فِيهِ ، أو الإشارةَ إليهِ بالقليلِ مِن اللفظِ ، أو تحسينَ المعرضِ الَّذي يبرُزُ فِيهِ " [2]، ويُفضِّلُ العسكريُّ الاستعارةَ على الحقيقةِ ؛ لأنَّها " تفعلُ في نفسِ السامعِ ما لا تفعلُ الحقيقةُ " [3] . ويردُّ أرسطو تأثير الاستعارة " إلى نوعٍ من التمويه تُحدِثُهُ الاستعارة في الأفكار أو المعاني التي تُزيِّنُها ، وألمحَ إلى أنّ ذلك التأثير يزدادُ كُلَّما انطوتْ الاستعارةُ على شيءٍ من الجدةِ ، والغرابةِ " [4] . ولاريبَ في أنَّ هذهِ الجِدةَ ، والغرابةَ تستهوي المُتلقي وتُؤثرُ فيهِ ، فبعد أن كان يعتقدُ انَّ المعنى (أ) لأوَّلِ وهلةٍ ؛ بسببِ التمويه الَّذي يكتنفُ الاستعارة أصبح الآن يعتقدُ بمعنى آخر ؛ بسببِ التفكير ،والتَأمُّل والبحثِ في الأقوال فيصلُ إلى نتيجةٍ مُغايرة يشعرُ من خلالِها أنَّه تعلَّم شيئاً جديداً [5] لم يكُنْ ليتعلَّمهُ لولا الاستعارة ، إذن الاستعارةُ تشتملُ على طاقةٍ حِجاجيَّةٍ ، وقوَّة تأثيرية تجعل المُتلقَّي يُذعنُ بنتيجتِها ، ويسيرُ على ما رسمتْهُ من أفكارٍ ، ورؤىً، وسلوكياتٍ في ذهنهِ ، " فتكونُ الاستعارةُ بذلك أدعى من الحقيقةِ ؛ لتحريكِ هِمَّة السامعِ إلى الاقتناع بها ، والالتزام بقيمِها ، فالمُستعيرُ يقصدُ أن يُغيِّر المقاييسَ التي يعتمدُها المُستمعُ في تقويم الواقعِ ، والسلُوكِ ، وأن يتعرَّفَ المُستمِعُ على هذا القصدِ منهُ ، وعلى معنى كلامهِ ، وما يلزمُ عنهُ ، وأن يكونَ هذا التعرُّفُ سبيلاً لِقبولِ خطابِهِ ، ولإقبالهِ على توجيههِ " [6] .

ومن خصائص الاستعارة أنَّها " تستهدفُ توضيحَ ، وتعميق بعض الدِّلالاتِ المُتَّسمةِ بأهميَّةٍ كبيرةٍ " [7] نحو قولهِ تعالى : ﴿ ويُطعمونَ الطَّعامَ على حُبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنَّما نُطعِمُكُم لوجهِ اللهِ لا نُريدُ منكُم جزاءً ولا شُكُوراً ، إنَّا نخافُ مِن ربِّنا يوماً عبُوساً قمطريراً ﴾ [8] .

وصفتِ الآيةُ الكريمةُ يومَ القيامةِ بالعبُوسِ ؛ لشدَّةِ ذلك اليوم ، وهَولِهِ وعظمتهِ [9] ، والمعنى أنَّ يومَ القيامةِ كالوجه العبُوس ، فالاستعارةُ مكنيَّةٌ؛ لِحذفِ المُشبَّه به ، وهو (الوجه) ، والإشارةُ إليهِ بشيءٍ من لوازمهِ وهو (العبُوس) .

---

1) أسرار البلاغة : 42 - 43
2) كتابُ الصِّناعتين (الكتابة والشعر) : 274 .
3) المصدر نفسه : 275
4) الصُّورة الفنيّة في التُراث النقدي البلاغي عند العرب : جابر عصفُور ، 327 ،
5) ينظر : المصدر نفسه : 327
6) اللسان والمِيزان أو التكوثر العقلي : 312 - 313 .
7) القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي : د . محمود البُستاني ، 191 ، ط 1 / 1414هـ ، مجمع البُحوث الإسلامية ، مشهد ـ ايران
8) الإنسان / 8 ، 10 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 7 / 30 - 31 .
1) مجمع البيان في تفسير القُرآن : 8 / 165

يُلاحظُ أنَّ الآيةَ الكريمةَ لم تستعملْ أسلوبَ التشبيهِ ، فلم تقُلْ (يومٌ كوجهِ العبُوسِ) ، بل استعملتْ الاستعارةَ ؛ لأنَّ " روحَ الاستعارةِ عبارةٌ عن تناسي التشبيه ؛ لأنَّ التشبيهَ هو الإثنينيَّةُ ، ومُقتضى الاستعارةِ هو الوحدةُ ، وأنَّ الفردَ الادعائي مِن مصاديق المُستعار منهُ ، وكُلَّما بعُدَ الكلامُ عن التشبيهِ تكونُ الاستعارةُ أبلغ " [1] ، مُضافاً إلى " أنَّ غيابَ أحدِ الرُكنين يُحرِّكُ ذهنَ المُتلقي لالتقاط البديل الَّذي يُعوِّض بالكلمةِ ، أو بلازمِها ، وهذا ما يُحتِّمُ على الذِّهنِ نوعاً مِن الانصراف وراء المعاني ، وفتحِ مغاليقِها بلحاظِ التدبُّرِ ، والتأمُّلِ " [2] .

واشتمالُ الآيةِ الكريمةِ على الاستعارةِ المكنيِّةِ يجعلُ الخطابَ الحِجاجي يؤثِّر تأثيراً كبيراً في نفس المُتلقِّي " حيثُ نجدُ المُتلقي في هذا اللون مِن التصوير فاعلاً ، وايجابيِّاً يُعمِلُ الذِّهنَ ، ويمُدُّ النظرَ لتأليف الهيئةِ الحاملةِ لظلالِ الصُّورةِ الفنيِّةِ ،ذلك أنَّ المُتلقِّي في الاستعارةِ التصريحيِّةِ يتلقَّى الفكرةَ جاهزةً مُكتملةَ العناصر وامَّا في الاستعارةِ المكنيِّةِ ، فإنَّهُ يحتاجُ أن يُعمِلَ ذهنَهُ ؛لِيُكمِلَ العناصرَ الناقصةَ مِن الصُّورةِ فكأنَّهُ يشترِكُ مع المُرسِلِ في إكمالِ أجزاء الصُّورةِ " [3] .

ومثالٌ آخر للاستعارةِ مِن القُرآنِ الكريمِ ،نحو قولهِ تعالى : ﴿ الَّذين ينقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثاقِهِ ويقطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ ويُفسِدُونَ في الأرضِ أولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ ﴾ [4] ، استعملتْ الآيةُ الكريمةُ الاستعارة ، فاستعارتْ لفظَ النقضِ ـ وهو حسي ، ومعناهُ حلُّ ، وفسخُ ما رُكِّبَ من الأجسام [5] ـ للعهدِ ، وهو معنوي ، وكذلك استعارتْ لفظَ القطعِ ـ وهو حسي ، ومعناهُ الفصلُ بين الأشياءِ ، وأصلُ استعمالهِ في الأجسام [6] ـ للأوامر الإلهية ، وهي معنويةٌ ، فالألفاظ المُستعارة الحسيِّة للأمور المعنوية تجعلُ الأمر المعنوي " كأنَّهُ ملموسٌ مرئيٌّ ،فضلاً عن ايحاءات الكلمة إلى النفس " [7] ، فتأثُّر المُتلقي بالصُّورةِ الاستعاريِّة " يرجعُ بالإضافةِ إلى كونِها حسيِّة إلى ارتباطِها بالعاطفةِ الإنسانية ؛ لذلك فإنَّ الإنسانَ يشعرُ بالتجاوبِ الداخلي مع الصُّورةِ الفنيِّة المُثيرةِ للعواطفِ ؛لأنَّهُ يرى نفسَهُ مصوَّرةً في الصُّورةِ المرسومةِ ،فيرى فيها مشاعرَهُ ، وعالمَهُ الداخلي ،فَتَكشِفُ لهُ أسرارَهُ ، وغوامضَهُ ،فتُحرِّكُهُ مِن داخلِهِ ؛ لِيتجاوبَ ، ويتأثَّرَ بها " [8] .

عن طريقِ ما تقدمَ يتضحُ أنَّ الاستعارةَ ليست " زُخرفاً ، أو نقشاً ؛ لِتزيين الكلام ، ولكنَّها فنٌ لُغويٌ

---

2) تهذيب البلاغة : 208 .
3) وظيفةُ الصُّورةِ الفنيِّةِ في القُرآن الكريم : عبد السَّلام الرَّاغب ، دار فُصِّلت ، حلب ـ سوريا ، ط 1 / 1422هـ ، 52 .
4) وسائل الإقناعِ في خطبةِ طارق بن زياد (دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحِجاج) ، إعداد : سليمة محفوظي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابِها ،جامعة الحاج لخضر باتنه ، 2011م ، 131 - 132 .
5) البقرة / 27 ، بهجِ الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة : 7 / 13 .
6) ينظر : تفسير التَّحرير والتَّنوير : الشيخ محمَّد الطاهر بن عاشُور ، السَّدار التُونسيَّة للنشر ، تُونس ، 1 / 368 .
7) ينظر : مجمع البيان في تفسير القُرآن : 1/ 92 .
8) مِن بلاغة القُرآن : د . أحمد بدوي ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 167 .
1) وظيفة الصُّورة الفنيِّة في القُرآن الكريم : عبد السَّلام الرَّاغب ، 51

تداوليٌ يُعطي للقولِ قوَّتَهُ الدّلاليّة ، وإصابتَهُ النفسيّة تأثيراً ، وانفعالاً ، واستحساناً " [1] قال تعالى :﴿ بل كذَّبُوا بالسَّاعةِ وأعتدنا لِمن كَذَّبَ بالسَّاعةِ سعيراً ، إذا رأتْهُم مِّن مَّكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وزفِيراً ﴾ [2] . تتحدثُ الآيةُ الكريمةُ عن المُكذِّبينَ بالمعاد ،الَّذي عبَّرتْ عنهُ الآيةُ بـ (السَّاعة) ، والمُرادُ مِن " السعير : النَّار المُلتهبةُ مأخوذةٌ مِن إسعار النَّار ، وهو شدَّةُ إيقادِها ... والتغيُّظ : الهيجان ، والغليان ،ومنهُ قِيل لِشدَّةِ الغضبِ الغيظ " [3] .

يُلاحظُ أنَّ الآيةَ الكريمةَ استعارتْ لفظتي الغيظ ، والزفير للنَّار مع أنَّ هذين الوصفين يختصان بالكائن الحي . والآيةُ شبَّهتِ النَّار بالإنسان ثُمَّ حُذِفَ المُشبَّه بهِ، وهو (الانسان) ، وأشير إليه ببعضِ لوازمهِ ، وهما (التغيُّظ ، والزفير) ، فهي استعارةٌ مكنيِّةٌ ، فالآيةُ تُريدُ أن تقولَ " وأعدَدنا لِمَن كَذَّبَ بِبعثِ اللهِ الأمواتَ أحياءً ـ بعد فنائِهم لِقيام السَّاعةِ ـ ناراً تُسعَّرُ عليهم ،وتتَّقدُ ... يقولُ : إذا رأتْ هذهِ النَّارُ ـ التي أعتدناها لِهؤلاءِ المُكذِّبينَ ـ أشخاصَهُم مِن مَّكانٍ بعيدٍ تغيَّظتْ عليهم ، وذلِكَ أن تغليَ ، وتفُورَ يُقالُ : فلانٌ يتغيَّظُ على فلانٍ ، وذلِكَ إذا غضِبَ عليهِ ، فَغَلَى صدْرُهُ مِن الغضبِ عليهِ ،وتبيَّنَ في كلامهِ ، (زفيراً) : هو صوتُها " [4] . يقولُ السيِّدُ الطباطبائي في تفسيرِ هذهِ الآيةِ : "والآيةُ تُمَثِّلُ حالَ النَّارِ بالنسبةِ إليهم إذا برزوا لها يومَ الجزاءِ ،أنَّها تشتدُّ إذا ظهرُوا لها كالأسدِ يزأرُ إذا رأى فريستَهُ " [5] ،كذلك تُشيرُ الآيةُ الكريمةُ إلى قضيِّةٍ غريبةٍ ،ومُخالفةٍ للمألوف ،حيثُ نسبتِ " الرؤيةَ إلى النَّارِ ،وإنَّما يرونها هُم لأنَّ ذلكَ أبلغ ،كأنَّها تراهُم رؤيةَ الغضبان الَّذي يزفُرُ غيظاً " [6] .

هذه الغرابةُ ، والمُخالفةُ للمألوف " في العبارةِ التي تُؤمَّنُها الاستعارةُ ناشئةٌ عن تمنِّعها عن تسليمِ معناها بسهُولةٍ ، وأنَّها تدفعُ إلى الجهدِ ؛ ولِهذا ، فإنَّ المعنى المُحصَّل عليهِ بعد الطلبِ أشرفُ مِن المعنى الَّذي نتمكنُ منهُ بدونِ طلبٍ " [7] . ويُمكنُ القولُ أنَّ الاستعارةَ " تُدرَكُ في ثُنائيةِ الانضباطِ ، والتجاوزِ : الانضباط في كشفِ المعاني والتعبير عن الحقائقِ المكنونةِ ، أمَّا التجاوز ، فبتركِ المألوفِ المُبتَذَل والدخول في دائرةِ البيانِ " [8] ، ووظيفةُ الاستعارةِ " مُرَكَبَةٌ يرتبطُ فيها العقلُ بالإحساسِ ،والفكري بالنفسي ،فَتمتَدُّ أعلى مِن الإفهامِ ، والإبلاغِ ، والإخبارِ ـ التي تُحقِّقُ الاقتصادَ اللغُويَّ ـ لِتَدخُلَ ضِمْنَ حيِّزِ سياقِ التواصل

2) حِجاجية الصُّورة الفنيِّة في الخطاب الحربي ـ خطب الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) نموذجاً ـ علي عُمران دار نينوى للدراسات ،والنشر ، دمشق ـ سوريا ، ط 1 / 2009م ، 67 .
3) الفُرقان / 11 - 12 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 8 / 25 .
4) مجمع البيان في تفسير القُرآن : 7 / 207 .
5) تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل القُرآن) : 17 / 408 - 409 .
6) المِيزان في تفسير القُرآن : 15 / 188 .
7) مجمع البيان في تفسير القُرآن : 7 / 208 .
8) الاستعارةُ في محطَّات يونانية وعربية وغربية : محمَّد الولي ، مكتبة دار الأمان ، المغرب ، ط 1 / 2005م ، 95 .
1) موقف البلاغيين والنُقَّاد العرب من الاستعارةِ : توفيق حمدي ، دار محمَّد علي للنشر ، ط 1 / 2007م ، 115 .

الخطابي " [1] ، فالخطاب الَّذي يشتملُ على الصُّورةِ الاستعارية ، وبخاصةٍ الاستعارة المكنيِّة يكونُ " أكثرَ عُمقاً ، وإيحاءً وتأثيراً في السَّامعِ " [2] ، وهذا هو هدفُ الخطاب الحِجاجي .

ومن صُور الاستعارةِ أيضاً في كتابِ (بهج الصّباغة) ما رُوي عن الرَّسولِ الأكرمِ (صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم) : " اللّهُمَّ إنَّا نعوذُ بِكَ من وعثاءِ السَّفرِ ، وكآبةِ المُنقلَب ، والحورِ بعد الكورِ ، وسوءِ المنظرِ في الأهلِ ، والمالِ " [3] ، فيوجدُ في هذا الحديث الشَّريف مجازان (استعارتان)، الأوّل : (وعثاء السَّفر) ، وهو الطَّريق الوعِرُ غيرُ المُستوي الَّذي تتعثَّرُ فيهِ الأقدامُ ، والسيرُ في هذا الطّريق فيه مشقةٌ ، وتعبٌ ، فجعلَ النبيُّ الأكرمُ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم) سفرَ الآخرةِ ، وما فيه من أهوال بمنزلةِ الوعثاء في التّعب ، والنّصب لمن يقطعُها ، فالاستعارة هنا تصريحية ؛ لحذفِ المُشبَه (سفر الآخرة) ، وبقاء المُشبَه به (وعثاء السّفر) ، وعلاقةُ المُشابهة بين المعنى الحقيقي ، والمعنى المجازي هي التّعبُ ، والمشقةُ . والثاني : (الحور بعد الكور) ، وأصلُ الكلامِ : حورُ العِمامةِ بعد كورِها ، أي : نشرُها ونقضُها بعد طيِّها وليِّها [4] ، فهذا هو المعنى الحقيقي لهذا التركيب ، وهذا المعنى الحقيقي ليس المراد من الرِّوايةِ الشريفةِ ، بل المُرادُ أنَّ الرَّسولَ الأكرمُ (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ) يتعوَّذُ من انتشارِ الأمورِ ، وظهورِها بعد خفائِها ، أي : يتعوَّذُ من ظهورِ المستورِ ، وافتضاحِ المخفي ، والاستعارة هنا تمثيلية والعلاقةُ بين المعنى الحقيقي ، والمجازي هي علاقةُ المُشابهة ، وهي الانتشار بعد الطّي ، والقرينةُ حاليةٌ . فالرَّسولُ الأكرمُ (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ) يستعيذُ باللهِ تبارك وتعالى من أهوالِ ، ومشقةِ سفرِ الآخرة ، ومن انتشارِ الأمورِ بعد خفائِها ، وقد استعملَ النَّصُ الشريفُ في بيانِ هذا المطلب الأسلوبَ المجازيَّ الَّذي يشتملُ على الحِجاجِ ؛ لِما للمجازِ من دورٍ فعَّالٍ في التّأكيدِ والتّشديد والقوّةِ في إثباتِ المدلولِ ، والاستدلالِ على المفهومِ ؛ ليُذعِنَ المُتلقي ، ويُصدِّقَ بمضمونِ الخبر.

---

2) الخطاب الحِجاجي لأهل البيتِ (عليهم السلام) في كتابِ الاحتجاج (دراسة تداوليّة) ،عبد الحسين علي حبيب النَّاصر ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، جامعة البصرة ، 206 .

3) وسائل الإقناع في خطبةِ طارق بن زياد (دراسة تحليلية) : 132 .

4) المجازات النَّبوية : محمَّد بن حسين الشَّريف الرَّضي ، تصحيح : مهدي هوشمند ، دار الحديث ، قُم ـ ايران ، ط 1 / 1422هـ ، 142 - 143 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 7 / 21 .

5) ينظر : المجازات النّبوية : 143 .

المبحثُ الرَّابع

الكنايةُ والحِجاجُ

الكنايةُ في اللغةِ :

قالَ اللغويونَ في الكنايةِ " أن تتكلَّمَ بشيءٍ ، وتريدُ بهِ غيرَهُ ، وكنَّى عن الأمرِ بغيرهِ يُكني كنايةً يعني إذا تكلَّمَ بغيرهِ ممَّا يستدلُّ عليهِ " [1] . قالَ الأزهريُّ : " كنَّى فلانٌ عن الكلمةِ المُسْتَفْحَشَةِ يُكَنِّي إذا تكلَّمَ بغيرِها ممَّا يُستَدَلُّ بهِ " [2] .

الكنايةُ في الاصطلاحِ :

يُعرِّفُ السَّكَّاكي الكنايةَ بأنَّها : " تركُ التصريحِ بذكرِ الشيءِ إلى ذكرِ ما يلزَمُهُ ؛لينتقلَ من المذكور إلى المتروكِ ، كما نقولُ : فلانٌ طويلُ النَّجادِ؛ لينتقلَ منهُ إلى ما هو ملزومُهُ ، وهو طُولُ القامةِ " [3] . قالَ ابنُ الزملكاني في تعريفِ الكنايةِ : " وهي أن تُريدَ إثباتَ معنىً ، فتتركَ اللفظَ الموضوعَ لهُ وتأتي بِتالِيهِ وجوداً ؛ لتومئ بهِ إليهِ ، وتجعلُهُ شاهداً لهُ ، ودليلاً عليهِ " [4] . إذن الكنايةُ أسلوبٌ بلاغيٌّ يذكرُ الملزومَ (اللفظ الموضوع له) ، ويُريدُ اللازمَ (المتروك ، والتالي في الوجود) . نستشفُ من ذلك كلِّهِ أنَّ المعنى الاصطلاحي للكنايةِ لا يختلفُ عن المعنى اللغوي .

أركانُ الكنايةِ :

تتألفُ الكنايةُ من ثلاثةِ أركانٍ : الأوَّل : المُكنَّى بهِ ، وهو اللفظُ المنطوقُ الظاهرُ الَّذي يدلُّ على مُرادِ المتكلِّمِ . الثاني : المُكنَّى عنهُ : وهو المعنى اللازم للمنطوق (المُكنَّى بهِ) الَّذي يقصدُ إليهِ المُتكلِّمُ بالكنايةِ . الثالث : القرينةُ العقليَّةُ التي يكشفُها سياقُ الكلام ؛ لتدلَّ على المعنى اللازم (المُكنَّى عنهُ) [5] .

---

1) لسان العرب : 15 / 233 .

2) تهذيبُ اللغةِ : أبو منصور محمَّد بن أحمد الأزهريِّ (ت 370هـ) ،علَّق عليه : عمر السلامي ، وعبد الكريم حامد ، دار إحياء التُراث ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1421هـ ، 10 / 373 - 374 .

3) مفتاح العلوم : 402 .

4) البُرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ، تحقيق : د . أحمد مطلوب ، و د . خديجة الحديثي ، ديوان الأوقاف ، بغداد ، 1974م ، 105 .

5) ينظر : البلاغة والتطبيق : د . أحمد مطلوب ، و د . كامل حسن البصير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ـ العراق ، ط 2 / 1999م ، 370 .

يرى عبد القاهر الجرجانيُّ : " أنَّ الكنايةَ أبلغُ من التصريحِ " [1] ، ثُمَّ أضاف بأنَّ كونَ الكنايةِ أبلغُ من التصريح لا يعني أنَّ الكنايةَ زادتْ في ذاتِ المعنى " بل المعنى أنَّكَ زِدتَ في إثباتِهِ ، فجعلتَهُ أبلغَ ، وآكدَ وأشدَّ ، فليستِ المزيَّةُ في قولِهم : جمُّ الرَّمادِ . أنَّهُ دلَّ على قِرى أكثر ، بل إنَّكَ أثْبَتَّ لهُ القِرى الكثيرَ من وجهٍ هو أبلغ ، وأوجبتَهُ إيجاباً هو أشدُّ ، وادعيتَهُ دعوى بها أنطق ، وبصحتِها أوثق " [2] .

هذا أيضاً ما يذهبُ إليهِ الدكتور عبد العزيز عتيق إذ يرى أنَّ المبالغةَ : " التي تولِّدُها الكنايةُ وتضفي بها على المعنى حُسناً ، وبهاءً ، هي في الإثباتِ دون المُثبتِ ، أو في إعطاءِ الحقيقةِ مصحوبةً بدليلِها ، وعرض القضيَّةِ ، وفي طيِّها برهانها " [3] .

ويرى الباحثون أنَّ الكنايةَ تُمثلُ بِنيةً مُحايدةً حيثُ تقعُ بين المجازِ ، والحقيقةِ ، فإرادةُ ،وقصدُ المُتكلِّمِ للمعنى اللازم من الكنايةِ لا يعني عدم إرادةِ المعنى الموضوع له اللفظ (الملزوم) ، بل المُكنَّى به ،والمُكنَّى عنه موجودان في السياقِ، وقابلان للقصدِ ،والإرادة ، سواء أكان اللزومُ عقليَّاً ،أم عُرفيَّاً [4] يقولُ الرازي : " اعلمْ أنَّ اللفظةَ إذا أطلقتْ ،وكان الغرضُ الأصليُّ غيرَ معناها ، فلا يخلو إمَّا أن يكونَ معناها مقصوداً أيضاً دالّاً على ذلك الغرض الأصليّ ، وإمَّا أن لا يكونَ كذلك ، فالأوَّل : هو الكناية ، والثاني : هو المجاز " [5] . ويُمكنُ من طريقِ ذلك أن نفرِّقَ بين الكنايةِ ، والمجازِ في أنَّ " المعنى الأصليَّ في الكناية مُرادٌ، وإنَّما أفِيدَ بهِ معنىً آخر على سبيلِ الالتزامِ ، ككونِهِ جواداً ؛ لِكونهِ كثيرَرمادِ القِدرِ ، بخلافِ المجاز، فإنَّ معناهُ الأصليَّ غيرُ مُرادٍ أصلاً " [6] .

أقسامُ الكنايةِ :

الكنايةُ على ثلاثةِ أقسامٍ : كنايةٌ عن الموصوفِ ،وكنايةٌ عن الصفةِ ، وكنايةٌ عن النسبةِ . يقولُ السَّكَّاكيُّ : " أنَّ المطلوبَ بالكنايةِ لا يخرُجُ عن أقسامٍ ثلاثةٍ :أحدها : طلبُ نفسِ الموصوفِ ،وثانيها : طلنفسِ الصفةِ ، وثالثها : تخصيصُ الصفةِ بالموصوفِ " [7]

أهدافُ وغاياتُ الكنايةِ :

بحثَ البلاغيونَ عن أهداف ، وغاياتِ الكنايةِ ،وعن سرِّ جمالِها ، وحسنِها ، وعظمتِها ، فوصلوا إلى جملةٍ من الأهدافِ ، والغاياتِ ، والفوائدِ ، هي على النحو الآتي :

---

1) دلائل الإعجاز في علم المعاني : 55 .
2) المصدر نفسه : 56 - 57 .
3) علم البيان : عبد العزيز عتيق ، 223 .
4) ينظر : البلاغة العربية قراءةٌ أخرى : 186 - 187 .
5) نِهاية الإيجاز في دِراية الإعجاز : فخر الدِّين محمَّد بن عُمر بن الحُسين الرازي (ت 606هـ) ، تحقيق : د . نصر اللهِ حاجي ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2004م ، 160 .
6) أصول البلاغة : كمال الدِّين ميثم البحراني ، تحقيق : د .عبد القادر حسين ، دار الشروق، القاهرة ـ مصر ، 74 - 75
7) مفتاح العلوم : 403 .

1- تأتي الكنايةُ بالحقيقةِ التي تشتملُ على الدليلِ ،والبُرهان .

2- تُصوِّرُ الكنايةُ المعاني المُجرَّدة في صُورِ المحسوساتِ.

3- يكمنُ حُسنُ الكنايةِ عن طريقِ المبالغةِ في الوصفِ ،إذ يشتملُ اللازمُ ،والمُكنَّى عنهُ على درجةٍ من القوَّةِ ، والتأثير في المُتلقِّي ،وهذا ليس موجوداً بنفسِ الدرجةِ في الملزومِ ، والمُكنَّى بهِ .

4- يستطيعُ المُتكلِّمُ بوساطةِ الكنايةِ أن يُعبِّرَ عن المعاني الفاحشةِ ،والمُستقبحةِ بألفاظٍ تستسيغُها الأذواقُ وتستأنسُ بها الآذانُ ،والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ في القرآن الكريم .

5- تُمكِّنُ الكنايةُ المُتكلِّمَ من الحفاظِ على نفسهِ ، فيما إذا كان كلامُهُ موجهاً إلى خصمهِ ،وفيهِ تعريضٌ ، فمن طريقِ الكنايةِ يتَّقي خصمَهُ ، ولا يجعلُ لهُ سبيلاً عليهِ .

6- قد تكونُ الكنايةُ طريقاً من طرقِ الإيجازِ ، والاختصارِ [1] .

ويرى الباحثُ عبَّاس حشَّاني أنَّ الكنايةَ يمكنُ أن تُؤسِّسَ لحجاجٍ ناجحٍ ، واستدلالٍ ناجعٍ " إذا كانتْ مؤلَّفةً تأليفاً حِجاجيِّاً ، وتركيباً صحيحاً يجعلُ المُتلقي يقتنعُ بما دلَّتْ عليهِ " [2] ، فالكنايةُ أسلوبٌ من أساليب التعبير البياني ، وقد اهتَمَ بها النُّقَّادُ العربُ ، " وعرفوا لها مكانَتَها في الإيضاحِ ، والتأثيرِ ؛ لأنَّها وردتْ كثيراً في كلامِ العربِ ، والقرآنِ الكريمِ ، وكانتْ في كتابِ اللهِ موحيةً ، وموجزةً ، ومصوَّرةً للمعاني خيرَ تصويرٍ ، وكانتْ مؤدبةً مهذبةً تتجنبُ ما ينبو على الأذنِ سماعُهُ " [3] .

وستذكرُ الدِّراسةُ جملةً من الأمثلةِ في الكنايةِ ، فمن كلامٍ للسيدةِ فاطمة الزهراءِ (عليها السلام) في حقِّ أبيها الرَّسول الأكرم (صلَّى اللهُ عليه واله) تقولُ : " ابتعثَهُ اللهُ تعالى إتماماً لأمرهِ ، وعزيمةً على إمضاءِ حُكْمهِ ، فرأى صلَّى اللهُ عليه وآله الأممَ فِرقاً في أديانِها ،عُكَّفاً على نيرانِها ، عابدةً لأوثانِها مُنكرةً للهِ تعالى مع عرفانِها ، فأنارَ اللهُ عزَّ وجلَّ بمحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ ظُلَمَها ، وفرَّجَ عن القلوبِ بُهمَها ، وجلَّى عن الأبصارِ غُمَمَها " [4] فالسيدةُ الزهراءُ (عليها السلام) تتحدثُ عن بِعثةِ الرَّسول الأكرم بالرِّسالةِ الإسلامية من لَدُنِ اللهِ تبارك وتعالى بعد أن كانت الأمةُ تعيشُ الكفرَ ، والإلحاد ، والتفرقة في الأديان من خلالِ عبادة الأوثان ، فجاءَ الرسولُ الأكرمُ بالرسالةِ الإسلامية ، فبعثَ الحياةَ في جسدِ الأمةِ ، فأنارَ عقولَهم ، وبصَّر قلوبَهم ؛ لِيروا الحقَّ ، ويتَّبعوا الهدى . استعملتِ السيدةُ الزهراءُ (عليها السلام) أسلوب الكنايةِ في كلامِها ، فقالت : (إتماماً لأمرهِ ، وعزيمةً على إمضاءِ حُكمهِ) ،ويمكنُ أن يكونَ المُرادُ من إتمامِ الأمرِ، وإمضاءِ الحُكمِ هو تحقيقُ هدفِ الخِلقة ، وهدفُ الخِلقةِ كما بيَّنهُ القرآنُ الكريمُ هو العبادة ، كما في قولهِ

---

1) ينظر : الأسلوب الكنائي نشأتُه ـ تطوَّرهُ ـ بلاغتُهُ : محمود السيَّد شيخون ، ط 1/ 1978م ، 87 ، 94 .

2) خطاب الحجاج والتَداوليَّة (دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي) : عبَّاس حشَّاني ، عالم الكتب الحديث ، إربد ـ الأردن ، ط 1 / 2014م ، 291 .

3) فنون بلاغية (البيان ـ البديع) : 162 .

4) بلاغات النِّساء : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت 380هـ) ، منشورات المكتبة المُرتضويَّة ، 15 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرحِ نهجِ البلاغةِ : 2 / 175 .

تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلَّا لِيعبُدُونَ ﴾ [1] ، وحقيقةُ " العبادةِ هي الغرضُ الأقصى من الخِلْقةِ ، وهي أن ينقطعَ العبدُ عن نفسِهِ ، وعن كلِّ شيءٍ ، ويذكُرُ ربَّهُ " [2] ، فالتعبير الكنائي " من خلالِ هذا التصوير أصبحَ أكثرَ قوَّةً في إيضاحِ الفكرةِ ، وأكثرَ تأثيراً في المُتلقي في الوقتِ نفسِهِ " [3] .

ومن كلامٍ لِلإمامِ الحسنِ المُجتبى (عليه السلام) لِعمرو بنِ العاص ـ بعد أن تجاوزَ عمرو بن العاص بكلامٍ باطلٍ على الإمام الحسن ـ فقال الإمامُ : " إنَّ لأهلِ النَّارِ لعلاماتٍ يُعرَفُونَ بها : إلحاداً لأولياءِ اللهِ ، ومُوالاةً لأعداءِ اللهِ ، واللهِ إنَّكَ لتعلمُ أنَّ عليّاً (عليه السلام) لم يرتبْ في الدِّينِ ولم يشكْ في اللهِ ساعةً ، ولا طرفةَ عينٍ قط ، وأيمُ اللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ يا بنَ أمِ عمرو ، أو لأنفذنَّ حضْنَيَكَ بنوافذَ أشدَّ من القعضبيَّةِ ، فإياكَ والتَّهجُّمُ عليَّ ، فإنَّي مَنْ قد عرفتَ ،لستُ بضعيفِ الغمزةِ ، ولا هشِّ المَشَاشةِ ، ولا مريءِ المأكلةِ ، وإنَّي من قُريش كواسطةِ القِلادةِ يُعرَفُ حسبي ، ولا أذعِنُ لِغيرِ أبي ،وأنتَ مَنْ تعلمُ ، ويعلمُ النَّاسُ تحاكمتْ فيكَ رجالُ قريش ، فَغَلَبَ عليكَ جزَّارُها ألأمهُم حسباً ، وأعظمُهُم لؤماً ، فإياكَ عنِّي فإنَّكَ رِجسٌ ، ونحنُ أهلُ بيتِ الطهارةِ أذهبَ عنَّا الرِّجسَ ، وطَهَّرنا تطهيراً" [4] .

في النَّصِ كناياتٌ وظَّفها الإمامُ (عليه السلام) ، لِردعِ عمرو بن العاص عن غيِّهِ ، وبُهتانهِ ، وما نطقَ بهِ من باطلٍ ، من جهةٍ ،ومن جهةٍ ثانيةٍ للتأثيرِ في المُتلقَّي ، وبيان الحقيقة لهُ بأسلوبٍ بلاغيٍّ يشتملُ على الإبداعِ ، فقالَ الإمامُ (عليه السلام) :(لستُ بضعيفِ الغمزةِ ، ولا هشِّ المُشَاشةِ ، ولا مريء المأكلةِ) ، فهذا الكلامُ كنايةٌ عن قوَّةِ الإمامِ، وصلابتهِ في الدفاعِ عن الحقِّ ، والحقيقة ،وأنَّهُ ليس بالإنسان الضعيف الَّذي ينكسرُ ، ويهربُ عند المواجهةِ ، بل هو سبطُ الرسول الأكرم (صلَّى الله عليهِ واله) الَّذي تشرَّبَ فكرُهُ ، وامتلأ قلبُهُ ، واصطبغ سلُوكُهُ بتعاليم الإسلام العقديَّة ، والأخلاقيَّة ، والفقهيَّة ، فوصل إلى درجةِ الإنسانِ الكاملِ الَّذي هو خليفةُ اللهِ في أرضهِ ، وحُجَّتُهُ على عبادهِ ، ثُمَّ قالَ الإمامُ (عليه السلام) : (ولا أُذعِنُ لِغيرِ أبي ... وأنت مَن تعلمُ ، ويعلمُ النَّاسُ تحاكمتْ فيكَ رجالُ قريش)، كنَّى الإمامُ في هذا النَّصِ عن طهارةِ نسبهِ ، وشرفِ حسبِهِ ، (ولا أُذعِنُ لغيرِ أبي) ، فهو من أهلِ بيتٍ طهَّرهُم اللهُ تباركَ وتعالى تطهيراً ، وأذهبَ عنهُم الرِّجسَ المعنوي ، والمادي ، وفي المُقابل كنَّى عن خُبثِ النَّسَبِ ولؤمِ الحسبِ في الطرفِ الآخر بـ (تحاكمتْ فيكَ رجالُ قريشٍ) ، فالأسلوبُ الكنائيُّ " وادٍ من أوديةِ البلاغةِ ... ، وغايةٌ لا يصلُ إليها إلَّا مَن لَطُفَ طبعُهُ ، وصفتْ قريحتُهُ ، وطريقٌ جميلٌ من طُرُقِ التَّعبير الفني يلجأُ إليها الأدباءُ

1) الذاريات / 56
2) المِيزان في تفسير القرآن : 18 / 388 .
3) بنائية الصُورة الفنية : عمَّار عبد الأمير السلامي ، (أطروحة د كتوراة) ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2010م ، 139 .
4) بهج الصّباغة في شرحِ نهجِ البلاغة : 3 / 13 .

للتعبيرِ عمَّا يدورُ في نفُوسِهم من المعاني ، ويجيشُ في صِدُورِهم من الخواطرِ ، ووسيلةٌ قويَّةٌ من وسائل التأثيرِ ، والإقناعِ " [1] ، فيُحقِّقُ المُحاجِجُ بُغيَتَهُ ، ويصلُ إلى غايتهِ

1) الأسلوب الكنائي : محمود السيَّد شيخون ، 87

الفصل الثالث

السَّلالم والرَّوابط والعوامل الحِجاجية

المبحثُ الأول

السَّلالم الحِجاجية

مفهوم السَّلالم الحِجاجية :

تعتمدُ نظريةُ السَّلالم الحِجاجية على التلازمِ بين القولِ (ق) ، والنتيجةِ (ن) ، ومعنى التلازمِ أنَّ القولَ (ق) لا يكونُ حُجَّةً للمُتكلِّمِ إلا بإضافتهِ إلى النتيجةِ (ن) ، وهذهِ النتيجةُ قد تكونُ صريحةً ، وقد تكونُ مضمرةً [1] ، فالسُلَّم الحِجاجي هو " علاقةٌ تراتبيَّة للحُججِ متتابعة ... تُشكِّلُ سُلَّماً حِجاجيا موجَّهاً نحو ما يريدُ أن يصلَ إليهِ المُخاطِب " [2] ، فإذا كانت الحُججُ ، والأقوالُ في السُلَّم الحِجاجي تراتبيَّةً في علاقتِها ، ومتسلسلةً " فهذا يقتضي تلازُماً بين القولِ ، أو الحُجَّةِ ، والنتيجةِ المترتبةِ عليها "[3] ويُعرَّفُ السُلَّم الحِجاجي بأنَّهُ " مجموعةٌ غيرُ فارغةٍ من الأقوالِ مزوَّدةً بعلاقةٍ ترتيبيّة ، وموفيّة بالشرطين التاليين " [4] .

أ ـ كلُّ قولٍ (حُجَّة) تقعُ في درجةٍ معيَّنةٍ من السُلَّمِ يلزمُ عنها ما يقعُ تحتها من الأقوالِ ، والحُججِ ، والعكس ليس بصحيحٍ [5] .

ب ـ كلُّ قولٍ (حُجَّة) تقعُ في السُلَّم دليلاً على نتيجةٍ معيَّنةٍ يكونُ ما يعلُوهُ من الأقوالِ ، والحُججِ دليلاً أقوى على النتيجةِ نفسِها [6] . إذن السُلَّمُ الحِجاجيُّ هو علاقةٌ تراتبيَّة بين الحُججِ ، والأقوالِ ؛ لِتُسانِدَ نتيجةً معيَّنةً ، ويُمكنُ أن نوضحَ ذلك بالرسمِ الآتي :

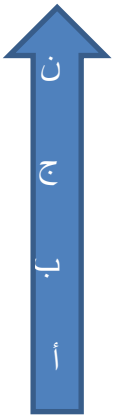

حيثُ (ن) النتيجة ، وحيثُ (أ) ، و(ب) ، و(جـ) حُججٌ ،

وأقوالٌ تدعمُ ، وتسندُ النتيجةَ (ن) .

1) ينظر : نظرية الحِجاج في اللغة : شكري المبخوت ، (بحث) ضمن كتاب (أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) ، إشراف : حمَّادي صمّود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، 363 .

2) أسلوبية الحِجاج التداولي البلاغي (تنظير وتطبيق على السُور المكيَّة) : مثنى كاظم صادق ، منشورات ضِفاف ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2015م ، 117 .

3) في حجاج النص الشعري : محمَّد عبد الباسط عيد ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 24 .

4) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : 277 .

5) ينظر : المصدر نفسه : 277 .

6) ينظر : المصدر نفسه : 277 .

إذا ثبتَ أنَّ الحُجَّةَ (جـ) التي هي أعلى الحُججِ بالنسبةِ إلى النتيجةِ لزِمَ ثبُوتُ (ب) ، و (أ) التي هي حُججٌ دون الحُجَّةِ (جـ) ، ولكن إذا ثبتتِ الحُجَّةُ (أ) التي هي أدنى الحُججِ ، والأقوالِ بالنسبةِ إلى النتيجةِ (ن) لا يلزمُ حينئذٍ ثبُوتُ الحُججِ (ب) ، و (جـ) ، وكذلك إذا ثبتْ أنَّ الحُجَّةَ (أ) دليلٌ على النتيجةِ كانت الحُجَّةُ (ب) دليلاً أقوى بالنسبةِ إلى النتيجةِ ، وكانتِ الحُجَّةُ (جـ) دليلاً أقوى منهما بالنسبةِ إلى النتيجةِ .

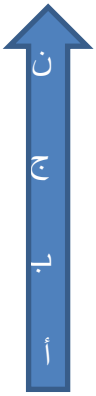

القسم الحِجاجي :

من المفاهيم التي اعتمدها ديكرو في السُلَّم الحِجاجي هو مفهوم الفئةِ الحِجاجية ، أو القسم الحِجاجي ، وهو أن يُقدِّمَ المُتكلِّمُ قولين (حُجتين) ، أو أكثر يدعمان ، ويسندان نتيجةً واحدةً [1] ، ونذكرُ مِثالاً على ذلِكَ :

الحُجَّةُ (أ) : زيدٌ حصلَ على البكلوريوس

الحُجَّةُ (ب) : زيدٌ حصلَ على الماجستير

الحُجَّةُ (جـ) : زيدٌ حصلَ على الدكتوراه

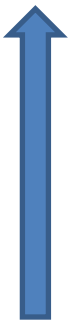

ن - (كفاءة زيد العلمية)

جـ - (زيد حصل على الدكتوراه)

ب - (زيد حصل على الماجستير)

أ - (زيد حصل على البكلوريوس)

1) ينظر : نظرية الحِجاج في اللغة ، شكري المبخوت ، 365

هذهِ الحُججُ ، والأقوالُ يُمكنُ أن نُدرجَها في فئةِ حِجاجيةٍ واحدةٍ ، وقسمٍ حِجاجي واحد ؛لأنَّها حُججٌ تدعمُ نتيجةً واحدةً ، وهي (كفاءة زيد العلمية) مثلاً [1] ، فنجدُ أن أقوى الحُججِ ، والأقوالِ التي تدعمُ النتيجة (كفاءة زيد العلمية) هي الحُجَّةُ (جـ) ، وهي حصول زيد على شهادة الدكتوراه ، فهذه الحُجَّةُ تدلُّ على مقدرةِ زيدٍ العلمية . إذن الحُججُ ،والأقوالُ متفاوتةٌ من حيثُ القوَّةِ والضعفِ بالنسبةِ إلى النتيجةِ الواحدةِ [2] فهذهِ الحُججُ ، والأقوالُ تنطلقُ " من الحُجَّةِ الضعيفةِ إلى الحُجَّةِ القويَّةِ وصُولاً إلى النتيجةِ المُتوخاة ... وأنَّ هذهِ الحُججَ تدعمُ هذهِ النتيجةَ التي ينقادُ إليها المُتلقي من خلالِ متابعةِ هذهِ الحُججِ " [3] ، فنلاحظُ أنَّ هذهِ الأقوالَ التي تدعمُ نتيجةً واحدةً ليستْ متعددةً فقط ، بل متفاوتةٌ قوَّةً ، وضعفاً من حيثُ الحُجيَّة ، والدليلية بحيثُ تكونُ بعضُ الحُججِ أقوى من بعضٍ مكوَّنةً ما يُعرَفُ بالسُلَّمِ الحِجاجي [4] .

إذن القسم الحِجاجي قائمٌ على التراتبيَّة بين الحُججِ ، وتلازمِها في السُلَّمِ الحِجاجي ، وهي أقوالٌ ، وحُججٌ متعددةٌ ، وكذلِكَ متفاوتةٌ قوَّةً ، وضعفاً من حيثُ الحُجيَّةِ ، والدليلية [5] ، والنتيجةُ قد تكونُ صريحةً وقد تكونُ مضمرةً ، فقُولُنا : زيدٌ حصلَ على البكلوريوس ، بل حصلَ على الماجستير ، بل على الدكتوراه يعني أنَّ حصُولَهُ على الدكتوراه يلزمُ منه حصُولُهُ على البكلوريوس ، وعلى الماجستير : أي من باب الأولوية القطعية ، وهذهِ الجُملُ هي أقوالٌ ، وحُججٌ متعددةٌ ، ومتفاوتةٌ من حيثُ القوَّةِ ، والضعفِ فحصولُ زيدٍ على الدكتوراة أقوى على مقدرتهِ ، وكفاءتهِ العلمية من حصُولهِ على شهادةِ الماجستير ، والنتيجة في هذا المثالِ مضمرةٌ .

قوانين السُلَّمِ الحِجاجي :

صاغَ د يكرو ثلاثةَ قوانينٍ لِمفهومِ السُلَّمِ الحِجاجي ، وهي على النحو الآتي :

1 - قانون النفي :

يقتضي هذا القانونُ أنَّهُ إذا كانتِ الحُجَّةُ (أ) تدعمُ النتيجةَ (ن) ، فإنَّ نقيضَ هذهِ الحُجَّة (ليس أ) يدعمُ النتيجةَ المضادةَ (ليس ن)، بمعنى إذا كانتِ الحُجَّةُ (أ) تنتمي إلى الفئةِ الحِجاجية المُحددةِ بالنتيجةِ (ن) ، فإنَّ نقيضَ هذه الحُجَّة (ليس أ) تنتمي إلى الفئةِ الحِجاجية المُحددةِ بالنتيجةِ (ليس ن) [6] .

مِثالُ ذلك : (أ) زيدٌ مجتهدٌ ، نجح في الامتحان

(ليس أ) زيدٌ ليس مجتهداً ، لم ينجحْ في الامتحانِ .

---

1) ينظر : تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق : 166 .
2) ينظر : اللغة والحجاج : أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 / 2006م ، 21 .
3) أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي : 177 .
4) ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : 276 .
5) ينظر : نظرية الحِجاج في اللغةِ : 365 .
6) ينظر : اسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي : 118 - 119 ، وينظر : اللغة والحِجاج : 22 .

نرى أنَّ الحُجَّةَ (أ) ، وهي (زيدٌ مجتهدٌ) تدعمُ النتيجةَ (ن) ، وهي نجاحُ زيدٍ في الامتحانِ ، أمَّا الحُجَّةُ (ليس أ) ، وهي (زيدٌ ليس مجتهداً) ، فتدعمُ النتيجةَ المضادةَ (ليس ن) ، وهي عدمُ نجاحِ زيدٍ . في روايةٍ عن الرسولِ الأكرمِ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم) : " ألا ومن ماتَ على بغضِ آلِ محمَّدٍ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ) جاءَ يومَ القيامةِ مكتوباً بين عينيهِ آيسٌ من رحمةِ اللهِ ، ألا ومن ماتَ على بغضِ آلِ محمَّدٍ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ) ماتَ كافراً ، ألا ومن ماتَ على بغضِ آلِ محمَّدٍ (صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ) لم يشمْ رائِحةَ الجنَّةِ " [1] ، فالرسولُ الأكرمُ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم) يذكرُ في هذهِ الروايةِ حُجَّةً ، وهي (بغض آل محمَّد) التي تدعمُ المدلولَ ، والنتيجةَ (آيسٌ من رحمةِ اللهِ ، وكافر ، ولم يشمْ رائحة الجنَّة) ، فإذا أردنا أن نطبقَ قانونَ النفي في هذه الروايةِ ، فيجبُ أن ننفيَ الحُجَّةَ ،فنقولُ : (عدم بغض آل محمَّد) ستدعمُ نتيجةً مضادةً ، وهي (لم ييأسْ من رحمةِ اللهِ ، وليس كافراً ، ويشمُ رائحةَ الجنَّةِ) ؛ لأنَّهُ " إذا كان القولُ دليلاً على مدلولٍ معيَّنٍ ، فإنَّ نقيضَ هذا القول دليلٌ على نقيضِ مدلولِهِ " [2] .

ترى الدِّراسةُ أنَّ قانونَ النَّفي الذي صاغَهُ ديكرو ، وهو أحدُ قوانين السُلَّم الحِجاجي ، هو عبارةٌ أخرى عن بحثِ المفاهيم ، هذا البحثُ الذي أُشبِعَ دِراسةً ، وتحقيقاً في علمِ أصول الفقه ، وبالتحديدِ هو ما يُسمَّى بـ (مفهوم المُخالفة أو دليل الخِطاب) ، ومعناهُ " هو ما إذا كان الحكمُ المدلولُ عليهِ التزاماً في المفهومِ مخالِفاً للحكمِ الواردِ في المنطوقِ من حيثُ السلبِ ، والإيجابِ " [3] ، فالأصوليون يُعبِّرون عنهُ بمفهومِ المخالفةِ أو دليل الخِطابِ ، وديكرو يُعبِّرُ عنهُ بقانون النفي ، فالمعنى واحدٌ ، والاختلافُ في الاصطلاح ، وقد قَسَّمَ الأصوليون مفهوم المخالفةِ إلى " مفهوم الشرط ، ومفهوم الوصف ، ومفهوم الغاية ومفهوم اللقب ، ومفهوم الحصر ، وغيرِ ذلك " [4] .

2- قانون القلب :

يُعدُّ هذا القانونُ تتمةً لِقانون النفي ، ومفادُهُ " أنَّ السُلَّمَ الحِجاجي لِلأقوالِ المنفيةِ هو عكسُ سُلَّم الأقوالِ الإثباتية " [5] . يعني إذا كانتِ الحُجَّةُ (جـ) أقوى من (ب) ، و (أ) بالنسبةِ إلى النتيجةِ (ن)

---

1) الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : العلَّامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمَّد معوّض ، مكتبة العبيكان ، الرِّياض ، ط 1 / 1998م ، 5 / 406 ، بهجُ الصّباغة في شرحِ نهجِ البلاغة : 3 / 31 .

2) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : 278 .

3) البيان المُفيد في شرحِ الحلقة الثالثة للسيد الشهيد : أياد المنصوري ، قُم المُقدَّسة ـ ايران ،2 / 212 وينظر : الحلقة الثالثة في أسلوبِها الثاني : الشيخ باقر الأيرواني ، قُم المُقدَّسة ـ ايران ،ط 1 / 2007م ، 1 / 433، 445 وينظر : كفاية الأصول : الشيخ محمَّد كاظم الخراساني ، تحقيق وتعليق : الشيخ عبَّاس السبزواري ، مؤسَّسة النشر الإسلامي ، قُم المُقدَّسة ـ ايران ، ط 8 / 1433هـ ، 2 / 95 .

4) المصدر نفسه : 2 / 213 .

5) اللغة والحِجاج : 22 .

في السُلَّمِ الحِجاجي الإثباتي ، فإنَّ الحُجَّةَ (ليس جـ) أقوى من (ليس ب) ، و (ليس أ) بالنسبةِ إلى النتيجةِ (لا ـ ن) في السُلَّمِ الحِجاجي المنفي .

ـ حصلَ زيدٌ على البكلويورس ، بل على الماجستير ، بل على الدكتوراه

ـ لم يحصلْ زيدٌ على الدكتوراه ، بل لم يحصلْ على الماجستير ، بل لم يحصلْ على البكلوريوس

يتضحُ ما تقدمَ بالرسمِ التالي :

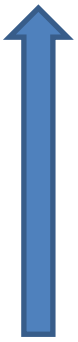

ن	كفاءة زيد العلمية
جـ	زيدٌ حصلَ على الدكتوراه
بـ	الماجستير
أ	البكالوريوس

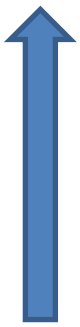

(لا ـ ن)	عدم كفاءة زيد العلمية
ليس جـ	لم يحصلْ على البكالوريوس
ليس بـ	لم يحصلْ على الماجستير
ليس أ	لم يحصلْ على الدكتوراه

حصولُ زيدٍ على الدكتوراه في الفئةِ الحِجاجية الإثباتية أقوى من حيثُ الدليليةِ ، والحُجيَّةِ بالنسبةِ إلى النتيجةِ (كفاءة زيد العلمية) في حين أنَّ عدمَ حصولَهُ على البكالوريوس في الفئةِ الحِجاجية المنفية أقوى من حيثُ الدليلية ، والحُجيَّةِ بالنسبةِ إلى النتيجةِ (عدم كفاءة زيد العلمية) [1] . يُروى عن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام) أنَّه قالَ : " قالَ الحواريون لِعيسى بن مريم : يا معلِّم الخيرِ أعلِمنا أيَّ الأشياءِ أشدُّ ؟ قالَ : أشدُّ الأشياءِ غضبُ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فقالوا : فَبِمَ يُتَّقى غضبُ اللهِ ؟ قالَ : بأن لا تغضبوا ، قالوا

1) ينظر : اللغة والحِجاج : 23 .

: وما بدءُ الغضبِ ؟ قالَ : الكِبرَ ، والتجبُّرَ ، ومحقرةَ النَّاسِ " [1] .

يذكُرُ النبيُّ عيسى (عليه السلام) أقوالاً، وحُججاً تنتمي إلى فئةٍ حِجاجيةٍ واحدةٍ في السُلَّمِ الحِجاجي ؛ لأنَّها تدعمُ نتيجةً واحدةً ، وهي (مبدأ الغضب) ، وبما أنَّ الأقوالَ الحِجاجية المنفية هي عكسُ الأقوال الحِجاجية الإثباتية ، فستُؤدي الأقوال الحِجاجية المنفية إلى نتيجةٍ مضادةٍ ، وهي (عدم الغضب) .

يُمكنُ أن نوضحَ ذلِكَ بالرسمِ التالي :

ن	(بدء الغضب)	لا ـ ن	(عدم الغضب)
جـ	الكِبر	ليس جـ	عدم محقرة الناس
ب	التجبَّر	ليس ب	عدم التجبَّر
أ	محقرة النَّاس	ليس أ	عدم التكبَّر

نُلاحظُ أنَّ الحُجَّةَ (جـ) ، وهي (الكِبر) أقوى من حيثُ الدليليةِ ، والحُجيَّةِ في الفئةِ الحِجاجيةِ الإثباتية في دعمِ ، وإسنادِ النتيجةِ (بدء الغضب) في حين أنَّ الحُجَّةَ (ليس جـ) ، وهي (عدم محقرة النَّاس) أقوى من حيثُ الدليليةِ ، والحُجيَّةِ في الفئةِ الحِجاجيةِ المنفية في دعمِ ، وإسنادِ النتيجةِ المُضادةِ (عدم الغضب) .

3 ـ قانون الخفضِ :

مقتضى هذا القانون أنَّهُ إذا صدقَ القولُ في مرتبةٍ معيَّنةٍ من السُلَّمِ الحِجاجي صدقَ ما دونهُ من المراتبِ في السُلَّمِ الحِجاجي [2] ، فعندما نقولُ " الجوُّ ليس بارِداً ... فنحنُ نستبعدُ التأويلاتِ التي ترى أنَّ

2) الخِصال : الشَّيخ الصَّدُوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (ت 381هـ) ، صحَّحهُ وعلَّق عليه : علي أكبر الغفَّاري ، منشورات جماعة المُدرّسين في الحوزة العلمية ، قُم المُقدّسة ، 1 / 6 ، باب الواحد ، ح 17 ، ينظر : بهجُ الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 2 / 15 .

1) ينظر : اللسان والميزان : 278 ، وينظر : أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي : 119 .

البردَ قارسٌ ... أي إذا لم يكنِ الجوُّ بارِداً ، فهو دافئٌ ، أو حارٌ " [1] . يرى البحثُ أنَّ هذا القانونَ (قانون الخفض) الَّذي صاغهُ د يكرو ضمن قوانين السُلَّمِ الحِجاجي هو عبارةٌ أخرى عن مبحثٍ أصولي دُرِسَ في علمِ (أصول الفقه) ، وقد عنونَهُ الأصوليون بـ (تبعية الدلالة الإلتزامية للمطابقية) ، ومن الأمثلةِ التي تُذكرُ في علمِ الأصولِ لِهذا المبحثِ هو (وجودُ النَّهارِ يدلُّ على طلوعِ الشمسِ) ، فإذا صدقَ وجودُ النَّهارِ صدقَ طُلُوعُ الشمسِ ، ومن ثَمَّ نستبعدُ التأويلاتِ الأخرى من قبيل وجودِ الليلِ ، وقد ذكرَ الأصوليون أنَّهُ إذا سقطَ المدلولُ المطابقي سقطَ حينئذٍ المدلولُ الإلتزامي ، فإذا لم يوجدِ النَّهارُ ، فالشمسُ لم تطلعْ [2] ، كذلك بالنسبةِ للمثالِ الذي ذكرَهُ الدكتورُ أبو بكر العزاوي عند بيانِهِ قانون الخفضِ " الجوُّ ليس بارِداً "[3] ، فإذا صدقَ أنَّ الجوَّ ليس بارِداً (وهو مدلولٌ مطابقي) صدقَ أنَّ الجوَّ ليس قارساً ، وأنَّهُ إمَّا دافئٌ ، وإمَّا حارٌ (وهو مدلولٌ التزامي) ، فإذا سقطَ المدلولُ المطابقي ، أي صارَ الجوُّ بارِداً سقطَ المدلولُ الالتزامي ، أي أنَّ الجوَّ ليس حاراً ، أو دافئاً .

يمكنُ القولُ أنَّ هذا القانونَ (قانون الخفض) لم يُدرسْ فقط في علم أصول الفقه ، بل دُرِسَ أيضاً في علم المنطقِ ، وبالتحديدِ في مباحثِ الألفاظِ ، حيثُ قسمَ المناطقةُ الدلالة اللفظية إلى مطابقية ، وتضمنية ، والتزامية ، وقالوا إنَّ الدلالةَ الالتزاميةَ : هي دلالةٌ للفظِ على معنىً خارج عن المعنى الموضوع له ، وهي فرعٌ عن الدلالةِ المطابقية ، واشترطَ المناطقةُ أن يكونَ التلازمُ واضحاً جليَّاً ، بمعنى إذا تصوَّرَ الذهنُ معنى اللفظِ انتقلَ إلى لازمهِ من دونِ توسطِ شيءٍ في البينِ [4] . من هنا يمكنُ مناقشةُ نظريةَ الحِجاجِ اللغوي لد يكرو الَّذي يرى أنَّ نظريتَهُ تستندُ إلى اللغةِ فقط ، ولا تعتمدُ على القواعدِ المنطقيةِ ، والفلسفيةِ ، وغيرِها ، وهذه هي السِمةُ التي جعلتْ نظريةَ الحِجاج اللغوي لد يكرو تختلفُ عن نظريةِ (البلاغة الجديدة) لبيرلمان ، وتيتكا ، إذ يرى الأخيران أنَّ الخطابَ يعتمدُ بشكلٍ أساس على المباحثِ البلاغية ، والفلسفية ، والمنطقية ، في حين يعتمدُ كلٌّ من ديكرو ، وانسكومبر على الأقوالِ اللغويةِ نفسِها ، وتسلسلِها داخل الخطابِ [5] .

مصاديق السُلَّم الحِجاجي :

الخطاباتُ ، في كتابِ بهج الصِّباغة اشتملتْ على سُلَّمٍ حِجاجي ، منها رواية الفضل بن شاذان عن الإمامِ الرضا (عليه السلام) ، إذ قالَ الإمامُ : " فإن قالَ قائلٌ : فما أوَّلُ الفرائضِ ؟ قِيل : الإقرارُ باللهِ ، وبرسولهِ ، وحجَّتهِ ، وبما جاءَ من عند اللهِ ، فإن قالَ قائلٌ : لِمَ أمرَ الخلقَ بالإقرارِ باللهِ ، وبرسولهِ

2) اللغة والحجاج : 24 .
3) ينظر : الحلقة الثالثة في أسلوبها الثاني : 1/ 163 ، وما بعدها .
4) اللغة والحجاج : 24 .
1) ينظر : المقرَّر في توضيحِ منطقِ المظفر : رائد الحيدري ، مؤسَّسة التاريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2004م ، 48 ، 50 .
2) ينظر : بلاغة الإقناع دراسة نظرية تطبيقية : 177 .

، وحجَّتِهِ ، وبما جاءَ من عند اللهِ ؟ قِيلَ : لِعلَلٍ كثيرةٍ ، منها : أنَّ مَنْ لم يقُرْ باللهِ لم يتجنبْ معاصيَهُ ، ولم ينتَهِ عن ارتكابِ الكبائرِ ، ولم يُراقبْ أحداً فيما يشتهي ، ويستلِذْ من الفسادِ ، والظلمِ ، وإذا فعلَ النَّاسُ هذه الأشياءَ ، وارتكبَ كلُّ انسانٍ ما يشتهي ، ويهواهُ من غيرِ مراقبةٍ لأحدٍ . كان في ذلك فسادُ الخلقِ أجمعين ،ووثُوبُ بعضِهم على بعضٍ ، فغصبُوا الفرُوجَ ، والأموالَ ، وأباحُوا الدِماءَ ، والسبيَ ، وقتلَ بعضِهم بعضاً من غيرِ حقٍّ ولا جُرمٍ ، فيكونُ في ذلك خرابُ الدنيا ، وهلاكُ الخلقِ ، وفساد الحرثِ ، والنَّسلِ"[1] قَصَدَ الإمامُ الرضا (عليه السلام) في هذه الرواية إثباتَ نتائج معيَّنةٍ ، فذكرَ أقوالاً ، وحُججاً ؛ دعمتْ وأسندتِ النتيجةَ (ن ـ أوليَّة الفرائض) ، فيرى الإمامُ (عليه السلام) أنَّ أوَّلَ الفرائضِ هي الإقرارُ باللهِ تبارك ، وتعالى ، والاعتقادِ بهِ ، ومن ثَمَّ الإقرارُ بالرسولِ ، والإيمانِ بهِ ، ومن ثَمَّ ، وفي طولِ السلسلةِ الإقرارِ بالحُجّةِ ، وهو الإمامُ المفترضِ الطاعةِ ، ويترتبُ على ذلك الإيمانُ بِما جاءَ من عند اللهِ تبارك وتعالى من الأوامرِ ، والنواهي على مستوى الأحكامِ الشرعيةِ ، والعقديَّةِ ، والأخلاقيةِ .

يمكنُ توضيحُ ذلكَ بالرسمِ التالي :

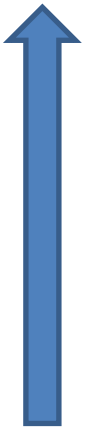

كذلِكَ يُبيِّنُ الإمامُ (عليه السلام) أنَّ مَنْ لم يُقِرْ باللهِ تعالى ، فسيعملُ المعاصيَ ، والكبائرَ ، ولم يُراقبْ أحداً ولم يخفْ مِن شيءٍ عندما تشتهي نفسُهُ الفسادَ ، والظُلمَ ، وحينئذٍ تكونُ النتيجةُ خرابَ الدُّنيا ، وهلاكَ الحرثِ ، والنَّسلِ ، ويُمكنُ أن نوضِحَ السُلَّمَ الحِجاجيَ من خلالِ الرسمِ التالي :

3) علل الشَّرائع : الشيخ الصَّدوق ، دار المُرتضى ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2006م ، 1 / 246 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 156 .

ومن الأمثلةِ الأخرى في كتابِ بهجِ الصِّباغةِ ما ينقلُهُ العلَّامةُ التُستري من كلامٍ للشيخِ المفيد [1] يشتملُ على حُججٍ ، وأقوالٍ تنتمي إلى فئةٍ حِجاجيةٍ واحدةٍ ؛ لِدعمِ نتيجةٍ معيَّنةٍ ، فيقُولُ الشيخُ المفيدُ : " إنَّهُ لا يصُحُّ رؤيةُ الباري سُبحانَهُ بالأبصارِ ، وبذلك شهدَ العقلُ ، ونطقَ القُرآنُ ، وتواترَ الخبرُ عن أئمةِ الهُدى مِن آلِ محمَّدٍ (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ) " [2]، فالشيخُ المفيدُ في هذا السُلَّمِ الحِجاجي يُرَتِبُ الحُججَ من الأضعفِ إلى الأقوى ، فأضعفُ الحُججِ هو الخبرُ ، وأقوى الحُججِ هو العقلُ ؛ لأنَّ العقلَ دليلٌ عامٌ يُحتجُ بهِ على المسلمِ ، والكافرِ ،أمَّا القُرآنُ الكريمُ ، والروايةُ ، فهُما دليلان خاصان بالمسلمِ فقط .

وفي روايةٍ عن الإمامِ الكاظمِ (عليه السلام) : " يا هشام : إنَّ لُقمانَ قالَ لابنهِ : تواضعْ تكُنْ أعقلَ النَّاسِ يا بُني إنَّ الدُّنيا بحرٌ عميقٌ قد غرِقَ فيها عالمٌ كثيرٌ، فلتكنْ سفينتُكَ فيها تقوى اللهِ ، وحشُوها الإيمان ، وشِراعَها التَّوكُل ، وقيِّمها العقل ، ودليلَها العلم ، وسُكّانَها الصَّبر " [3] ، ومن أمثلةِ هذا أيضاً

1) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النَّعمان الملقَّب بالشيخ المفيد من أعاظم علماء الإمامية في القرن الرابع الهجري . انتهتْ إليه رئاسة متكلمي الشيعة في عصره ، توفي سنة (413هـ) ، وصلَّى عليه العلَّامة السيد الشريف المرتضى علي بن الحسين ، ينظر : مقدمة كتاب الاختصاص للشيخ المفيد دار المفيد ، 3 ، وينظر : رجال النَّجاشي : 381 ، 384 .

1) أوائل المقالات : الشَّيخ المُفيد محمَّد بن محمَّد بن النَّعمان ، تحقيق : الشيخ إبراهيم الأنصاري ، منشورات المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المُفيد ، ط 1 ، 1413هـ ، 57 ، ينظر : بهج الصِّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 168 .
2) تُحفُ العقول عن آل الرَّسول : الشَّيخ أبو محمَّد الحسن بن علي بن الحسين الحرَّاني ، من أعلام القرن الرَّابع ، قدَّمَ له وعلَّقَ عليه : الشّيخ حسين الأعلمي ، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 7 ، 2002م ، ينظر : بهج الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة : 6 / 392 .

ما وردَ في تاريخ الطَّبري " ودفعَ وائلُ بنُ حِجر كتابَ شُريح بن هانئ إلى معاوية ، فقرأهُ ، فإذا فيه : بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ... ، فإنَّهُ بَلَغَني أنَّ زياداً كتبَ إليكَ بشهادتي على حِجر بن عدّي ، وأنَّ شهادتي على حِجر أنَّهُ مِمَّن يُقِيمُ الصَّلاةَ ، ويُؤتِي الزَّكاةَ ، ويُدِيمُ الحجَّ ، والعُمرةَ ، ويأمرُ بالمعروفِ ، وينهى عن المُنكرِ ، حرامُ الدَّمِ والمالِ ، فإن شئتَ فاقتُلْهُ ، وإن شئتَ فدَعْهُ " [1] ، فشُريحُ يذكرُ في كتابهِ الَّذي أرسلَهُ إلى معاوية مجموعةً من الأقوالِ ، والحُججِ التي يُرادُ من طريقِها إثباتُ نتيجةٍ معيَّنةٍ ، وهي عدمُ جوازِ قتلِ حِجرِ بنِ عدي [2] .

نوضِحُ السُّلَّمَ الحِجاجي لِهذهِ الأقوالِ ، والحُججِ من خلالِ الرسمِ التالي :

ن عدم جواز القتل (حرام الدم والمال)

هـ يُقيم الصلاة

د يُؤتي الزكاة

جـ يُديم الحج والعمرة

ب يأمر بالمعروف

أ ينهى عن المنكر

وفي روايةٍ عن أبي الحسنِ (عليه السلام) : " إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ في كُلِّ يومٍ ، وليلةٍ مُنادياً يُنادِي : مهلاً مهلاً عبادَ اللهِ عن معاصي اللهِ ، فلولا بهائمٌ رُتَّعٌ ، وصبيةٌ رُضَّعٌ ، وشيوخٌ رُكَّعٌ ؛ لَصُبَّ عليكُم العذابُ صبَّاً ثُرضَّون بِهِ رَضَّاً " [3] ، فالإمامُ (عليه السلام) في هذه الروايةِ الشريفةِ يُكوِّنُ سُلَّماً حِجاجياً يشتملُ على مجموعةٍ من الأقوالِ ، والحُججِ ، وهي (الشيوخ الرُكَّع ، والصبية الرُضَّع ، والبهائم الرُتَّع) وأرادَ من هذهِ الحُججِ أن يدعمَ نتيجةً معيَّنةً ، وهي عدمُ إنزالِ العذاب الإلهي على الخلقِ على الرغمِ من فعلِ المُنكراتِ ، وارتكابِ السيئاتِ .

---

3) تاريخ الطَّبري : 5 / 272 ، ينظر : بهج الصّباغة : 6 / 65 .

4)حِجرُ بنُ عدي الكندِي من أصحابِ أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ (عليه السلام) . قتَلَهُ معاويةُ سنة (53هـ) وهو أوَّلُ من قُتِلَ في الإسلامِ صبراً ، ينظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن بن علي المسعودي ، المكتبة العصرية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2005م ، 3 / 12 .

1) الكافي : باب الذُّنُوب ، ح 31 ، 2 / 163 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 6 / 152 .

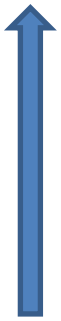

ن عدم عذابِ اللهِ تعالى لعبادهِ

جـ شيوخ رُكَّع

ب صبية رُضَّع

أ بهائم رُتَّع

المبحث الثاني

الروابط والعوامل الحجاجية

أوَّلاً : الرَّوابط الحِجاجية :

تقدَّمَ أنَّ ديكرو ، وانسكومبر يريان أنَّ الوظيفةَ الأساسية للغةِ هي الوظيفةُ الحِجاجية ، وأنَّ " التسلسلاتِ الخِطابية محدَّدةٌ بواسطةِ بِنية الأقوالِ اللغوية ... فقد اشتملتِ اللغاتُ الطبيعيةُ على مؤشراتٍ لغويةٍ خاصةٍ بالحِجاجِ " [1] ، وهذه المؤشراتُ أطلقَ عليها ديكرو الرَّوابط ، والعوامل الحِجاجية ، وسندرسُ أوَّلاً الرَّوابطَ الحِجاجيةَ ، أمَّا العواملُ الحِجاجيةُ فسندرسُها في القسم الثاني من هذا المبحثِ ، وقد حازتْ الرَّوابطُ الحِجاجيةُ على اهتمامِ د يكرو ، وانسكومبر ؛ لِما تُؤديه من دورٍ في فهمِ الخِطابِ [2].

تقولُ آن روبول " قد أدَّتْ أعمالُ د يكرو إلى شيوعِ الرَّوابط التداولية ، أو الخِطابية في علمِ الدلالةِ وفي التداولية أساساً " [3] ، والرَّوابط " هي مجموعةُ الأدواتِ الرَّابطةِ بين حُجَّةٍ ، وأخرى ، أو مجموعةٍ من الحُججِ التي تخدمُ النتيجةَ المقصُودةَ " [4] ، وهناك مائزٌ بين الرَّوابطِ ، والعواملِ الحجاجيةِ ، فالرَّوابط هي التي " تربطُ بين قولين ، أوبين حُجَّتينِ على الأصحِ (أو أكثر) ، وتسندُ لِكُلِّ قولٍ دوراً محدَّداً داخلَ الاستراتيجية الحِجاجية العامة " [5] . أمَّا العواملُ الحِجاجيةُ ، فهي لا تقومُ بالربطِ بين حُجَّتينِ ،أو مجموعةٍ من الحُججِ، بل تكونُ وظيفتُها " حصرَ ، وتقييدَ الإمكاناتِ الحِجاجية التي تكونُ لِقولٍ ما"[6].

ويرى ديكرو أنَّ الرَّوابطَ الحِجاجيةَ لا تقتصرُ وظيفتُها على إضافةِ معلومةٍ فقط ،بل تشتملُ على وظيفةٍ أخرى ، وهي الحُجَّةُ الجديدةُ بعد الأداةِ حيثُ تكونُ هذه الحُجَّةُ أقوى من الحُجَّةِ التي قبل الأداةِ ،أي تُعطي قوَّةً حِجاجيةً لِلخطابِ [7] ، فمثلاً الأداة (حتى) لا ينحصرُ دورُها في إضافةِ معلومةٍ إلى المعلومةِ السابقةِ فعندما نقولُ : (جاءَ زيدٌ) ، فهذا القولُ يشتملُ على معلومةٍ ، وهي مجيءُ زيدٍ ،فإذا قُلنا : (حتى جاءَ زيدٌ) فهذا القولُ لا يقتصرُ دورُهُ على إضافةِ معلومةٍ أخرى ، وهي مجيءُ زيدٍ غير المُتوقعِ ، وإنَّما

---

1)- الحِجاج والمعنى الحِجاجي : د . أبو بكر العزاوي ، (بحث) ضمن كتاب (التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه تنسيق : حمو النَّقاري) ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، ط 1 / 2006م ، 63 .

2)- ينظر : الحِجاج في الدرس اللغوي الغربي : أ . بوزناشة نور الدين ، مجلة علوم انسانية ، السنة السابعة ، العدد 44 ، 2010م ، 20 .

3) ـ التداولية اليوم علم جديد في التواصل : آن روبول ، وجاك موشلار ، ترجمة : د . محمَّد الشيباني ، مراجعة : د . لطيف زيتوني ، دار الطليعة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2003م ، 169 .

4) ـ حِجاجية الروابط والعوامل في الجزء الثلاثين من القُرآن الكريم مقاربة في ضوءِ التداولية المدمجة : د . لطيف حاتم الزاملي ، (بحث) ضمن كتاب (الحِجاج بين النظرية والتطبيق : د . أبو بكر العزاوي) ، عالم الكتب الحديث ، العبدلي ـ الأردن ، ط 1 / 2020م ، 185 .

5)- الحِجاج والمعنى الحجاجي : 64 .

6)- حجاجية الروابط والعوامل الحجاجية في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم : 185 .

7)- ينظر : الحِجاج في الدرس اللغوي الغربي : 20 .

أضافَ حُجَّةً جديدةً أقوى من الحُجَّةِ السابقةِ على الأداةِ ، والحُجَّتان تدعمان نتيجةً واحدةً ، ولكن الاختلاف

بينهما من حيثُ القوَّةِ الحِجاجيةِ [1] . والرَّوابطُ الحِجاجيةُ التي ستُدرَسُ في هذا المبحثِ ،هي : (لكن ،بل ، حتى ، الواو ، الفاء) ، وقد ذُكِرتْ هذه الرَّوابطُ من بابِ المثالِ لا الحصر .

1- الرَّابط الحِجاجي (لكن) :

تُعدُّ الأداةُ (لكن) من أدواتِ الربط الحِجاجي في النظريةِ الحِجاجيةِ ، وهي " للاستدراكِ ، توسُّطُها بين كلامين متغايرين نفياً ، وإيجاباً ، فنستدرِكُ بها النفي بالإيجاب ، والإيجاب بالنفي " [2] ، واستعمالُ (لكن) في الاستدراكِ هو الأعمُ الأغلبُ ، وقد تُستعملُ في تأكيدِ المعنى [3] ،وتُستعملُ في تأكيدِ المعنى " إذا لم يُخالفْ ما بعدها حكمَ ما قبلها " [4] ، فالاستدراكُ يعني أن ننسبَ حكماً لاسمِ الأداة (لكن)،هذا الحكمُ يُخالِفُ الحكمَ السابقَ للأداةِ (لكن) [5] ، فالمتكلِّمُ ينفي الحُجَّةَ التي قبل الأداة (لكن) ، وهي مجيءُ زيدٍ ، ثُمَّ يترقَّى في حِجاجهِ لإثباتِ الحُجَّةِ الثانيةِ التي تقعُ بعد الأداةِ (لكن) ، وهي مجيءُ خالدٍ ،ويرى عبَّاس حسن أنَّ الاستدراكَ هو " ابعادُ معنىً فرعي يخطرُ على البالِ عند فهمِ المعنى الأصلي لِكلامٍ مسموعٍ ،أو مكتوبٍ "[6] ، : أي أنَّ الحُجَّةَ التي يُقدِّمُها المُتكلِّمُ بعد الأداةِ (لكن) ، هذه الحُجَّةُ ترفعُ الالتباسَ ، والاشتباهَ الَّذي يخطُرُ على ذِهنِ المُتلقِّي ؛ بسببِ الحُجَّةِ السابقةِ على الأداةِ (لكن) .

الرَّابطُ الحِجاجي (لكن) عندما يردُ في ضمنِ حُججٍ ،وأقوالٍ من قبيلِ (أ لكن ب) ، فهو يستلزِمُ أمرين : 1 ـ إنَّ المُخاطِبَ عندما يذكرُ (أ) ،و (ب) ،فهو يذكرُهما من بابِ أنَّهما حُجَّتان ، الحُجَّةُ (أ) تسندُ وتدعمُ النتيجةَ (ن) ، والحُجَّةُ (ب) تسندُ ،وتدعمُ النتيجةَ المُضادةَ (لا ـ ن) [7] .

2ـ إنَّ المُخاطَبَ يرى أنَّ الحُجَّةَ التالية للأداةِ (لكن) ،هي الحُجَّةُ الأقوى بالنسبةِ إلى النتيجةِ التي يُريدُ المُتكلِّمُ أن يُثبِتَها ،بحيثُ أنَّ الحُجَّةَ التالية للأداةِ تُوجِّهُ الخِطابَ بِرُمَتِهِ [8] .

---

1) ينظر : اللغة والحِجاج : 27 .
2) المُفصَّل في علم العربية : أبو القاسم محمود بن عُمر الزمخشري (ت 538هـ) دراسة وتحقيق : د . فخر صالح قداوة ، دار عمَّار ، عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2004م ، 303 .
3) ينظر : النحو الوافي : عبَّاس حسن ، الهامش ، مطابع دار المعارف ، مصر ، 1975م ، 1 / 632 .
4) معاني النحو : فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لِصناعةِ الكتابِ ، القاهرة ـ مصر ، ط2/ 2003م ، 1 / 282 .
5) ينظر : آليات الحِجاج وأدواته : عبد الهادي بن ظافر الشَّهري ، (بحث) ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته : إعداد : د . حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، عمَّان ـ الأردن ، ط 1/ 2010م ، 1 / 102 .
6) النحو الوافي : 1 / 632 .
7) ينظر : رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهجِ البلاغةِ دِراسة حِجاجية : 108 .
8) ينظر : المصدر نفسه : 109 ، وينظر : آليات الحِجاج وأدواته : 1/ 104 .

إنَّ من أمثلةِ الرَّابط الحِجاجي (لكن) في كتابِ بهجِ الصِّباغةِ الروايةَ التاليةَ : " عن عبد اللهِ بن سِنان عن أبيهِ ، قالَ : حضرتُ أبا جعفرٍ (عليه السَّلام) ، فدخلَ عليه رجُلٌ من الخوارجِ ، فقالَ لهُ : يا أبا جعفرٍ أيُّ شيءٍ تعبُدُ ؟ قالَ : اللهَ تعالى ، قالَ : رأيتَهُ ؟ قالَ : بل لم ترَهُ العيُونُ بمشاهدةِ الأبصارِ ، ولكن رأتْهُ القلُوبُ بحقائقِ الإيمانِ . لا يُعرَفُ بالقياسِ ، ولا يُدرَكُ بالحواسِ ، ولا يُشبَّهُ بالنَّاسِ ، موصوفٌ بالآياتِ ، معروفٌ بالعلاماتِ ، لا يجُورُ في حُكمهِ ، ذلِكَ اللهُ لا إله إلا هو ،قالَ : فخرَجَ الرَّجلُ ، وهو يقُولُ : اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رِسالتَهُ " [1] .

لقد ثبتَ بالأدلةِ العقليةِ ، والنقليةِ أنَّ المولى تباركَ ، وتعالى لا يُرى بالعينِ ؛ لأنَّهُ ليس بجسمٍ ، وحسب التعبير القُرآني ﴿ لا تُدرِكُهُ الأبصٰرُ وهو يُدرِكُ الأبصٰرَ ﴾ [2] ، فالإمامُ (عليه السلام) ذكرَ في المقامِ الأوَّلِ ثبوتَ الرؤيةِ ، لكنَّهُ أرادَ أن يرفعَ الالتباسَ ، والشُبهةَ التي قد تطرأُ على ذِهنِ المُخاطَبِ من ذكرِ كلمةِ (الرؤية) فاستدرَكَ بالحرفِ (لكن) ، فأثبتَ الحُجَّةَ التاليةَ التي تقولُ أنَّ اللهَ تعالى لا يُشاهدُ بالأبصارِ ، بل تراهُ القلُوبُ بحقائقِ الإيمانِ ، فدحضَ الرؤيةَ بالبصرِ ، وأثبتَ الرؤيةَ القلبيةَ ؛ لكي يجعلَ المُتلقي يؤمنُ بذلك ، ولا يتطرقُ إليه الشَّكُ .

ورُوي عن الإمامِ الرِضا (عليه السلام) في أسمائهِ تعالى " وأمَّا الظَّاهرُ ، فليس من أجلِ أنَّهُ علا الأشياءَ بركوبٍ فوقها ، وقُعودٍ عليها ، وتسنُّمٍ لِذُراها ، ولكن ذلك لِقهرهِ ولِغَلَبَتِهِ الأشياءَ ، وقُدرَتِهِ عليها ،كقولِ الرَّجُلِ : ظهرتُ على أعدائي ، وأظهرنِي اللهُ على خصمِي ، يُخبِرُ عن الفَلجِ والغَلَبَةِ ، فهكذا ظُهُورُ اللهِ على الأشياءِ ، وَوَجهٌ آخَرُ أنَّهُ الظَّاهرُ لِمن أرادَهُ ، ولا يخفى عليه شيءٌ ، وأنَّهُ مُدبِّرٌ لِكُلِّ ما بَرَأ ، فأيُّ ظاهرٍ أظهرُ وأوضحُ من اللهِ تبارك وتعالى ، لِأنَّكَ لا تَعْدَمُ صَنْعَتَهُ حيثُما توجَّهتَ ، وفيكَ من آثارهِ ما يُغنيكَ ، والظَّاهرُ مِنَّا البارزُ بِنفسِهِ ، والمعلوم بِحدِّهِ ، وقد جَمَعَنَا الاسمُ ، ولم يجمعنا المعنى ، وأمَّا الباطنُ فليس على معنى الاستبطانِ للأشياءِ بأن يغُورَ فيها ، ولكن ذلك منهُ على استبطانهِ للأشياءِ عِلماً ، وحِفظاً وتدبيراً ، كقولِ القائلِ : أبطنتُهُ ، يعني : خبرتُهُ ، وعلِمتُ مَكنُومَ سِرِّهِ ، والباطنُ مِنَّا الغائبُ [3] في الشيءِ المُسْتَتِرُ ، وقد جمعنا الاسم ، واختلفَ المعنى " [4] . إنَّ الإمامَ (عليه السلام) ذكرَ

---

1) الكافي : باب إبطال الرؤية ، ح 5 ، 1 / 57 ، ينظر : التوحيد : الشيخ الصَّدُوق : 108 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة : 1 / 168 .
2) الأنعام / 103
3) في نسخة التوحيد للشيخ الصّدوق : الغائر بدل الغائب .
4) الكافي : باب الفرق بين أسماء اللهِ تعالى وأسماءِ المخلُوقين ، ح 2 ، 1 / 71 ، ينظر : التوحيد : 189 - 190 ينظر : بهج الصّباغة في شرحِ نهج البلاغة : 1 / 177 .

حُجَّتين في المقامِ الحُجَّةُ الأولى : أنَّ المولى تباركَ ، وتعالى ظاهرٌ ، وظُهُورُهُ ليس بمعنى أنَّهُ علا الأشياءَ ، وركِبَ عليها ، وصعدَ فوقها ، أي أنَّ الإمامَ (عليه السلام) دحضَ ، ونفى هذه الحُجَّةَ ، ثُمَّ استدركَ بِحُجَّةٍ ثانيةٍ ، وهي أنَّ ظُهُورَهُ تباركَ وتعالى بمعنى القُدرةِ ، والقهرِ على الأشياءِ ، وكذلِك الأمرُ في اسمِ (الباطن) ، فالإمامُ (عليه السلام) نفى في الحُجَّةِ الأولى ـ الحُجَّة التي سبقتِ الحرف (لكن) ـ أن يكونَ الباطنُ ـ الَّذي هو اسمٌ من أسماءِ المولى تعالى ـ بمعنى الغور في الأشياءِ ، والدخُولِ فيها ،وأثبتَ في الحُجَّةِ الثانيةِ ـ الحُجَّة التي تقعُ بعد الحرف (لكن) ـ أنَّ الباطنَ بمعنى العلمِ ، والحِفظِ ، والتدبيرِ ، وبذلك أزالَ الإمامُ ما يُمكنُ أن يطرأ على ذِهنِ المُتلقي ـ عند سماعهِ للفظِ الباطن ـ من أنَّ معنى اسم (الباطن) عندما يُطلَقُ على المولى (جلَّ جلالُهُ) ،هو نفسُ إطلاقِهِ على الإنسانِ ، فنفى الإمامُ ذلك ، وأثبتَ أنَّ الاسمَ مُشتركٌ لفظيٌّ : أي أنَّ اللفظَ واحدٌ ، والمعنى مُختلِفٌ ؛ ولذلك قالَ : (جمعنا الاسم ، واختلفَ المعنى) .

2ـ الرَّابط الحِجاجي (بل) :

هو حرفُ عطفٍ يدُلُّ على الإضرابِ ، ولهُ حالتانِ : **الحالةُ الأولى :** أن تقعَ بعد (بل) جُملةٌ ، فيكونُ معناها الإضرابُ عمَّا قبلها ، وهذا الإضرابُ إمَّا بنحوِ الإبطالِ [1] ـ إبطال الكلام السابق لـ (بل) ـ نحو قوله تعالى : ﴿ وقالُوا اتَّخذَ الرَّحمٰنُ ولداً سُبحٰنَهُ بل عبادٌ مُكرَمُون ﴾ [2] ، فالجملةُ التي أتتْ بعد (بل) تُبطلُ الكلامَ السابقَ : أي تنفي أن يكونَ للهِ تباركَ ، وتعالى ولدٌ (بل عبادٌ مُكرَمُون) ، وإمَّا بنحوِ الانتقالِ من غرضٍ إلى غرضٍ آخر من دونِ إبطالٍ للكلامِ السابقِ لـ (بل) [3] ، نحو قوله تعالى : ﴿ قد أفلَحَ من تزكَّى وذكَرَ اسمَ ربِّهِ فَصَلَّى ، بل تُؤثِرونَ الحيٰوةَ الدُّنيا ، والآخرةُ خيرٌ وأبقى ﴾ [4] ، فالجملةُ التي وقعتْ بعد (بل) لا تُبطِلُ الكلامَ السابقَ عليها ، بل انتقلتْ من غرضٍ إلى غرضٍ آخر ، ومن حُجَّةٍ إلى حُجَّةٍ أخرى ، أي ربطتْ بين حُجَّتين .

الحالةُ الثانيةُ :

أن يقعَ بعد (بل) مُفردٌ ، وفي هذه الحالةِ " يعطفُ بـ (بل) في النفي ، والنهي ،فتكونُ كـ (لكن

---

1) ينظر : الجنى الدَّاني في حروف المعاني : صنعَهُ الحسن بن قاسم المُرادي (ت 749هـ) تحقيق : فخر الدين قباوه ، والأستاذ محمَّد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1992م ، 236 .

2) الأنبياء / 26

3) ينظر : الجنى الدَّاني في حروف المعاني : 236 .

4) ألأعلى : 14 ، 17 .

) في أنَّها تُقرِّرُ حكمَ ما قبلها ،وتُثبتُ نقيضَهُ لِما بعدها " [1] ،نحو : (ما أكَلَ خالدٌ بل عامرٌ) ، و (لا تشربِ العصيرَ بل الماءَ) ، " فقرَّرتِ النفيَّ ،والنهيَّ السابقين " [2] ، فأثبَتتِ الأكلَ لعامرَ ، والأمرَ بِشُربِ الماءِ وكذلك يعطفُ بها " إذا وقعتْ بعد إيجابٍ ، أو أمرٍ ... ، فهي للإضرابِ ، وذلك أنَّها تجعلُ ما قبلها كالمسكوتِ عنهُ " [3] ، نحو : (قامَ زيدٌ بل خالدٌ) ، و (اشربِ اللَّبنَ بل الماءَ) ، فالقيامُ ثبتَ لِخالِد ، وأمَّا زيدٌ فمسكوتٌ عنهُ ، فَرُبَّما قامَ ، ورُبَّما لم يقُمْ ، وكذلك الأمرُ بالشُربِ حيثُ ثبتَ للماءِ ، وأمَّا اللَّبنُ فمسكوتٌ عنه . إنَّ الأداةَ (بل) سواء وقعتْ بعد جملةٍ ، أ م مفردٍ ، فهي ، في جميعِ الحالاتِ تربطُ بين الحُججِ ، والأقوالِ ويكونُ ما بعد (بل) أقوى من حيثُ الحُجَّيَّةِ ، والدليليةِ على المطلوبِ ، والنتيجةِ ، فهي من أدواتِ الرَّبطِ التي تستعملُ الحِجاجَ [4] .

وفي رِوايةٍ قالَ الإمامُ الصَّادقُ (عليه السلام) للمُفضَّلِ : " فكِّر يا مُفضَّلُ في هذه الأصنافِ الثلاثةِ من الحيوانِ وفي خلقِها على ما هي عليه ممَّا فيه صلاحُ كُلِّ واحدٍ منها ، فالإنسُ لمَّا قُدِّرَ أن يكونوا ذوي ذِهنٍ وفطنَةٍ وعلاجٍ لِمثلِ هذه الصِّناعاتِ ـ من البناءِ ، والنِّجارةِ ، والصِّياغةِ ، وغيرِ ذلك ـ خُلِقتْ لهُم أكُفٌّ كبارٌ ذواتُ أصابعٍ غِلاظٍ ؛ لِيَتَمَكَّنُوا من القبضِ على الأشياءِ ، وأوكدها هذه الصِّناعات ، وآكلاتُ اللَّحمِ لمَّا قُدِّرَ أن تكونَ معائشُها من الصَّيدِ خُلِقتْ لهُم أكُفٌّ لِطافٌ مُدمجةٌ ذواتُ براثنٍ ، ومخالبٌ تصْلُحُ لأخذِ الصَّيْد ، ولا تصْلُحُ لِلصِّناعاتِ ، وآكلاتُ النَّباتِ لمَّا قُدِّرَ أن يكونوا لا ذوات صنعةٍ ، ولا ذوات صيدٍ خُلِقتْ لِبعضِها أظلافٌ تقيها خُشُونَةَ الأرضِ ، إذا حاولتْ طلبَ الرَّعي ، ولِبعضِها حوافرٌ مُلَمْلَمَةٌ ، ذواتُ قعرٍ ، كأخمصِ القدمِ تنطبِقُ على الأرضِ ، لِيُتَهيَّأَ لِلرّكوبِ ، والحمُولةِ ، تأمَّلْ التدبيرَ في خلقِ آكلاتِ اللَّحمِ من الحيوانِ ، حيثُ خُلِقتْ ذواتُ أسنانٍ حِدادٍ ، وبراثنٍ شِدادٍ ، وأشداقٍ ، وأفواهٍ واسعةٍ ، فإنَّهُ لمَّا قُدِّرَ أن يكونَ طعْمُها اللَّحمَ ، خُلِقتْ خلقةٌ تُشاكلُ ذلك ، وأُعينتْ بِسلاحٍ ، وأدواتٍ تصْلُحُ لِلصَّيدِ ، وكذلك تجدُ سِباعَ الطَّيرِ ذواتَ مناقيرِ ، ومخالبَ مُهيَّأةً لِفعلِها ، ولو كانتْ الوحوشُ ذواتَ مخالبٍ كانتْ قد أُعطيتْ ما لا تحتاجُ إليهِ لأنَّها لا تصيدُ ، ولا تأكلُ اللَّحمَ ، ولو كانتِ السِّباعُ ذواتَ أظلافٍ كانت قد مُنِعتْ ما تحتاجُ إليهِ أعني السِّلاحَ الَّذي بهِ تصيدُ ، وتتعيَّشُ ، أفلا ترى كيف أُعطي كلُّ واحدٍ من الصِّنفين ما يُشاكلُ صِنفَهُ ، وطبقتَهُ بل ما فيه بقاؤهُ ، وصلاحُهُ " [5] .

إنَّ الإمامَ (عليه السلام) استعملَ الرَّابطَ الحِجاجيَّ (بل) للربطِ بين الحُججِ في السُلَّمِ الحِجاجي ، ولكن لم يُرِدِ الإمامُ (عليه السلام) إبطالَ ما سبقَ حرفَ (بل)، وإنَّما أرادَ الانتقالَ من غرضٍ إلى

---

5) شرح بن عقيل على ألفية بن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري ، دار الغدير قُم ـ ايران ، ط 4 / 1432هـ ، 3 / 194 .

6) المصدر نفسه : 3 / 194 .

1) معاني النحو : 3 / 224 .

2) ينظر : رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دِراسة حِجاجية : 118 .

3) كتاب فكِّر المعروف بتوحيد المُفضَّل : 125 ـ 126، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 239 ـ 240

آخر و " من حُجَّةٍ إلى أخرى أقوى منها " [1] ، فالحُجَّةُ التي قبل الحرفِ (بل) ، يُبيِّنُ الإمامُ فيها أنَّ كُلَّ صِنفٍ من الحيواناتِ قد خُلِقَ بطريقةٍ تُناسبُ ، وتُشاكلُ طبيعةَ هذا الحيوان ، وقُدرتَهُ على التكيُّفِ في هذه الحياةِ ؛ لكي يصيدَ ، ويأكلَ ، ويعيشَ ، وهذه الحُجَّةُ تسندُ نتيجةً ضِمنيَّةً ، وهي (قُدرةُ اللهِ تعالى ، وحكمتُهُ) ، وكذلك الحُجَّةُ التي وردتْ بعد (بل) ، وهي أنَّ المولى تباركَ وتعالى قد خلَقَ كُلَّ شيءٍ بما يتناسبُ مع بقائهِ ، وصلاحهِ تسندُ النتيجةَ الضمنيَّةَ نفسَها ، وهي (قُدرةُ اللهِ تعالى ،وحكمتُهُ) ، ولكن الحجَّةُ الثانيةُ أقوى " لأنَّ الحُجَّةَ التي ترِدُ بعد (بل) أقوى من الحُجَّةِ التي ترِدُ قبلها في إفادةِ المعنى الكُلِّي ، وإقامةِ الحُجَّةِ " [2] .

3- الرَّابط الحِجاجي (حتَّى) :

تُعدُّ الأداةُ (حتَّى) من أدواتِ الربطِ الحِجاجي التي تربطُ بين الحُججِ ، والأقوالِ المُتساوقةِ ؛ لِدعمِ ، وإسنادِ نتيجةٍ معيَّنةٍ ، ولها دورٌ في ترتيبِ منزلةِ العناصرِ [3] ، وهي ـ كما ذكرَ النَّحويون ـ على " ثلاثةِ أقسامٍ : تكونُ حرفَ جرٍ ، وحرفَ عطفٍ ، وحرفَ ابتداءٍ ، وزادَ الكوفيون قِسماً رابعاً ، وهي أن تكونَ حرفَ نصبٍ ، ينصبُ الفعلَ المُضارِعَ " [4] .

واشترطَ النَّحويون في مجرورِ (حتَّى) شرطين ، **الأوَّل :** أن يكونَ مجرُورُها ظاهراً ،فلا تجُرُّ الضميرَ ، كما في قولهِ تعالى : ﴿ سلٰمٌ هي حتَّى مطلعِ الفجرِ ﴾ [5] ، **والثاني :** أن يكونَ مجرُورُها آخر جُزءٍ ممَّا قبلها ، نحو : (أكلتُ السمكةَ حتَّى رأسِها) ، أو مُلاقي لآخر جُزءٍ ، نحو : (نِمتُ من أوَّلِ الليلِ إلى الصباحِ)، فالصباحُ هو المُلاقي لآخر جُزءٍ من الليلِ [6] ، " ومعنى (حتَّى) في هذا النوعِ الدِلالةُ على انتهاءِ الغايةِ ... والغالِبُ ... أن تدخُلَ نهايةُ الغايةِ في الحُكمِ الَّذي قبل (حتَّى) " [7] ، وكذلك اشترطَ النَّحويون في (حتَّى) العاطفة أن يتوافرَ في المعطوفِ بها شرطان : **الأوَّل :** أن يكونَ المعطوفُ بعضاً من المعطوفِ عليهِ ، نحو : (جاءَ القومُ حتَّى زيدٌ) ،أو كبعضهِ ،نحو : (جاءَ القومُ حتَّى خُيُولُهُم) ، **والثاني :** أن يكونَ المعطوفُ بعد (حتَّى) غايةً لِما قبلها في زيادةٍ ،أو نقصٍ ، والزيادةُ تدُلُّ على القوَّةِ ، والتعظيمِ ، والنقصُ يدُلُّ على الضعفِ ، والتحقيرِ [8] .

---

4) العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : د . عز الدين النَّاجح ، مكتبة علاء الدين ، تونس ، ط 1 / 2011م ، 141 .
1) رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة حِجاجية : 123 .
2)- آليات الحجاج وأدواته : 1 / 109 .
3)- الجنى الدَّاني في حروف المعاني : 543 .
4) القدر / 5 .
5) ينظر : الجنى الدَّاني في حروف المعاني : 544 .
6) النحو الوافي : 2 / 482 .
7) ينظر : الجنى الدَّاني في حروف المعاني : 547 ، 549 .

إنَّ قولَ المُرادي [1] من أنَّ الزيادةَ تدُلُّ على التعظيمِ ، والنقصَ يدُلُّ على التحقيرِ " يُمكِنُ فهمُهُ على أنَّهُ مظهرٌ من مظاهرِ السُلَّميَّةِ في اللُّغةِ ، فما يوجدُ قبل (حتَّى) يُمكنُ اعتبارُهُ حُجَّةً أولى ، وما يُوجدُ بعد (حتَّى) حُجَّةً ثانيةً ، لكن الفرقُ بينهما أنَّ الحُجَّةَ الثانيةَ ... أقوى أثراً في التوجيه الحِجاجي من الحُجَّةِ الأولى ؛ لاشتمالِها على حُكمِ قِيمةٍ سلبي ، أو إيجابي " [2] . ولا يقتصرُ دورُ الرَّابطِ (حتَّى) على إضافةِ معلُومةٍ جديدةٍ إلى الجُملةِ ، بل هناك دورٌ آخر لِهذا الرَّابطِ ، وهو إضافةُ حُجَّةٍ جديدةٍ مُساوقةٍ إلى الحُجَّةِ السابقةِ ، والحُجَّتان تدعمان نتيجةً واحدةً ،لكن بدرجاتٍ مُتفاوتةٍ من حيثُ قوَّةِ الطاقةِ الحِجاجيةِ وضعفِها ، وتكونُ الحُجَّةُ التي تأتي بعد الرَّابطِ (حتَّى) أقوى من الحُجَّةِ السابقةِ [3] .

ويرى الدكتورُ لطيفُ الزامليُّ أنَّ الرَّابطَ (حتَّى) " رابطٌ حِجاجيٌّ يُستعملُ للدلالةِ على أنَّ ما بعدهُ أقوى الأجزاءِ ... وقد ربطتْ (حتَّى) النتيجةَ بالحُججِ السابقةِ ؛ لِدفعِ المُخاطَبِ إلى اتخاذِ موقفٍ معيَّنٍ " [4] . وفي كتابِ (بهجِ الصّباغة) توجدُ كثيرٌ من الأمثلةِ على الرَّابطِ الحِجاجي (حتَّى) ، سنذكُرُ بعضَ الأمثلةِ في المقامِ . قالَ تباركَ وتعالى في مُحكمِ كِتابِهِ ﴿ فلمَّا نسُوا ما ذُكِّرُوا بهِ فَتَحنَا عليهم أبوٰبَ كلِّ شيءٍ حتَّى إذا فرِحُوا بما أُوتُوا أخذنٰهُم بغتةً ، فإذا هُم مُبْلِسُون ﴾ [5] ، فنُلاحظُ أنَّ الرَّابطَ (حتَّى) في الآيةِ الكريمةِ قد رَبَطَ بين الحُججِ المُتساوقةِ ؛ لإثباتِ نتيجةٍ مُعيَّنةٍ ، والحُججُ هي :

- فلمَّا نسُوا ما ذُكِّرُوا به
- فتحنا عليهم كُلَّ شيءٍ
- حتَّى إذا فرِحوا بما أُوتُوا

إنَّ الرَّابطَ الحِجاجي (حتَّى) قد رَتَّبَ الحُججَ ترتيباً سُلَّميَّاً ؛ لِدعمِ النتيجةِ ، وهي استحقاقُ العذابِ لِكُلِّ مُنكِرٍ ، وجاحدٍ ، وكافرٍ بأنعُمِ اللهِ تباركَ وتعالى ، فالحُججُ جاءتْ في قِسمٍ حِجاجيٍّ واحدٍ ؛ لإسنادِ نتيجةٍ واحدةٍ ، وفي الرِّوايةِ " عن سَماعةَ بن مِهرانَ ، قالَ : قُلتُ لأبي عبد اللهِ (عليه السَّلام) قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿ فاصبِرْ كما صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِن الرُّسُلِ ﴾ [6] ، فقالَ : نُوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّد (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ) ، قُلتُ : كيفَ صَارُوا أولُوا العزمِ ؟ قالَ : لأنَّ نُوحاً بُعِثَ بِكتابٍ ،

---

8) هو بدر الدِّين الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي ، يرجع نسبه إلى قبيلةِ مُراد وقد أخذَ العلومَ الإسلاميةَ ، وعلوم العربية عن كثيرٍ من علماءِ عصرهِ وكان إماماً في العربيةِ ،وقد توفي سنة (749هـ) في مصر ، ينظر : الجنى الدَّاني في حروف المعاني (التمهيد) : 6 ، 8 .

9) العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : 135 .

[3]) ينظر : رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة حِجاجية : 124 .

2) حِجاجية الرَّوابط والعوامل في الجزء الثلاثين من القُرآن الكريم مقاربة في ضوء التداولية المُدمجة : 188 .

3) الأنعام / 44 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 2 / 61 .

4) الأحقاف : 35 .

وشريعةٍ ، وكُلُّ مَن جاءَ بعد نُوحٍ أخذَ بكتابِ نُوحٍ ، وشريعتِهِ ، ومِنهاجِهِ ، حتَّى جاءَ إبراهيمُ (عليه السَّلام) بالصُّحُفِ وبعزيمةِ تركِ كتابِ نُوحٍ لا كُفراً بِهِ ، فَكُلُّ نبيٍّ جاءَ بعد إبراهيم (عليه السَّلام) أخَذَ بشريعةِ إبراهيم ، ومِنْهَاجِهِ ، وبالصُّحُفِ ، حتَّى جاءَ موسى (عليه السلام) بالتَّوراةِ ، وشريعتِهِ ، ومنهاجِهِ ،وبعزيمةِ تركِ الصُّحُفِ ، وكُلُّ نبيٍّ جاءَ بعد مُوسى (عليه السَّلام) أخَذَ بالتَّوراةِ ، وشريعتِهِ ، ومِنهاجِهِ ، حتَّى جاءَ المسيحُ (عليه السَّلام) بالإنجيلِ ، وبعزيمةِ تركِ شريعةِ موسى ، ومِنهاجِهِ ، فكُلُّ نبيٍّ جاءَ بعد المسيحِ (عليه السلام) أخَذَ بشريعتِهِ ، ومِنهاجِهِ ، حتَّى جاءَ مُحمَّدٌ (صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ) ، فجاءَ بالقُرآنِ ، وبشريعتِهِ ، ومنهاجِهِ ، فحلالُهُ حلالٌ إلى يومِ القيامةِ ، وحرامُهُ حرامٌ إلى يومِ القيامةِ ، فهؤلاءِ أولوا العزمِ من الرُّسُلِ (عليهم السَّلام) " [1] . الروايةُ الشريفةُ ذَكَرتْ مجموعةً من الأقوالِ ، والحُججِ التي يربطُ بينها الرَّابطُ الحِجاجي (حتَّى) ؛ لِدعمِ نتيجةٍ معيَّنةٍ ، وهي مقامُ ، وفضلُ أولي العزمِ من الأنبياءِ (عليهم السلام) ، والحُججُ التي وَرَدَتْ في الروايةِ هي :

- مجيءُ نُوحٍ (عليه السلام) بالكتابِ
- مجيءُ إبراهيم (عليه السلام) بالصُحُفِ
- مجيءُ موسى (عليه السلام) بالتَّوراةِ
- مجيءُ عيسى (عليه السلام) بالإنجيل
- مجيءُ النبيُّ محمَّدٍ (صلَّى اللهُ عليه واله) بالقُرآن الكريم .

نجدُ أنَّ هذه الحُججَ تنتمي إلى فِئةٍ حِجاجيةٍ واحدةٍ ؛ تسندُ نتيجةً واحدةً ، ونجدُ أنَّ أقوى الحُججِ هي الحُجَّةُ الأخيرةُ ، وهي مجيءُ النبيِّ الأكرم (صلَّى اللهُ عليه وآله) بالقُرآن الكريم ؛ لأنَّ القُرآنَ نسَخَ الشرائعَ السابقةَ ؛ ولِذلِكَ قالتِ الرِّوايةُ (حلال محمَّد حلال إلى يوم القيامة ،وحرامه حرام إلى يوم القيامة) . ومثالٌ آخَرُ في المقام ، قولُ أميرِ المؤمنين (عليه السَّلام) : " واللهِ لا أكونُ مثلَ الضَّبُعِ [2] تسمعُ اللَّدمَ [3] ، حتَّى تخرُجَ ، فتُصادَ " [1] ، فالرَّابط الحِجاجي (حتَّى) رَبَطَ بين حُجَّتين مُتَساوقتين ؛ لإثباتِ نتيجةٍ مُعيَّنةٍ ، وهي الاصطيادُ ، والحُججُ التي وَرَدَتْ هي :

---

1) الكافي : باب الشَّرائع ، ح 2 ، 2 / 14، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 2 / 68 .

2) الضَّبُع : بضم الباء وسكونها مؤنَّثة ، جمعها : أضبُعٌ ،وضِباعٌ ،وضُبُع ...،وهي سَبُعٌ كالذِّئب : معجم القاموس المحيط : 744 .

3) اللَّدم : الضربُ بشيءٍ ثقيلٍ يسمع صوته ، قال : أبو عبيد يأتي صائدُ الضَّبُعِ ، فيضربُ بعقِبِهِ الأرضَ عند حِجرِها ضرباً غير شديدٍ ،ولذلك هو اللَّدم ،ثم يقول : خامري أمَّ عامر بصُوتٍ ضعيفٍ يكررها مِراراً ،فتنام الضَّبُعُ على ذلك ،

ـ الضَّبُع تسمع اللَّدم

ـ الضَّبُع تخرُجُ

ـ النتيجة : تُصاد

الحُجَّةُ الثانيةُ ، وهي (خرُوج الضَّبُع) أقوى من الحُجَّةِ الأولى في إثباتِ النتيجةِ ؛ لأنَّ الخرُوجَ هو السببُ المباشرُ ، والأساسُ لاصطيادِ الضَّبُعِ ، وليس الضربَ الخفيفَ . نعم هو أحدُ الأسبابِ ، والحُججِ ، لكنَّهُ ليس الأقوى ، ومن أمثلةِ الرَّابطِ الحِجاجي (حتَّى) الأخرى في كتابِ بهجِ الصّباغةِ " ثُمَّ قامَ الزُّبيرُ ، فتكلَّمَ بِمثلِ كلامِ طلحةَ ، فقامَ إليهما ناسٌ من أهلِ البصرةِ ، فقالوا لهُما : ألم تُبايعا عليّاً فيمن بايعَهُ ؟ ففيم بايعتُما ثُمَّ نكثتُما، فقالا : ما بايعنا وما لأحدٍ في أعناقِنا بيعةٌ ، وإنَّما استُكْرِهنا على بيعةٍ، فقالَ ناسٌ : قد صَدَقَا ، وأحسَنا القولَ ، وقطعا الثَّوابَ ، وقالَ ناسٌ : ما صَدَقَا ، ولا أ صابا في القولِ ، حتَّى ارتفعتِ الأصواتُ " [2] . إنَّ الحُججَ التي ذُكِرتْ في هذه الروايةِ هي حُججٌ متساوقةٌ تُريدُ أن تُثبِتَ نتيجةً واحدةً ، وهي شدَّةُ الخِلافِ ، وعدمِ إتباعِ الحقِّ ، وهذه الحُججُ ربطَ بينها الرَّابطُ الحِجاجيُّ (حتَّى) ، والحُججُ التي ذُكِرتْ في المقامِ هي :

ـ صدقا وأحسنا

ـ ما صدقا ولا أصابا

ـ حتَّى ارتفعتِ الأصواتُ

نجدُ أنَّ الحُجَّةَ الأخيرةَ (ارتفاع الأصوات) هي الأقوى في إثباتِ النتيجةِ (شدَّة الخلاف ،وعدم اتِّباع الحقَّ) ،أمَّا الحُججُ السابقةُ على (حتَّى) ،فهي تردِفُ الحُجَّةَ الأقوى بعد (حتَّى) ؛ لإثباتِ النتيجةِ

4ـ الرَّابط الحِجاجي (الواو) :

يذهبُ جُمهورُ النَّحويين إلى أنَّ (الواو) لِمُطلقِ الجمعِ [3] ،فإذا قُلتَ : (ذهبَ أحمدُ وخالدٌ إلى

فيجعلُ في عُرقوبِها حبلاً ،ويجُرُّها ،فيُخرِجُها : نهج البلاغة (شرح الشيخ محمَّد عبده)، منشُورات الفجري ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2010م ، 34 .

4) نهج البلاغة (شرح الشَّيخ محمَّد عبده) : 34 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 10 / 22 .

1) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 9 / 315 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 10 / 51 .

2) ينظر : الجنى الدَّاني في حروف المعاني : 158 ، وينظر : معاني النَّحو : 3 / 187 .

المدرسةِ) فنحتملُ أنَّهُما ذَهَبَا معاً ،ونحتمِلُ أنَّ أحمدَ ذَهبَ أوَّلاً ،ونحتمِلُ أنَّ خالِداً ذَهَبَ أوَّلاً ،فلا دليلَ على أنَّ أحدَهُما ذَهَبَ بالخُصُوصِ أوَّلاً ، فالكلامُ مُطلَقٌ ،ولا يُوجَدُ تخصيصٌ في المقامِ ،وهذا الإطلاقُ أوجَدَهُ حرفُ (الواو) . إنَّ وظيفةَ هذا الرَّابطُ هو " الجمعُ بين قضيتين (حُجَّتين) ،ويُستعملُ حِجاجياً بوصفهِ رابطاً عاطفياً يعملُ على ترتيبِ الحُججِ بعضِها ببعضٍ ،بل يعملُ على رصِّ الحُججِ فضلاً عن التدرُجيَّةِ أو السُلَّميَّةِ في ترتيبِ الحُججِ ،وعرضِها " [1] .

إذن وظيفةُ الرَّابطِ الحِجاجي (الواو) ليستْ فقط الجمع بين الأقوالِ ، والحُججِ ، بل إقامة الحُجَّةِ من خلالِ الرَّبطِ بين الأقوالِ ، والحُججِ بحيثُ " تُقوِّي كلُّ حُجَّةٍ منها الحُجَّةَ الأخرى " [2] . نذكُرُ مثالاً على الرَّابطِ الحِجاجي (الواو) من كتابِ (بهج الصِباغة) إنَّ صعصعةَ [3] لمَّا وردَ بكتابِ أمير المؤمنين (عليه السلام) على معاوية ، قالَ لهُ معاوية : " مِمَّن الرَّجُلُ ؟ قالَ : من نزارٍ ، قالَ : و ما كان نزارٌ ؟ قالَ : كان إذا غزا نكَّسَ ، وإذا لقى افتَرَسَ ، وإذا انصرفَ احتَرَسَ " [4] ، فنجدُ في هذا الخبرِ مجموعةً من الحُججِ ، والأقوال المُتساوقة ، والمُترادفة ـ لأنَّها تنتمي إلى فئةٍ حِجاجيةٍ واحدةٍ ـ التي ربطَ بينها الرَّابطُ الحِجاجيُّ (الواو) بحيثُ كلُّ حُجَّةٍ تُقوِّي ، وتسنِدُ الحُجَّةَ الأخرى من أجلِ إثباتِ ، وتدعيمِ النتيجةِ المُضمرةِ التي هي (شجاعة قبيلة نزار) ، إذ قامَ هذا الرَّابطُ بترتيبِ الحُججِ من خلالِ جعلِها في سُلَّمٍ حِجاجيٍّ تنتمي فيه إلى فئةٍ حِجاجيةٍ واحدةٍ للوصولِ إلى المطلُوبِ ، وهو إثباتُ النتيجةِ ، وجعل المُتلقي يُؤمِنُ بها ، ويقتنعُ .

يقولُ الإمامُ السجادُ (عليه السلام) في مُناجاتهِ : " فسبَّحتْ لهُ السماواتُ ، وأكنافُها ، والأرضُ ، وأطرافُها ، والجِبالُ ، وأعراقُها ، والشجرُ ، وأغصانُها ، والبِحارُ ، وحِيتانُها ، والنُّجُومُ في مَطالِعِها ، والأمطارُ في مواقِعِها ، ووحوشُ الأرضِ ، وسِبَاعُها ، وَمَدَرُ الأنهارِ ، وأمواجُها ، وعذبُ المياه ، وأجاجُها ، وهُبُوبُ الرِّياحِ وعِجاجُها ، وكُلُّ ما وقعَ عليه وصفٌ ، وتسميةٌ ، أو يُدركه حدٌّ يحويه ممَّا يتصوَّرُ في الفكرِ ، أو يتمثَّلُ بجسمٍ أو قدر ، أو يُنسبُ إلى عرضٍ أو جوهرٍ من صغيرٍ حقيرٍ ، أو خطيرٍ كبيرٍ مُقرَّاً لهُ بالعبُوديةِ ، خاشعاً مُعتَرِفاً لهُ بالوحدانيةِ ، طائعاً مُستَجيباً لِدعوتهِ خاضعاً مُتضرِعاً لِمشيئتهِ

---

3) رسائل الإمام عليٍّ (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة حِجاجية : 144 .

4) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المُتحدة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2004م ، 372 .

1) صعصعة بن صوحان العبدي من أصحابِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ومن خطباءِ العربِ وقد روى عهد مالك بن الحارث الأشتر ، ينظر : رجال النَّجاشي : 198 .

2) مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (436هـ) ، اعتنى به وراجعهُ : كمال حسن المرعي ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، ط 1/ 2005م ، 3 / 38 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 14 / 30 .

مُتَواضعاً لهُ المُلكُ الَّذي لا نفادَ لِديموميّتِهِ ، ولا انقضاءَ لِعدَّتهِ " [1] . نجدُ أنَّ الروايةَ ذَكَرتْ مجموعةً من الحُججِ المُتساوقةِ التي تنتمي إلى فئةٍ حِجاجيةٍ واحدةٍ ، وقد ربطَ بين هذه الحُججِ الرَّابطُ الحِجاجيُّ (الواو) ؛ لإثباتِ النتيجةِ التي مَفادُها : طاعةُ، وخضُوعُ ، وخُشُوعُ جميع الكائناتِ للهِ ربِّ العالمين ، وأنَّ جميعَ الكائناتِ من إنسانٍ ، وحيوانٍ ،ونباتٍ ،وجمادٍ ، هي مُقِرَّةٌ للهِ تعالى بالعبُوديةِ ، ومُعترِفةٌ لهُ بالوحدانيةِ .

5 ـ الرَّابط الحِجاجي (الفاء) :

هي من حروف العطف التي تُفيدُ الترتيب ، والتعقيب " ومعنى الترتيب أنَّ المعطُوفَ بها يكونُ لاحِقاً لِما قبلها ، فإذا قُلتَ : (جاءَ محمَّدٌ فخالدٌ) كان المعنى أنَّ مجيءَ محمَّدٍ كان قبل مجيءِ خالدٍ ... وأمَّا التعقيبُ ، فمعناهُ أنَّ وقُوعَ المعطُوفِ بعد المعطُوفِ عليه بغيرِ مُهلةٍ ، أو بِمُدَّةٍ قريبةٍ " [2] ، وتكونُ الفاءُ رابطاً حِجاجياً إذا كان ما بعدها مُسبَّباً ، ومعلُولاً لِما قبلها [3] ، " فهي من الرَّوابطِ التي يُوظِّفُها المُخاطِبُ في خِطابِهِ الحِجاجي للربطِ بين أحداثٍ مُتتابعةٍ مثل الرَّبطِ بِما يُمكِنُ أن يكونَ المُقدمة ، والنتيجة ، ممَّا يجعلُ الأحداثَ ، والأفكارَ مُتسلسلةً مُتجاوبةً ، بل يعمدُ إلى مُستوى أعمق من العلاقاتِ فيجعلُ بعضَ الأحداثِ أسباباً لأحداثٍ أخرى " [4] . نذكُرُ مثالاً على الرَّابط الحِجاجي (الفاء) من كتابِ بهج الصّباغة ، ففي الرِّوايةِ عن أمير المؤمنين (عليه السَّلام) : " كُنْ لِما لا ترجُو أرجى منك لِما ترجو ، فإنَّ موسى بن عمران (عليه السلام) خرجَ يقتبِسُ لأهلِهِ ناراً ، فكلَّمَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ، ورجعَ نبيّاً مُرسلاً ، وخرجتْ ملكةُ سبأ ، فأسلَمتْ مع سُليمان (عليه السلام) ، وخرجتْ سحرةُ فرعون يطلِبُونَ العِزَّ لفرعون ، فرجعُوا مؤمنين " [5] ، فالخبرُ قد اشتملَ على جُملٍ ربطَ بينها الرَّابطُ الحِجاجيُّ (الفاء) ، ويُلاحظُ في هذه الجُمل أنَّ ما قبل (الفاء) هو علَّةٌ ، وسببٌ لِما بعدها ويُرادُ من هذه الحُججِ ، والأقوالِ إثباتَ نتيجةٍ معيَّنةٍ ، وهي التَّوكُّلُ على اللهِ تبارك وتعالى في جميعِ الأمورِ والأحوال ، فرُبَّ أمرٍ تراهُ من المُحالاتِ ، ولكنَّهُ يصيرُ مُمكناً بقُدرةِ اللهِ تعالى ، وقوَّتهِ ، والواقعُ ببابِكَ .

---

3) بحار الأنوار الجامعة لِدُررِ أخبار الأئمة الأطهار : الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي (ت 1110هـ) ، دار إحياء التُّراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 ، 91 / 159 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 257 - 258 .

1) معاني النَّحو : 3 / 201 ، وينظر : رصف المباني في شرحِ حروف المعاني : أحمد بن عبد النُّور المالقي (ت 702 هـ) ، تحقيق : أحمد محمَّد الخرَّاط ، مطبُوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ، 376 - 377 .
2) ينظر : حِجاجية الرَّوابط والعوامل : 187 .
3) ينظر : الحِجاج في روايات أهل البيت (عليهم السلام) في كتابِ (أصول الكافي) للكُليني : 230 .
4) الكافي : باب الرِّزق من حيث لا يُحتسب ، ح 3 ، 5 / 50 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 203 .

ثانياً : العوامل الحِجاجية :

تكمُنُ أهميَّةُ العوامل الحِجاجية في أن تحصُرَ ، وتُقيِّدَ الاستلزاماتِ ، والمفاهيم المُحتملة من المنطوقِ (الملفوظ الواحد) داخلَ الخِطابِ ،فالعاملُ الحِجاجي إذا دخلَ في الخِطابِ أسهمَ في تقليصِ الاستلزاماتِ والإمكاناتِ المُحتملة للخطابِ ، بحيثُ يجعلُ الكلامَ يتوجَّهُ نحو معنى واحدٍ ، ونتيجةٍ واحدةٍ تتلائمُ مع ما يُريدُهُ المُتكلِّمُ ، ويُساعدُ المُخاطَبَ في تحديدِ مدلولِ الخِطابِ [1] ، " فالعاملُ الحِجاجيُّ يقومُ بوظيفةِ شحنِ الكلامِ ؛ لِيُؤدي وظيفةً حِجاجيةً تتلائمُ مع مقاصدِ المُحاجِجِ ، فضلاً عن ذلك مُساعدة المُتلقي في تحديدِ دلالةِ المُرادِ من الكلامِ " [2] .

هذه العواملُ الحِجاجيةُ " لا تربطُ بين مُتغيِّراتٍ حِجاجيةٍ ،أي بين حُجَّةٍ ، ونتيجةٍ ، أو بين مجموعةِ حُججٍ ولكنَّها تقومُ بحصرِ ، وتقييدِ الإمكاناتِ الحِجاجيةِ التي تكونُ لِقولٍ ما " [3] . يُعرِّفُ الدكتور عبد اللَّطيف عادل العواملَ الحِجاجيةَ بأنَّها " عناصرٌ لُغويةٌ إسنادية نحوية ، أو مُعجمية تربطُ بين مُكوِّناتِ القولِ الواحدِ كالحصرِ ، والنفي ... ، ووظيفتُها هي حصرُ الإمكاناتِ الحِجاجيةِ لِمُحتوى الملفوظاتِ " [4] . يتبيَّنُ من خلالِ الكلامِ المُتقدِمِ أنَّ هناك فرقاً بين الرَّوابطِ ، والعواملِ الحِجاجيةِ ، " فالرَّوابطُ تربطُ بين قولين أو حُجَّتين ، أو أكثر ، حيثُ كلِّ قولٍ ، أو ملفُوظٍ لهُ دورٌ واضحٌ ، ومُشارٌ إليهِ ضمنَ استراتيجيةٍ حِجاجيةٍ عامةٍ ... أمَّا العاملُ الحجاجيُّ ، فهو غيرُ مُرتبطٍ بالمُتغيِّر الحِجاجي ، أي الحُجَّة والنتيجة ، وإنَّما تحصُرُ الإمكانيةَ الحِجاجيةَ " [5] ، وللعاملِ الحجاجيِّ ثلاثُ وظائفٍ ، هي :

1- تقليصُ تعدُّدِ الاستلزامات ، والإمكاناتِ ، والنتائجِ ، وجعلُ المُتلقَّي ينتقِلُ من تعدُّدِ النتائجِ ، والمعاني إلى النتيجةِ ،والمعنى الواحد .

2- يجعلُ الخِطابَ مُتناسقاً ، ومُتسلسلاً .

---

5) ينظر : الحِجاج في كلامِ الإمام الحسين (عليه السلام) :عايد جدُّوع حنُّون ، أطروحة دكتوراة ،كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، 2013م ، 75 .

6) الحِجاج في آيات الأحكامِ : ثائر عمران شدهان ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة المُثنى 2016م ، 47 .

1) الخِطاب الحِجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قُتيبة ـ دراسة تداولية ـ ابتسام بن خراف ، أطروحة دكتوراة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2010م ، 161 .

2) بلاغة الإقناع في المناظرة : 100 .

3) الرَّوابط الحِجاجية عند الجاحظ (كتاب البُخلاء انموذجاً) : د . مصطفى وليد يوسف ، (بحثٌ) في مجلَّةِ معارف علمية حكمية ،قسم الآداب واللُّغات ، العدد (15) ، السنة الثامنة ، 2014م ، 164 .

3ـ زيادةُ الطَّاقةِ الحِجاجيةِ ، وتوجيهُها نحو النتيجةِ [1] . ومن العواملِ الحِجاجيةِ في اللُّغةِ العربيةِ (لا ، إنَّما لا ... إلا ، لا ... حتَّى ...إلخ) .

1ـ العامل الحِجاجي : النفي

يُعدُّ النفيُّ عاملاً حِجاجياً يقصدُ بهِ المُتكلِّمُ وظيفةَ اللُّغةِ الحِجاجيةِ المُتمثلة في تسليمِ المُتلقي ، وإذعانهِ عِبر توجيههِ بالقولِ ، والحُجَّةِ إلى النتيجةِ [2] ، وقد عرَّفَ الدكتُور مهدي المخزُومي النفيَّ بأنَّهُ " أسلوبُ نقضٍ وإنكارٍ يُستخدَمُ لِدفعِ ما يتردَّدُ في ذهنِ المُخاطَبِ " [3] . ويرى ابنُ يعيش النَّحوي أنَّ النفيَّ هو إكذاب لِلإيجاب [4] ، أي أنَّ " النفيَّ ردُّ فعلٍ على إثباتٍ فعلي "[5] ، ومن أدواتِ النفيِّ الأداةُ (لا) ، وهي من أدواتِ النفيِّ التي تُشكِّلُ عاملاً حِجاجيّاً ، تتحدَّدُ من خلالها النتيجةُ بسرعةٍ ، ولا يجدُ المُتلقي جهداً عقلياً، ولا كدّاً ذهنياً في إدراك المفهُوم ، وقبُول النتيجة [6] .

من مصاديق أداةِ النفيِّ (لا) في كتابِ بهج الصّباغة ، قولُهُ تعالى : ﴿ ولا يملِكُونَ لأنفُسِهِم ضرّاً ولا نفعاً ولا يملِكُونَ موتاً ولا حيٰوةٍ ولا نُشُوراً ﴾ [7] . تنفي الآيةُ الكريمةُ هذه الأمور (الضَّرر والنَّفع ، والموت ، والحياة ، والنُّشُور) عن الأصنامِ التي يعبُدُها المُشرِكون ، أي أنَّ مَن كان مالِكاً حقيقياً لِهذهِ الأمور فهو جديرٌ بالعبادةِ ، ولكنَّ هذه الأصنامَ هي غيرُ قادرةٍ أصلاً على تحقيقِ هذه الأمور لِنفسِها فكيف تستطيعُ توفيرَ هذه الأمور لِمن يعبُدُها من المُشركين ، وهذه الأوثانُ والأصنامُ ليستْ عاجزةً فقط عن تحقيقِ ما يُريدُهُ منها المُشرِكون في الدُّنيا ، بل عاجزةٌ عن تحقيقِ ما يُؤمَّلُ منها في الآخرةِ أيضاً لذلك وَرَدَ في نهايةِ الآيةِ الكريمةِ (ولا نِشُورا) [8] ، ومن الأمثلةِ الأخرى الرِّواية الشّريفة عن الإمامِ أبي جعفر الثاني (عليه السلام) : " فلا يُقال اللهُ مؤتلفٌ ، ولا اللهُ كثيرٌ ، ولا قليلٌ ، ولكنَّهُ القديم في ذاتهِ ؛ لأنَّ ما سِوى الواحدِ مُتجزِّئ ، واللهُ واحدٌ لا مُتجزِّئ ، ولا مُتوهّم بالقلّةِ ، والكثرةِ ، وكلُّ متجزّئٍ ، و مُتوهّمٍ بالقلّة والكثرةِ ، فهو مخلُوقٌ دالٌّ على خالِقٍ لهُ " [9] .

فالرِّوايةُ الشّريفةُ تنفي بعضَ الصِفاتِ ـ التي هي صِفاتُ المُمكنِ ـ عن اللهِ سُبحانَهُ وتعالى ، فتنفي أن يكونَ واجبُ الوجودِ مؤتلَفاً (مُركباً) ؛ لأنَّ الشيءَ المُركَّبَ مُتكوِّنٌ من مجموعةِ أجزاءٍ ، فهو مُحتاجٌ

4) ينظر : العوامل الحِجاجية في اللُّغة العربية : 35 .
5) ينظر : العوامل الحِجاجية في اللُّغة العربية : 47 .
6) في النَّحو العربي (نقد وتوجيه) : مهدي المخزومي ، دار الرَّائد العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 / 1986م ، 246 .
7) ينظر : شرح المُفصَّل : العلَّامة موفَّق الدِّين بن علي بن يعيش (ت 643هـ) الطباعة المُنيرية ، مصر ، 8 / 107 .
8) الحِجاج في كلامِ الإمام الحسين (عليه السلام) : 75 .
9) المصدر نفسه : 75 .
1) الفرقان / 3 ، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 179 .
2) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَّل : 9 / 157 - 158 .
3) التوحيد : الشيخ الصّدوق : 193 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1 / 178 .

في وجودهِ إليها ، والمُحتاجُ إلى غيرهِ معلولٌ لِذلك الغير ، وقد ثَبَتَ في علمِ الكلامِ أنَّ المولى تعالى بسيطٌ لا جُزءَ لهُ لا خارِجاً ، ولا ذِهناً [1] ، وكذلك لا يُوصَفُ المولى تعالى بالقلّةِ ، والكثرةِ ؛ لأنَّ القِلَّةَ ، والكثرةَ من صِفاتِ المُمكنِ (المخلوق) ، واللهُ تبارك وتعالى خالِقٌ ، وعِلَّةُ العِلَلِ ، بل " العِلَّةُ الأولى التي تنتهي إليها سِلسِلةُ الموجوداتِ ، وأسمائِهِ الحُسنى ، وصِفاتِهِ العُليا " [2] ، فالعاملُ الحِجاجي في هذهِ الروايةِ ، وهو أداة النفي (لا) يُقلِّصُ تَعَدُّدَ المداليلِ الإلتزامية للكلامِ ، والمفاهيم المُحتملة للمنطُوق ، ويجعلُ المُتلقَّيَ ينتقِلُ من فكرةِ النتائج المُتعدِّدةِ إلى النتيجةِ الواحدةِ ، والمعنى الواحد ، وكذلك يزيدُ من الطَّاقةِ الحِجاجيةِ التي تؤدي إلى النتيجةِ المُعيَّنةِ [3] .

2- العامل الحِجاجي : القصر

القصرُ في اللُّغةِ هو : الحبس [4] ، كما في قولهِ تعالى : ﴿ حُورٌ مقصُورٰتٌ في الخِيامِ ﴾ [5] : أي " أنَّهُنَّ مُرتبِطاتٌ ، ومُتعلِّقاتٌ بأزواجِهِنَّ ، ومحجُوباتٌ عن الآخرين " [6] ، ويُقالُ : " امرأةٌ مقصُورةٌ ، وقُصُورٌ وقصيرةٌ : محبُوسةٌ في البيتِ لا تُترَكُ أن تخرُجَ " [7] ، وفي الاصطلاحِ هو " تخصيصُ أمرٍ بآخرَ بطريقٍ مخصُوصٍ " [8] . ويُعرِّفُ أحمدُ الهاشمي القصرَ بأنَّهُ : " تخصيصُ الحُكمِ المذكورِ في الكلامِ ، ونفيه عن سِواهُ بطريقٍ مخصُوصٍ " [9] ، ومن أدواتِ القصرِ التي تُشكِّلُ عاملاً حِجاجياً في اللُّغةِ العربيةِ الأداة (إنَّما) ، فهي " تُفيدُ الإثباتَ للشيءِ ، والنفي عن غيرهِ دُفعةً واحدةً " [10] ، والقصر بـ (إنّما) إمّا أن يكون قصر الموصوف على الصفة ، كقولك (إنّما بكرٌ جالسٌ) ، فهو لإثبات جلوس (بكر) ونفي ما عداه من القيام وغيره ، وإما قصرُ الصفةِ على الموصوفِ كقولك : (إنّما يجلسُ بكرٌ)، فهو لإثبات جلوس (بكر) ، ونفي ما سواه من جلوس زيدٍ ، وخالدٍ وغيرِهم ، فهي تأتي لرفعِ الشَّك عن ذهنِ المتلقِّي ، فتحصرُ النتيجةَ بشيءٍ ، وتنفي غيرَه ، ليُذعِنَ المتلقي بالنتيجةِ ، ويزولُ عنه الشَّكُ ، والتردّدُ ويرى البلاغيون أنّ

4) ينظر : الإلهيات على هدى الكتاب والسُنَّة والعقل : محاضرات الشيخ جعفر السُبحاني ، بقلم الشيخ حسن العاملي مؤسَّسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم ـ ايران ، ط 9 / 2016م ، 2 / 29 .
5) شرحُ بداية الحِكمة : للعلَّامةِ محمَّد حسن الطَّباطبائي ،تقريراً لأبحاثِ العلَّامة السيَّد كمال الحيدري ، الشيخ خليل رِزق دار الهادي ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 / 2007م ، 1 / 12 .
6) ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغةِ العربيةِ : 35 .
7) ينظر : لِسان العرب : 11 / 184 .
8) سورة الرَّحمن / 72 .

1) الأمثل في تفسي كتابِ اللهِ المُنزل : 13 / 481 .
2) معجم القاموس المُحيط : 1009 .
3) البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) : 245 .
4) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : السيَّد أحمد الهاشمي ، مؤسَّسة الصادق (عليه السلام) ، ط 2 ، 154 .
5) المصدرُ نفسُهُ : 157 .

إحدى غايات الأداة (إنّما) هو " تمكينُ الكلامِ ، وتقريرُهُ في الذهن " [1] ، : أي في ذهن المتلقِّي عند شكّهِ، وتردّدِهِ في مدلولِ الكلامِ، و من أمثلة العامل الحجاجي (إنّما) في كتاب بهج الصّباغة ، قوله تعالى : ﴿ إنّما أمرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون ﴾ [2] ، فالأداة (إنّما) حصرتْ أمرَ الله تعالى ، ووجودَ الأشياء بإرادته تبارك وتعالى ، فلا يوجدُ بين إرادةِ المولى تعالى ، ووجودِ الأشياء إذا أراد إيجادها أيَّةُ فاصلةٍ [3] ، وهذا القصرُ هو من قبيلِ قصرِ الصفةِ على الموصوفِ، أي أنّ وجودَ الأشياءِ في هذا الكون متعلِّقٌ بإرادة المولى تبارك وتعالى فقط ، وفقط ، لا بإرادة الآلهةِ التي يتصوّرُها ، ويعتقدُ بها المشركون ، ولا بإرادة زيدٍ ، وبكرٍ ، وعُمرَ ، فالعامل الحجاجي (إنّما) أثبتَ شيئاً للمولى تعالى ، ونفى هذا الشيء ـ المُثبت لله تعالى ـ عن غير المولى تبارك وتعالى ، فالآية الكريمة تريدُ أن تمكّنَ ، وتقرّرَ هذه النتيجةَ في ذهن المتلقِّي ، لكي لا يبقى مشكّكاً ، ومتردّداً في قبول النتيجة ، ولكي تقلّصَ تعدّدَ المداليل الإلتزامية لمنطوقِ الكلام ، وتوجّهُهُ نحو معنى واحدٍ ونتيجةٍ معيّنةٍ، وبذلك تزدادُ الطاقةُ الحجاجيةُ المؤديةُ إلى النتيجةِ.

من أدوات القصر (النفي والاستثناء ... < لا ...إلا > و < ما ... إلا >) ، ومن أمثلة (لا ... إلا) في كتاب بهج الصباغة قولُ العلّامةِ التُستري : " ثُم لو لم يكنْ فرقٌ بين (الله) و (إله) ـ كما قال ابنُ أبي الحديد يصيرُ معنى (لا إله إلا الله) كقولك : لا رجلَ إلا رجل ، لا زيد إلا زيد ، وكيف لا يكون بينهما فرقٌ ، وقد كان المشركون ـ وهم من أهل اللغة ـ يطلقون (الإله) على الأوثان ، ولا يطلقون لفظة (الله) إلا على موجِد العالَم " [4] ، فمحلُّ الشاهد في كلام العلّامة التُستري (لا يطلقون لفظه " الله " إلا على موجِد العالَم) ، فقصرُ الموصوف وهو لفظ (الله) على الصفة ، وهي (موجد العالم) ، فيريدُ أن يثبتَ أنّ لفظَ (الله) يُطلقُ فقط ، وفقط على موجِد العالَم ، وخالقِ الكونِ ، وينفي إطلاقَ هذا اللفظَ على الأوثان ، وعلى كل شيءٍ في عالم الإمكان ، لكي يجعلَ المتلقِّي يؤمنُ بهذه النتيجةِ ، ويعتقدُ بهذه الحقيقةِ، ويزولُ عنه الشَّكُّ ، والارتياب ، وتنتفي أو تتقلّص الاستلزامات ، والإمكانات المحتملة من الكلام المنطوق ، وتزدادُ القوّةُ الحجاجيةُ للخطابِ الذي يؤدِّي إلى النتيجةِ التي يريدُ المتكلّمُ إثباتَها ، ويسعى لجعلِ المتلقِّي يعتقدُ أو يطمئنُ لها ، أمّا العامل الحجاجي (ما ... إلا) فنذكرُ مثالاً عليه ، ففي الرِّواية " قالَ جعفر (الإمام الصَّادق عليه السَّلام) فقدَ أبي (الإمام الباقر عليه السَّلام) بغلةً لهُ ، فقال: لئن ردّها اللهُ تعالى لأحمدنّهُ بمحامدَ يرضاها ، فما لبِثَ أن أُتي بها بِسرجِها ، ولِجامِها ، فلمَّا استَوى عليها وضمَّ ثيابَهُ رفعَ رأسَهُ إلى السَّماءِ ، فقالَ: الحمدُ لله ، فلم يزدْ ، ثم قالَ : ما تركتُ ، ولا بقيتُ شيئاً جعلتُ كلَّ أنواعِ المحامدِ لله عزَّ وجلَّ ، فما من حمدٍ إلا وهو داخلٌ

6) المصدرُ نفسُهُ، 159 .
7) يس / 82 ، بهج الصّباغة : 152/1.
8) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 202/11 .
1) بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 146/1 .

في ما قُلتُ " [1] .

قَصَرَ الإمامُ (عليه السلام) في هذه الروايةِ الصفةَ (الحمد) على الموصوف (الله) تبارك وتعالى ، فيريدُ أن يثبتَ الحمدَ للهِ تعالى فقط ،وفقط ، وينفيه عن كلِّ الموجوداتِ، وهو بهذا الاسلوب يجعلُ قوّةً حجاجيةً للخطابِ تمكّنُ المتلقّي من القبولِ ، والإذعان بالنتيجةِ، وينتفي أو يتقلّصُ عنده تعدّدُ المفاهيم ، والاستلزامات التي تحيطُ بالخطابِ، ويتوجّهُ الخطابُ نحو نتيجةٍ واحدةٍ ، ومعنى معيّنٍ

2) كشف الغُمَّة في معرفةِ الأئمةِ (عليهم السَّلام) : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي ، تحقيق : علي آل كوثر ، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السَّلام) ، بيروت ، 3 / 81 ، ينظر : بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة : 1/ 147 .

- لقد أثبتَ الخِطابُ الحِجاجيُّ في كتاب (بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة) قوَّتَهُ وفاعليَّتَهُ ، وتأثيرَهُ في أفكارِ المُتلقي ، وسلُوكِهِ ، والباحثُ في خضمِ البحثِ في تقنيَّات الحِجاجِ وآلياتِهِ في كتاب (بهج الصّباغة) تَوَصَلَ إلى جملةٍ من النتائج :
- اتضحَ عن طريقِ عرضِ النّصُوصِ التي اشتملتْ على آلياتٍ وتقنيَّاتٍ حِجاجيةٍ في كتابِ (بهج الصّباغة) أنَّها مُتداخلةٌ ، أي : يُمكِنُ أن نجِدَ نصّاً واحداً تجتمعُ عليه أكثرُ من آليّةٍ وتقنيّةٍ حِجاجيةٍ ، وهذا الأمرُ يُعطِي مساحةً للمُحاجِ أن يتَحَرَكَ في بيانِ مقاصدهِ من دونِ تقييدٍ بشروطٍ معيّنةٍ ، وقوانين صارمةٍ ، كما هو الحال في شروطِ ، وقوانين المنطق الأرسطي .
- تبيَّنَ عن طريقِ النّصُوصِ الحِجاجيةِ في كتابِ (بهج الصّباغة) أنَّ حُجَّةَ تقسيمِ الكُلِّ إلى أجزائهِ المُكوِّنة له، التي هي من الحُججِ شِبه المنطقية التي تعتمدُ البِنى الرِّياضية هي عبارةٌ أخرى عن الدَّليلِ الاستقرائي في المنطق الأرسطي الَّذي يسيرُ في عملية الاستدلالِ من الخاصِ إلى العام ، ومن الجزءِ إلى الكُلِّ .
- اتضحَ عن طريقِ استقراءِ النّصُوصِ الحِجاجية في مُدوّنةِ البحثِ أنَّ حُجَّةَ إدماجِ الجزءِ في الكُلِّ ، أو حُجَّة التضمين ،التي هي من الحُججِ شِبه المنطقية التي تعتمدُ البِنى الرِّياضية ، هي عبارةٌ أخرى عن القياس المنطقي الأرسطي ؛ الَّذي هو سيرٌ في عمليةِ الاستدلالِ من العامِ إلى الخاصِ ، ومن الكُلِّ إلى الجزءِ .
- إنَّ النّصُوصَ الحِجاجية في مُدوَّنةِ البحثِ التي اشتملتْ على التّصوير البياني لم يكُنِ الهدفُ منهُ مُجرّدَ التخييل ، بل إنَّ جوهرَهُ استدلاليٌّ ، فأهميةُ الوسائل البلاغية تكمُنُ فيما توفِّرُهُ للقولِ من جماليةٍ قادرةٍ على تحريكِ وجدان المُتلقي ، فإذا انضافتْ تِلكَ الجماليةُ إلى حُججٍ متنوِّعةٍ ، وعلاقاتٍ حجاجيةٍ ، أمكنَ للمتكلِّمِ تحقيقُ غايتهِ من الخِطابِ .
- إنَّ النّصُوصَ الحِجاجية في كتابِ (بهج الصّباغة) التي اشتملتْ على الاستعارةِ المكنيّةِ ، جعلتِ الخِطابَ الحِجاجيَّ يُؤثِرُ تأثيراً كبيراً في نفسِ المُتلقي ، إذ يكونُ المُخاطَبُ في هذا اللّونِ من التَّصويرِ فاعلاً وإيجابياً ، يُعمِلُ الذِّهنَ ، ويمُدُّ النّظرَ

ليُكمِلَ العناصرَ الناقصةَ من الصُّورةِ ، فكأنَّهُ يشترِكُ مع المُرسِلِ في إكمالِ أجزاءِ الصُّورةِ .

- تبيَّنَ إنَّ الخِطابَ الحِجاجيَّ في مُدوَّنةِ البحثِ الَّذي اشتملَ على أسلوبِ التشبيه جعلَ المُتلقي يتأثَرُ تأثيراً كبيراً بالأفكارِ والآراءِ المطروحةِ ؛ لاعتمادِ أسلوب التشبيه على النَّمطِ غير المُباشرِ في التَّعبيرِ عن المُرادِ ، وهذا النَّمطُ ـ في الغالب ـ أكثرُ تأثيراً من النَّمطِ المُباشرِ ، وذلك في المجالاتِ الأدبيةِ ، وفي الموعظةِ ، وفي كثيرٍ من صُورِ الإقناعِ .

- الخِطاباتُ الحِجاجيةُ في كتابِ (بهج الصّباغة) لم تخلو من التَّصوير الكِنائي ، وهذا ما يجعلُ الاستدلالَ ناجعاً ، والحِجاجَ ناجحاً ؛ لِما للكنايةِ من دورٍ في الإيضاحِ والتَّأثيرِ .

- يُمكِنُ القولُ أنَّ قانونَ النَّفيَّ ، وهو أحدُ قوانين السُّلّم الحِجاجي الَّذي اعتمدَهُ ديكرو ـ هو عبارةٌ أخرى عن بحثِ المفاهيم ، هذا البحثُ الَّذي أُشبِعَ دِراسةً وتحقيقاً في علمِ أصولِ الفقه ، وبالتّحديدِ ما يُسمَّى بـ (مفهوم المُخالفة أو دليل الخِطاب) ، فالأصوليون يُصطَلِحونُ مفهومَ المُخالفةِ أو دليلَ الخِطابِ ، وديكرو يصطَلِحُ قانونَ النَّفيَّ ، فالمعنى واحدٌ ، والاختلافُ في الاصطلاحِ .

- يُمكِنُ القولُ أنَّ قانونَ الخفضِ الَّذي صَاغَهُ ديكرو ضمنَ قوانين السُّلّم الحِجاجي هو عبارةٌ أُخرى عن مبحثٍ أُصوليٍّ دُرِسَ في علمِ أُصولِ الفقه ، وقد عنونَهُ الأصوليون بـ (تبعية الدِّلالة الالتزامية للمُطابقية) ، بل إنَّ هذا القانُونَ دُرِسَ في علمِ المنطقِ ، وبالتَّحديد في مباحثِ الألفاظِ .

- عن طريقِ النّصُوصِ الحِجاجية التي اشتملتْ على السُّلّم الحِجاجي في كتاب (بهج الصّباغة) يُمكِنُ مُناقشةُ نظرية الحِجاج اللّغوي لديكرو ، الَّذي يرى أنَّ نظريتَهُ تستَنِدُ إلى اللّغةِ فقط ، وفقط ، ولا تعتمِدُ القواعدَ المنطقيةَ ، والفلسفيةَ ، في حين أنَّ بعضَ قوانين السُّلّم الحِجاجي التي صاغَها ديكرو هي نفسُها قوانين أصولية أو منطقية اعتمدها في نظريةِ السُّلّم الحِجاجي .

- إنَّ الخِطابات الحِجاجية التي اشتملتْ على الرَّوابط الحِجاجية في مُدوَّنةِ البحثِ لا تقتصِرُ وظيفتُها على إضافةِ معلومةٍ فقط ، بل لها وظيفةٌ حِجاجيةٌ ، وهذه الوظيفةُ تكونُ بعد الأداةِ ، إذ تكونُ الحُجَّةُ بعد الأداةِ أقوى من الحُجَّةِ السابقةِ ، أي : تُعطي قوَّةً حِجاجيةً للخِطابِ .
- تبيَّنَ من النّصُوصِ الحِجاجية في كتاب (بهج الصّباغة) أنَّ العاملَ الحِجاجيَّ إذا دَخَلَ في الخِطابِ أسهَمَ في تقليصِ الاستلزاماتِ، والإمكاناتِ المُحتملة للخطابِ ، إذ يجعلُ الكلامَ يتوجَّهُ نحوَ معنى واحدٍ ، ونتيجةٍ واحدةٍ تتلائمُ مع ما يُريدُهُ المُتكلِّمُ ، وتُساعِدُ المُخاطَبَ في تحديدِ مدلولِ الخِطابِ

- ❖ أولاً : القُرآن الكريم .
- ❖ ثانياً : المصادر والمراجع .
- ❖ الإتقان في علوم القُرآن ، جلال الدين السيُوطي (ت 911 هـ) ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، وزارة الشؤون الإسلامية ، السعُودية ، (د . ط) .
- ❖ الاختصاص ، الشَّيخ المُفيد أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد النَّعمان (ت413هـ) ، دار المُفيد للطباعة ، والنشر ، اصفهان ـ أيران ، (د . ط) .
- ❖ أخلاقنا ، أبحاث السَّيد كمال الحيدري ، بقلم الدكتور طلال حسن ، (د . ط)
- ❖ استراتيجيات الخطاب (مقاربة لُغويَّة تداولية) ، عبد الهادي بن ظافر الشَّهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2004م .
- ❖ الاستعارة في محطَّات يونانية وعربية وغربية ، محمَّد الولي، مكتبة دار الأمان المغرب ، ط 1 / 2005م .
- ❖ أسرار البلاغة و ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن بن محمَّد الجرجانيِّ (ت471هـ) ، قرأهُ وعلَّق عليه : محمود محمَّد شاكر، دار المدني، جدَّة (د . ط) .
- ❖ الأسس النظرية لِبناء شبكات قرآنية للنصوص الحِجاجيَّة ، عبد العزيز لحويدق ، (بحث) ، ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته ـ دِراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ـ إعداد : د . حافظ اسماعيلي علوي) عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2010م .
- ❖ الأسلوب الكنائي (نشأتُه ـ تطوَّرُه ـ بلاغتُه) محمود السَّيد شيخُون ، ط1/1978م .
- ❖ أسلوبية الحجاج التداولي (تنظير وتطبيق على السُور المكيَّة) ، مثنى كاظم صادق منشورات ضِفاف ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2015م .
- ❖ أصول البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت679 هـ) تحقيق : د. عبد القادر حسين ، دار الشروق ، القاهرة ـ مصر ، (د . ط) .

- أصول البيان العربي ، د . محمَّد حسين عليَّ الصغير، دار المؤرِّخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1999م .
- أصول الفقه المُقارن (فيما لا نصَّ فيه) ، الشيخ جعفر السُّبحاني، مؤسَّسة الإمام الصَّادق (عليه السلام) قُم ـ ايران ، ط 1 / 1425هـ .
- الاعتقادات: الشيخ الصَّدوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (ت 381هـ) تحقيق وتعليق :مؤسَّسة الإمام الهادي(عليه السَّلام) ط 3 / 1435هـ .
- الأعلام ، خير الدّين الزركلي ، دار العلم ، بيروت ـ لبنان ، ط 15 .
- أعلام الهداية : المجمع العالمي لأهل البيت ، مركز الطِّباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ، قُم المُقَدَّسَةُ ـ أيران ، ط 1 / 1442هـ .
- الأغاني ، عليُّ بنُ الحسين بن محمَّد القرشي ، الكاتب المعروف بأبي الفرج الأصفهاني (ت 976هـ) ، تحقيق : د . إحسان عبَّاس ، وآخرين، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 / 2008م .
- الإمامة والسّياسة المعروف بتاريخ الخلفاء ، أبو محمَّد عبد الله بن مُسلِم بن قُتيبَة الدّينُوري (ت 276هـ) تحقيق : علي شِيري ، دار الأضواء ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1990م .
- الإلهيات على هُدى الكِتاب والسّنة والعقل ، محاضرات الشيخ جعفر السُّبحاني ، بقلم الشيخ حسن محمَّد مكي العاملي، مؤسَّسة الصَّادق (عليه السلام) ، قُم ـ ايران ، ط 9 / 2016م .
- آليات الحِجاج وأدواته ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، (بحث) ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته ـ دِراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ـ إعداد : د . حافظ اسماعيلي علوي) عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2010م .
- الأمالي : الشَّيخ المفيد أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النّعمان العُكبري (ت 381هـ) ، دار التَّيار الجديد ، (د . ط) .

- ❖ الأمثل في كتاب الله المُنزَل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار النشر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ط 3 .
- ❖ أوائل المقالات : الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النّعمان العُكبري (ت 413هـ) تحقيق : الشيخ إبراهيم الأنصاري ، النَّاشر ، المؤتمر العلمي لألفية الشيخ المفيد ، ط 1 / 1413هـ .
- ❖ الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني (ت739هـ) شرح وتعليق : محمَّد عبد المُنعِم ، عُني بطبعه ونشرهِ : محمود توفيق صاحب مكتبة الحسين التجارية ، مصر ، ط 1 / 1950م .
- ❖ بحار الأنوار الجامعة لِدُرَرِ أخبار الأئمَّة الأطهار ، الشيخ محمَّد باقر المجلسي ، دار إحياء التُّراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 .
- ❖ البُرهان في وجوه البيان ، ابو الحسن إسحاق بن أبراهيم بن وهب الكاتب ، تقديم ، وتحقيق : د . حنفي محمَّد شرف ، مطبعة الرِّسالة ، عابدين ، (د. ط) .
- ❖ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ، ت ك أحمد مطلوب ، وخديجه الحديثي ، ديوان الأوقاف ، 1974م، بغداد ، (د . ط) .
- ❖ بلاغات النِّساء : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت 280هـ) ، منشورات المكتبة المُرتضوية ، النجف الأشرف ـ العراق ، 1361هـ ، (د . ط) .
- ❖ بلاغة الإقناع (دراسة نظرية تطبيقية) ، عبد العالي قدا، دار كنوز المعرفة ، عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2016م .
- ❖ بلاغة الإقناع في المناظرة ، عبد اللطيف عادل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط 1 / 2013م .
- ❖ بلاغة الخِطاب الاقناعي (نحو تصوّرٍ نسقيٍّ لبلاغة الخطاب) ، د . حسن المودن ، دار كنُوز المعرفة ، عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2014م .
- ❖ البلاغة العربية أسَسُها وعلومُها وفِنونُها ، عبد الرحمن جنَّكه الميداني، دار القلم ، دمشق ـ سوريه ، ط 1 / 1996م .

- البلاغة العربية (قراءةٌ أخرى) ، د . محمَّد عبد المُطَّلِب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، ط 2 / 2007م .
- البلاغة والاتصال ،د . جميل عبد الحميد ، دار غريب للطباعة ، والنشر ، القاهرة ـ مصر (د . ط) .
- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النَّص ، هنريش بليث ، ترجمة ، وتقديم ، وتعليق : محمَّد العُمري ، دار كنوز المعرفة للنشر، والتوزيع ، بيروت ـ لبنان، (د . ط).
- البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) ، علي الجارم ، ومصطفى أمين ، دار الغدير، قُم ـ أيران ، ط 1 / 1434هـ .
- البلاغة والتطبيق ، د. أحمد مطلوب ، و د . كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ـ العراق، ط 2 / 1999م .
- بِنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية) ، د . محمَّد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 9 / 2009م .
- بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة ، العلَّامة محمَّد تقي التُستري ، دار أمير كبير للنشر ، طهران ـ أيران ، ط 1 / 1997م .
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمَّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د . ط) .
- البيان المُفيد في شرح الحلقة الثالثة للسيد الشهيد (محمَّد باقر الصدر) ، الشيخ أياد المنصوري ، دار الحسنين (عليهم السلام) للطباعة ، والنشر ، قُم ـ أيران ، ط 1 / 1427هـ .
- تاريخ الخُلفاء ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ) دار ابن حزم ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2003م .
- تاريخ الطَّبري (تاريخ الرُسُل والملوك) ، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري (ت 310هـ) تحقيق : محمَّد أبو الفضل أبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر، ط 2 .

- تُحف العُقُول عن آل الرَّسول : أبو محمَّد الحسن بن علي بن الحسين بن شُعبة الحرَّاني ، قدَّم لهُ وعلَّق عليه: الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 7 / 2002م .
- تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق ، محمد صادق الأسدي، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة ، ط 1 / 2018م .
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول ، وجاك موشلار ، ترجمة : د. محمَّد الشيباني ، مراجعة : د . لطيف زيتوني ، دار الطليعة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2003م .
- التّعبير البياني (رؤية بلاغية نقدية) ، د . شفيع السيد ، الناشر ، مكتبة الشباب ، مصر (د . ط) .
- تفسير التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، السَّدار التونسية للنشر ، تونس ،(د . ط) .
- تفسير الطّبري من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) تحقيق وتعليق : د. بشَّار عوَّاد ، وعصام فارس ، مؤسَّسة الرِّسالة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1994م .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرَّضي أبو الحسن محمد بن ابي أحمد الحسن بن موسى (ت 406هـ) منشورات مكتبة الخلَّاني، بغداد ـ العراق (د . ط) .
- تهذيب البلاغة و الشيخ جعفر السبحاني ، مؤسَّسة الأمام الصَّادق (عليه السلام) ، قُم ـ أيران ، ط 1 / 1012م .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن احمد الأزهري (ت370هـ) ، علق عليه : عمر السَّلامي ، وعبد الكريم حامد ، دار إحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1421هـ .
- تواريخ أعلام الهدايا النبي وآله ، الشيخ محمد تقي التستري ، تحقيق : الشيخ محمود الشّريفي ، والأستاذ علي الشّكرجي، مؤسَّسة التاريخ العربي للطباعة ، والنشر ، ط 1 / 2004م .

- التَّوحيد : الشَّيخ الصَّدوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (ت 381 هـ) صحّحه وعلَّق عليه : هاشم الحسيني الطَّهراني ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، (د . ط) .
- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت381هـ) ، صححه وقدَّم له وعلقَّ عليه : الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: طليعة النور ، قُم ـ أيران، ط 3 / 1427هـ .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي (749 هـ)، ت: د فخر الدين قباوة ، والأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1992م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع ، السيد أحمد الهاشمي ، مؤسَّسة الإمام الصَّادق (عليه السلام) ، طهران ـ أيران ، ط 2 / 1386هـ .
- الحجاج أطرُه ومنطلقاته وتقنيِّاته من خلال مُصنَّف في الحِجاج ـ الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكاه ـ عبد الله صولة ، (بحث) ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من آرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمَّادي صمُود) ، كلية الآداب ، منوبة ـ تونس ، (د . ط) .
- الحجاج عند البلاغيين العرب ،علي محمَّد سلمان ، (بحث) ضمن كتاب (الحجاج والاستدلال الحجاجي ، إشراف : حافظ اسماعيلي علوي) دار ورد الأردنية للنشر ، والتوزيع ، الأردن ، ط 1 / 2011م .
- الحجاج في البلاغة المُعاصرة (بحث في بلاغة المُعاصر) ، د . محمَّد سالم محمَّد الامين الطِلبة ، دار الكتاب الجديد المُتحدة ، بيروت ـ لبنان، ط 1 / 2008م .
- الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية) د . آمال يوسف المُغماسي، الدَّار المتوسطة للنشر، تونس ، ط 1 / 2016م .
- الحجاج في الخطاب السياسي (الرسائل السياسية خلال القرن الخامس الهجري ـ نموذجاً ـ دراسة تحليلية) عبد العالي قادا ، كنوز المعرفة للطباعة والنشر ، عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2015م .

- الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) ،د. سامية الدِّريدي، عالم الكتب الحديث إربد ـ الأردن ، ط 2 / 2011م .
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصهِ الأسلوبية ، د . عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 / 2007م .
- الحكمة عند الأمام علي في نهجهِ : الشيخ جوادي آملي ، دار الهادي بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1992م .
- الحجاج في اللغة ، شكري مبخوت ، (بحث) ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من آرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمَّود) ، كلية الآداب ، منوبة ـ تونس ، (د . ط) .
- الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) ، حافظ أسماعيل العلوي، عالم الكتب الحديث ، إربد ـ الأردن ، ط 1 / 2010م .
- الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات) ، د . علي الشعبان ، تقديم : حمَّادي صمُّود ، دار الكتاب الجديد المُتحدة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2010م .
- الحجاج والمعنى الحجاجي ، د . أبو بكر العزاوي ، (بحث) ضمن كتاب(التحاجُج طبيعتُه ومجالاته ووظائفه ، تنسيق : حمُّو النِّقّاري) كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرِّباط ، ط 1 / 2006م .
- الحجاج والمواطنة ،د. توبي لحسن ، دار رؤية ، القاهرة ـ مصر ، ط 1 / 2014م .
- حجاجية الروابط والعوامل في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم ـ مقاربة في ضوء التداولية المدمجة ـ د . لطيف حاتم الزاملي ، (بحث) ضمن كتاب (الحجاج بين النظرية والتطبيق ، إعداد : د . أبو بكر العزاوي) عالم الكتب الحديث ، العبدلي ـ الاردن ، ط 1 / 2020م .
- حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي ـ خطب الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نموذجاً ـ علي عُمران ، دار نينوى للدّراسات والنّشر ، دمشق ـ سوريا ط 1 / 2009م .

❖ الحلقة الثالثة في أسلوبها الثاني ، الشيخ باقر الأيرواني ، ط2007/1م ن المحبين للطباعة ، والنشر ، قُم ـ أيران ، ط 1 / 2007م .

❖ الخِصال ، الشيخ الصَّدوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (ت 381هـ) صحَّحه وعلَّق عليه ، علي أكبر الغفَّاري ، منشورات جماعة المُدرّسين في الحوزة العلمية ، قُم المُقدّسة ، (د . ط) .

❖ دراسات في علوم القرآن ، محمود البُستاني، دار البقيع ، قُم ـ أيران ، ط 1 / 2007م .

❖ دروس في البلاغة ، الشيخ معين دقيق العاملي ، دار جواد الأئمَّة (عليه السلام) ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2012م .

❖ دعوى السفارة في الغيبة الكبرى : الشيخ محمد سند ، إعداد وتقديم وتحقيق : مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام) دار المؤرِّخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 / 2013م .

❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن الجرجاني ، تصحيح وتعليق ، محمَّد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1988م .

❖ ديوان زهير بن أبي سُلْمى ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، (د . ط) ،

❖ الذّريعة إلى تصانيف الشيعة ، الشيخ أغا بُزرَك الطَّهراني ن دار الأضواء ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 / 1403هـ .

❖ رجال الكشي ، محمد بن عمر الكشي ، قدم له وعلق عليه : السيد أحمد الحسيني ، مؤسَّسة الأعلمي لمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2009م .

❖ رجال النَّجاشي ، الشيخ أحمد بن علي النّجاشي (ت 450 هـ) شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2010م .

- رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة (دراسة حجاجية) ، د. رائد مجيد جبار، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ـ العراق ، ط 1 / 2017م .
- شرح بداية الحكمة للعلامة محمد حسين الطباطبائي ، تقريراً لأبحاث السيد كمال الحيدري، تأليف الشيخ خليل رِزق ، دار الهادي ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 / 2007م .
- شرح بن عقيل على ألفية بن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري، دار الغدير ، قُم ـ أيران ، ط 4 / 1432هـ .
- شرح المُفصَّل ، العلامة موفق الدين بن علي بن يعيش (ت 643 هـ) ، إرادة الطباعة المُنيرية ، مصر ، (د . ط) .
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل أبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ط 1 / 1959م .
- الشفا بالتعريف حقوق المصطفى ، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصُبي ، مراجعة : هيثم الطعيمي ، ونجيب ماجدي ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ـ المغرب ، 2006 م ، (د . ط) .
- الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري (ت 393هـ) تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط 4 / 1987م .
- الصِّناعتين (الكتابة والشعر) ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط 2 .
- الصّورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب ، د . جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 / 1993م .
- طبقات أعلام الشيعة ، الشيخ أغا بُزرَك الطَّهراني ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2009م .

- عندما نتواصل نُغيِّر (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) ، د . عبد السَّلام عشير ، أفريقيا الشرق (2006م) ، المغرب . (د . ط) .
- عِلمُ البيانِ ، د . عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ، 1985م، (د . ط) .
- علوم القُرآن ، السيد محمد باقر الحكيم ، المجمع العلمي الإسلامي ، ط 3 .
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، د .عزَّ الدّين ناجح، مكتبة علاء الدين ، تونس ط 1 / 2011م .
- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، دار الحُريَّة للطباعة ، بغداد ـ العراق (1985م) ، (د . ط).
- عيون الأخبار ، أبو محمَّد عبد الله بن مُسلِم بن قُتيبَة الدّينُوري (ت 276هـ) تحقيق : مُنذر محمَّد سعيد أبو شعر ، المكتب الإسلامي ، ط 1 / 2008م .
- فِقه القُرآن ، قُطب الدِّين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الرَّاوندي (ت573هـ)،مقدمة التحقيق ، ت : السيد عباس بني هاشمي بيد كَلي ، منشورات إمامت أهل البيت (عليهم السلام) ، قُم المُقدسة ـ ايران ، ط 1 / 1396هـ ، ش .
- فكِّر المعروف بتوحيد المُفضَّل ، أملاهُ الإمام أبو عبد الله الصَّادق جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السَّلام) على أبي محمَّد المُفضَّل بن عُمَر الجُعفي الكوفي ، المُتوفي أوائل القرن الثالث ، تحقيق : الشيخ قيس العطَّار ، منشورات دليل ما ، قُم ـ ايران ، ط 1 / 1427هـ .
- فنون بلاغية (البيان ـ البديع) ، د . أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط 1 / 1975م .
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 / 2000م .
- في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) د محمد العمري ، أفريقيا الشّرق ، المغرب ، ط 2 / 2002م .

- ❖ في حجاج النص الشعري ، محمد عبد الباسط، أفريقيا الشرق ـ المغرب (د . ط) .
- ❖ في ظلال العقيدة والاخلاق، السّيد كمال الحيدري ، دار فراقد للطباعة والنشر ، قُم ـ ايران ، ط 1 / 2004م .
- ❖ في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، د . خليفة بوجادي ، بيت الحكمة ـ الجزائر ، ط 1 / 2009م .
- ❖ في النحو العربي (نقد وتوجيه) ، مهدي المخزومي ، دار الرَّائد العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 / 1986م .
- ❖ في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) د. عبد الله صولة ، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس ، ط 1 / 2011م .
- ❖ قاموس الرِّجال، الشيخ محمد تقي التستري ، مؤسَّسة النَّشر الإسلامي لِجماعة المدرسين ، قُم ـ أيران ، ط 44 / 1435هـ .
- ❖ قاموس قواعد اللغة العربية وأصول النقد والتذوق ، مُسعد الهواري ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ـ مصر ، (د . ط) .
- ❖ القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ـ أيران ، ط 1 / 1414هـ .
- ❖ الكافي ، الشيخ محمَّد بن يعقوب الكُليني (ت 329هـ) منشورات الفجر ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2007م .
- ❖ الكشَّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري (ت 538هـ) ، مكتبة العبيكان ، الرِّياض ، ط 1 / 1998م .
- ❖ كشف الغُمَّة في معرفة الأئمَّة (عليهم السّلام) ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي ، تحقيق : علي آل كوثر ، مركز الطِّباعة والنَّشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السَّلام) ، (د . ط) .

- كشف المُراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلَّامة جمال الدين الحسن بن يوسف الحلِّي (ت 726 هـ) صححه وقدم لهُ وعلَّق عليه : الشيخ حسن حسن زادة الآملي، مؤسَّسة النشر الإسلامي ، قُم ـ أيران ، ط 14 .
- كليات في علم الرجال ، الشيخ جعفر السبحاني ، مؤسَّسة الإمام الصَّادق (عليه السلام) ، قُم ـ أيران ، ط 7 / 1437هـ .
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ) دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1300هـ .
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1998م .
- اللغة الشاعرة ، عبَّاس محمود العقَّاد ، مؤسَّسة هنداوي للتعليم ، والثقافة ، القاهرة ـ مصر . (د . ط) .
- اللغة والحجاج ، د . أبو بكر العزاوي ، ط2006/1م، العمدة في الطبع ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط 1 / 2006م .
- اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود ، عبد الوهاب المسيري ، دار الشَّرق ، القاهرة ـ مصر ، ط 1 / 2002م .
- مبادىء في الدرس الحجاجي ، لعلاونة محمد الأمين ، دار المجدد للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د . ط) .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، قدمه ، وعلق عليه أحمد الحُوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة ، والنشر ، مصر ، ط 2 .
- المجازات النَّبوية ، محمد بن حسين الشريف الرَّضي ، تصحيح : مهدي هوشمند ، دار الحديث ، قُم ـ ايران ، ط 1 / 1422هـ .
- مجمع البحرين ، الشيخ فخر الدين الطُريحي ، ت : السيد أحمد الحسيني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، ط 2 / 1408هـ .

- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطَبرسي ، دار العلوم للتحقيق ، والطباعة ، والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2006م .
- المحصول في علم الأصول ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الزَّاري (ت 606هـ) ، دارسة ، وتحقيق : جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة (د . ط) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن بن علي المسعودي ، المكتبة العصرية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2005م .
- معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، الناشر : شركة العاتك لصناعة الكتاب القاهرة ـ مصر ، (د . ط) .
- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ، د . محمد هادي الأميني مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ـ العراق ، ط 1 / 1964م .
- معجم القاموس المحيط ، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، رتَّبَه وصحَّحَه : إبراهيم شمس الدين ، الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2012م .
- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السَّكَّاكي (ت626هـ) ضبطهُ وكتب هوامشه وعلَّق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 / 1987م .
- المفصَّل في علم العربية ، أبو القاسم محمود بن عُمر الزمخشري (ت 538هـ) ، دراسة وتحقيق : فخر صالح قداوة ، دار عمَّار عمَّان ـ الأردن ، ط 1 / 2004م .
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، د . نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1990م .
- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس (ت395هـ) ، ت : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، (د . ط) .
- المُقرَّر في توضيح منطق المظفر ، السيد رائد الحيدري ، مؤسَّسة التاريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2004م .

- الملل والنحل ، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ، مؤسَّسة الحلبي ، وشركائه للنشر ، والتوزيع ، 1968م ، القاهرة ـ مصر ، (د . ط) .
- من بلاغة القرآن ، د . أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة ، والنشر ، القاهرة ـ مصر ، (د . ط) .
- من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، د . جميل الحمداوي ، افريقيا الشرق ، المغرب (د . ط) .
- المنطق ، الشيخ محمد رضا المُظفر ، دار الغدير ، قُم ـ ايران ، ط 2 / 2003م .
- من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصَّدُوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي (ت 381هـ) أشرف على تصحيحهِ وطبعهِ والتعليق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1406هـ .
- منهاج البراعة في الشرح نهج البلاغة : العلامة حبيب الله الخُوئي ، المكتبة الإسلامية ، طهران ـ ايران ، ط 4 .
- منهاج الدراسات الأدبية من التاريخ إلى الحجاج ، د . حسن مسكين ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2010م .
- مواهب الرَّحمن في علوم القرآن ، السيد عبد الأعلى السبزواري ، منشورات دار التفسير ، قُم ـ أيران ، ط 5 / 2010م .
- موسوعة أحاديث أهل البيت : الشيخ هادي النجفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2002م .
- موقف البلاغيين والنقَّاد العرب من الاستعارة ، توفيق حمدي ، دار محمَّد علي للنشر ط 1 / 2007م .
- موقف النُحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف ، د . خديجة الحديثي ، دار الرَّشيد للنشر ، (د . ط) .
- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمَّد حسين الطباطبائي ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية ، قُم ـ أيران ، (د . ط) .

❖ النحو الوافي ، عباس حسن ، مطابع دار المعارف ، 1975م ، مصر ،(د . ط) .

❖ النص والخطاب والاتصال ، محمد عبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ـ مصر ، (د . ط) .

❖ نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان ، الحسين بنو هاشم ، دار الكتاب الجديدة المُتحدة بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2011م .

❖ نظرية نسقيَّة في الحجاج (المُقاربة الذريعيَّة الجدليَّة) ، فرانزفان إيمرن ، روب غروتند ورست ، ترجمة : عبد المجيد جُحفة ، دار الكتاب الجديد المُتحدة ، بنغازي ـ ليبيا ، ط 1 / 2016م .

❖ نهجُ البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، شرح الشيخ محمد عبده ، منشورات الفجري ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2010م .

❖ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرَّازي (ت 606هـ) ، تحقيق : نصرُ الله حاجي ، دار صادر، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 2004م .

❖ الوَساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق ، وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 3 .

❖ وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، عبد السلام الراغب ، دار فُصِّلت ، حلب ـ سوريا ط 1 / 1422هـ .

❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ) ت: د . إحسان عبَّاس ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، (د . ط) .

❖ ولاية الإنسان في القرآن : الشيخ جوادي آملي ، ط1/ 1993م ، دار الصّفوة ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 / 1993م .

❖ **الرسائل والأطاريح الجامعيَّة :**

- بنائية الصُورة القُرآنية ، عمَّار عبد الأمير السلامي ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2010م .
- البنية الحجاجية في شعر عزَّ الدِّين مهيوبي ، فوزية زيار ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب والفنون ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2019م .
- الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيَّان التوحيدي ، حسين بو بلوطة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2010م .
- الحجاج في آيات الأحكام ، ثائر عمران شدهان ، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة المُثنى ، 2016 م .
- الحجاج في روايات أهل البيت (عليهم السلام) في كتاب (أصول الكافي) للكُليني (ت 329 هـ) ، عبد الله خليل زباري ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2020م .
- الحجاج في شروح التلخيص ، ميثم قيس مطلك الزَّبيدي ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، 2016م .
- الحجاج في الشعر الأندلسي في عصري دول الطوائف ، ودولة المُرابطين ، فرقان نجم جبَّار ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، 2019 م .
- الحجاج في كلام الأمام الحسين (عليه السلام) ، عياد جدّوع حنّون ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية للعوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، 2013 م .
- الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لأبن قتيبة ـ دراسة تداولية ـ ابتسام بن خراف ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2010م .
- الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) في كتاب الاحتجاج ـ دراسة تداولية ـ عبد الحسين علي حبيب الناصر ، أطروحة دكتوراه ، اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة البصرة .

❖ وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد ـ دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج ـ سليمة محفوظي ، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2011م .

❖ **البُحُوثُ المنشورةُ في المجلات :**

❖ تِقنيَّات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان ، شعبان أمقران ، بحث في مجلَّة التعليمية ، المجلد (5) ، العدد (15) ، 2018م .

❖ الحجاج في الدرس اللغوي العربي ، بوزناشة نور الدين ، بحث في مجلة علوم إنسانية ، العدد (44) ، السنة السابعة ، 2010م .

❖ الحجاج في الشعر السياسي في العصر الأموي ، منى بنت غربي العنزي ، بحث في حوليَّة الدِراسات الإسلامية ، والعربية للبنات ، الإسكندرية ، جامعة الحدُود الشمالية ، المُجلَّد (3) ، العدد (34) .

❖ الروابط الحجاجية عند الجاحظ (كتاب البُخلاء نموذجا) ، د . مُصطفى ولد يُوسف ، بحث في مجلَّة معارف علمية حكيمة ، قسم الآداب واللُّغات ، العدد (15) ، السنة الثامنة ، 2014 م .

❖ نظرية الحجاج في اللُّغة في الدِراسات العربية المُعاصرة ، عُمر بُوقمرة ، بحث في مجلَّة العاصمة ، المُجلَّد (9) ، 2017 م .

Abstract:

There were many methods and techniques used along the time to know speech implications and to reach the intended meaning and sense. One of these methods and techniques is the rhetorical and linguistic argumentation. It is one of the main principles in conveying thoughts and carrying out intentions between (the speaker and receiver). Thus, it implies devices of excitement and satisfaction. Old history knew the discourse, known as studying the argumentative discourse that belonged to Greek civilization. It was very prosperous and employed evidence and proof for the sake of satisfying and influencing, Arabs paid attention to this discourse pattern through their classifications and studies as what was represented in books of faiths, Osoul, and interpretation as well as in orations and interviews.

Studying argumentation in old time whether to Greeks or Arabs depended on the proof and induction (Aristotle logic); while in the rhetorical studies or the modern linguistics relied on modern techniques and methods for argumentation in the modern Western studies is considered as the most important factor that speakers adopt to convince their receivers, since every saying has an argumentative orientation towards certain results.

Based on these reasons and others, the study intended to indulge in this topic and uncover its implications, and to stop at its most important merits and types within a modern perspective. Also, the researcher tried to clarify it through his book (Behj Al Sebagha Fe Sherh Nehjul Balagha) by the Scholar Mohammed Teqi Al Tustery.

The current study is interested in studying argumentation in the book (Behj Al Sebagha Fe Sherh Nehjul Balagha) where the study tackled two modern Western theories in the argumentation style. These are the rhetorical argumentative theory (Lieberman and Tetkah) and linguistic argumentative

theory (De Crow and Ins Comber). This study applied these two theories' techniques and procedure on the mentioned book.

The study was divided into three chapters preceded by introduction and preface and followed by conclusion of results.

The first chapter which is entitled " the argumentative techniques or methods of argumentation " was divided into three sections. The first section is " the semi logical argumentative in the book" and it was divided into two parts. The first discussed the semi logical argumentative that depend on the logical structures. The second discussed the semi logical argumentative that depend on the mathematical structures. The second section stated "the argumentative established on the reality structure"; some of these argumentative are the successive communication arguments and the presence communication arguments. The third section discussed" the argumentative established for the reality structure", such as acting argument and the witness argument.

The second chapter which is entitled "the rhetorical argumentation in the book "Behj Al Sebagha Fe Sherh Nehjul Balagha " was divided into four sections. The first section is about allegory and argumentation. The second section is about simile and argumentation. The third section is about metaphor and argumentation. The fourth section is about metonymy and argumentation.

It is worth to mention that the researcher in the first and second chapters studied argumentation through application of the rhetorical linguistic theory(Liberman and Tetkah). In the third chapter, the study discussed the linguistic argumentative theory (Decrow and Inscomber). This chapter was entitled by "the argumentative stairs, connectors, and factors in the book "Behj Al Sebagha Fe Sherh Nehjul Balagha " and it was divided into two sections. The first section was about "the argumentative stairs" where the researcher tackled the concept of the argumentative stairs, the argumentative part, laws of argumentative stairs,

and the authenticity of the argumentative stair. The second section stated "the argumentative connectors and factors. So, the researcher studied 'the argumentative connectors such as but, indeed, until, and, so" and the argumentative factors such as negation and shortening. The researcher adopted the complementary inductive method in analyzing and inducing texts and stopping at their role in satisfying and affecting.

The study relied on the old reference and bibliographies as well the modern ones including books of grammar, rhetoric, literature, interpretation, history, and men books; in addition to theses, dissertations, and the scientific researches and articles. The researcher highly got benefit from the books that had tackled argumentation, such as the most important theories of argumentation in the western conventions from Aristotle up to our time by Hamady Semound, and in the argumentative theory (studies and applications) by Abdullah Soulah, " the argumentative factors" by Azul Din Al Najih, and argumentation in the contemporary rhetoric by Mohammed Salim Mohammed Al Amin Al Telbeh.

The argumentation in Imam Ali's letters (p.b.u.h.) by Ra'id Mejeed Ali, The argumentation in Arabic poetry (its structure and methods) by Samiyah Al Duraidi, The argumentation: its concept and fields (theoretical and practical studies in the modern rhetoric) by Hafidh Isma'il Alawi. The study also got benefit from the university studies that used The argumentation as a field for their work and a court for its employment such The argumentation in the prophet progeny's narratives (p.b.u.t.) in the book " Osoul Al Kafi" by Al Kulaini (dissertation) by Abdul Allah Khelil Zbari Al Ebadi, The argumentation in Imam Hussein's speech(p.b.u.h.) (dissertation) by Ayid Jedou Henoun.

Finally, I don't claim perfection for my work or I gave the study its right, rather, if I was right, this is due to Allah favor. If I am mistaken, this belongs to me. And the conclusion of our prayer will be" All type of perfect and true praise belongs to Allah the Lord of the world".

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Kerbala University

College of Education for Human Sciences

Department of Arabic

Argumentation in " Behj Al Sebagha Fe Sherh Nehjul Balagha" by the Scholar Al Tustery

by:

Yahya Hassan Alwan

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for Human Sciences / Kerbala University as a Partial Fulfillment for the Requirements of Master Degree in Arabic and its Literature.

The supervisor:

Asst. Prof. Dr. Abid Noor Dawood Omran

2023 A.D. 1444 H.